

دَعْوَةُ الْحَقِّ

• شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

• تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب



عدد خاص
عن دورة



القاضي
عياض
بمراكش

العدد 3 السنة 22 • رجب 1401 / ماي 1981 • الثمن: 5 دراهم

تم بحمد الله تعالى من قبل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الطبعة الأولى: 1400 هـ
الطبعة الثانية: 1401 هـ

التمهيد

لكتاب المؤقت من المجلد الأول

تأليف

أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد
بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله

الجزء الثامن

تأليف

محمد الفلاح

1400 هـ - 1980 م

تم بحمد الله تعالى من قبل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الطبعة الأولى: 1400 هـ
الطبعة الثانية: 1401 هـ

ترتيب المداكن وتفسير المسالك

لمؤلفه أعلام من مذهب مالك

الجزء الثامن

تأليف

أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد
بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله

الجزء الثامن

من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تاريخ الطب العربي

للكاتب: إسماعيل بن علي بن علي

الجزء الأول

الطبعة الأولى

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الطبعة الأولى: 1400 هـ

تاريخ الطب العربي

للكاتب: إسماعيل بن علي بن علي

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الطبعة الأولى: 1400 هـ

هذا العدد

حينما فكرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وأعدت لتنظيم دورة الإمام القاضي عياض بمدينة مراكش ، كانت تصدر في ذلك عن شعور بالمسؤولية تجاه تراث شعبنا المسلم ورجاله الأفاضل وأعلامه العظام الذين نفضوا روح الجهاد والتجديد والتطور على مدى العصور وأصلحوا وهدوا وربوا الأجيال المتعاقبة على الإيمان بالله وبخصوصية المغرب كبلد اختاره قدره أن يكون مركز إشعاع وتوير ولا يزال .

ودورة القاضي عياض التي انعقدت في شهر مارس الماضي بمدينة مراكش في إطار ندوة الإمام مالك بن أنس ، كانت بحق عملاً ثقافياً عظيم الفائدة ، وكانت أيضاً ، وبشهادة جمهور من خيرة الأطباء والباحثين والدارسين وأرباب الفكر والثقافة ، مساهمة نشيطة في إثراء الحياة العقلية ببلادنا وتجديد أساليب البحث والحوار وتطوير الوسائل المولفة حالياً للاستفادة من التراث . ودورة فكرية ثقافية علمية في هذا المستوى من الصبغ والالتقان والتحضير والاعداد لا يمكن أن تكون مجرد ملتقى لأصحاب القلم والفكر لا يلبث أن ينتهي وينتهي الرء ، ولكنها ، وكما كان مخططاً ومرتباً من قبل ، أسفرت عن أطيب الثمار وأحسن النتائج . فلقد ألقى أزيد من خمسة وأربعين بحثاً ودراسة عن القاضي عياض وحياته وعلمه وجهاده ومؤلفاته وعصره وبيئته ، كما جرى نقاش علمي خصب شاركت فيه أجيال مختلفة من العلماء والمثقفين .

هذا العدد ، هو مجرد تقديم لما جرى وسجل في دورة القاضي عياض . في انتظار أن تصدر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الإبحاث الكاملة على غرار المجموعات الثلاث التي نشرتها الوزارة لإبحاث ندوة الإمام مالك بطناس .

وتود (دعوة الحق) أن تسجل ابتداءً أن اختيار مواد هذا العدد وترتيبها وتبويبها لم يخضع سوى لمقياس العمل الصحافي العسرف .

وبقي أن نقول كلمة صغيرة بين يدي هذا العدد وهي أن انعقاد دورة القاضي عياض في الوقت الذي يبني المغرب قواعده نهضته ويدافع عن مكتسباته ويحمي وحدته الترابية بالدم والنار ، هو مؤشر على سلامة وقوة كياننا الوطني والخضاري ، الذي يرعاه ويحميه - كأول ما تكون الرعاية وأخلص ما تكون الحماية - أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله بالقرآن العظيم وبحب وتملق شعبه المسلم .

وإن عمل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بهذه المناسبة لهو امتداد لسلسلة أعمالها ومنجزاتها ونشاطاتها الهادفة إلى نشر التوعية الإسلامية الصحيحة مستهدفة بوجهيات سيدنا المنصور بالله .

(دعوة الحق)

الثنى : 5 دراهم

بيانات إدارية :



شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
والشؤون الثقافية والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية

• تبحث المقالات إلى العنوان التالي :

مجلة «دعوة الحق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط -

المغرب : الهاتف : 03 - 627 و 04 - 627

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل ، و 67 درهماً للخارج ، والشرفي 100 درهم فأكثر .

• السنة 8 أعداد لا يقبل الاشتراك إلا عن سنة كاملة

• تدفع قيمة الاشتراك في حساب ،

مجلة «دعوة الحق» - رقم الحساب البريدي

485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

أو تبث رأياً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• لا تلزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

رجب 1401
مأى 1981

العدد 3
السنة 22

بسم الله الرحمن الرحيم

الزُّمَةُ خَاتَمُهَا

انهزمت الرأسمالية والماركسية في العالم الإسلامي وقامت الأدلة على بوار سوقها وكساد بضاعتها بعد أن اتضح تهافتها وبان عجزها وقصورها عن استيعاب المشاكل المطروحة ومعالجتها واعطاء البديل السليم القائم على العلم والتخطيط والواقعية .

وبانهزام هذه النحل والايديولوجيات والمذاهب السياسية والاقتصادية زال كل انعاء أو زعم أو افتراء يحاول به أصحابه أخفاء الحقائق وتجاهل الواقع . ولم يبق هناك من سبب يمنع من العودة الى الاسلام كمنهج متكامل ودستور شامل وعقيدة سليمة وروح تهيم على مختلف نواحي الحياة .

ويقف المسلمون اليوم أمام مفترق الطرق . وقد ابتدأت وففتهم هذه منذ عقود من السنين . ولا يزالون يقفون فيما يشبه العجز عن اتخاذ المبادرة واملاء القرار الحاسم وفرض الاتجاه الذي لا اتجاه سواه . وهذه الوضعية تكرر ما نسطح عليه - نظريا - بأزمة الاختيار في العالم الإسلامي . وهي أزمة صادرة عن عدة عوامل نتحكم فيها تحكما لا سبيل الى انكاره :

العامل الاول يعود الى التبعية السياسية والولاء الفكري للقوى الاجنبية ، وهو الامر الذي طالما نبه اليه عقلاء هذه الامة وسلطوا الاضواء عليه ولا يزالون الى اليوم يفتلون .

العامل الثاني ينحصر في طبيعة الانظمة التي تسود معظم البلاد العربية والاسلامية ، وينذهب ضحيتها بوسيلة أو بأخرى العدد غير القليل من المفكرين والدعاة واصحاب الرأي . ولا حاجة بنا الى سوق الأمثلة احتراماً لفكر القاري وتقديراً لمكانته وسمو مستواه .

اما العامل الثالث فهو ما عبر عنه فقيد الفكر الاسلامي المرحوم مالك بن نبي بالقابلية للاستعمار ، بمعنى أن في اعماق الانسان العربي المسلم استعدادا لتقبل كل نوع من انواع القهر الاستعماري . وليس في هذا القول أي مساس بقدر ومكانة المسلم ، وإنما هو ضرب رفيع المستوى من ضروب النقد الذاتي الذي يجب أن يكون شعارا لنا في هذه المرحلة الدقيقة من صحوة الاسلام في مطلع القرن الخامس عشر الهجري . أننا ملزمون بالبحث عن الضمانات الكفيلة بالحفاظ على حوافز الصحوة الاسلامية والابقاء على دوافعها . لأن (الصحوة) ، أي كان الداعي اليها معرضة بطبيعتها الحال الى الانتكاس والتراجع ، فتتقلب الى غفوة ، فذهول ، فغياب ، فسيات عميق لا قدر الله .

وليس من شك أن القوى العالمية (الصهيونية والشيوعية والصليبية) تترصد بنا الدوائر وتتآمر ضدنا في محاولة - جادة وأيم الحق - لصرفنا عن الغاية التي

إِفْتَاتِحِيَّة

العمل الإسلامي

الينا على انفسنا الاتجاه في سبيلها . وهي محاولة نؤتي ثمارها - في حقيقة الامر - وتحقق بعض اغراضها هنا وهناك .

وليس من قبيل التهويل أو إطلاق الكلام على عواهنه القول بأن الاستعمار يوشك أن يكسب الشوط الاول من هذه المعركة الضروس التي وضعنا قدرنا وجهها لوجه امامها .

نحن اذن ، مطالبون بالحيلة والحذر والتنبه وبالمزيد من تعميق الوعي وترشيد الفعل الحضاري الذي من شأنه أن يضمن لنا البقاء في موقع القوة والردع والمواجهة . أن المسلمين اقوياء ما في ذلك شك أبداً ، وأنه لمن الهذر والهلذان القول بضعف وعجز وتخلف المسلمين . اننا امة - حقيقة وواقعا - قادرة على ضرب معازل اعدائها . وهذا هو واقعنا الحقيقي ، ولكن الاعلام الاستعماري يوهننا - في مكر وخداع وخبث باننا قوم قاصرون وعاجزون وغير مدركين لطبيعة المصير . ولكن الامر الذي لا ريب فيه أن المسلمين يفتقدون اليوم القدرة على ضبط المسار والاختيار الحر الذي لا يدين بالولاء لا للشرق ولا للغرب . فهل هي دعوة الى الحياذ ؟

تكن

ولكن الامر المطلوب ترشيد حيادنا ليكون اسلاميا جوهرها ومخبرها ، شكلا ومضمونا .

ان بعض المنهزمين يفترون على الناس الحقائق ، ويشككون في قدراتنا كامنة ذات رسالة وحضارة ودور انساني عظيم . بيد ان الممارسة والاستمرار والصمود ، كل ذلك كفيل باظهار الحجم الحقيقي لهذه الامة .

هي ازمة الاختيار في العالم الاسلامي ، تتصخم وتتعمق وتتعاقد المد التأمري الموجه ضد الشعوب الاسلامية من المحيط الاطلسي الى الخليج فالمحيط الهادي ، وإلى كل بقعة يوجد فيها اسلام ومسلمون .

والقوة في الاختيار الحر ، وفي الموقف الصلب وفي القرار القوي القادر على تغيير اتجاه التاريخ . . .

ونحن لذلك اهل وبه جديرون ، وعليه فـاندرون . . . ونشهد ، لله ، ثم للتاريخ أن المغرب عرف سبيله واختار طريقه وقال كلمته وسلك الصراط المستقيم نحو القوة والمنعة والصمود والاستعصاء على اللوبان في الكيان الاجنبي .

نحية القائد الرومي

في كلمة السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في افتتاح دورة القاضي عياض :

الاهتمام بروافد الفكر الإسلامي والسعي الدائم لملاء الفراغ الذي نشأ عن إغلاق باب الاجتهاد

فكرياً مع محصول الندوة الأولى « ندوة الامام مالك »
والتي انعقدت في السنة الماضية ، طبقاً لأوامر
سيدنا المنصور بالله جلالة الملك الحسن الثاني
نصره الله .

وحفاظاً من جلالته على استمرارية البحث الجاد
لترسيخ قواعد الفكر الإسلامي أصدر أوامره بالإبقاء
على الندوة مفتوحة تستقبل آراء وأفكار علماء
ناهين وبارزين في الفقه المالكي ، حتى تسهم الندوة
بواسطة إنتاجها الفقهي في حل الكثير من
المشاكل الملحة التي تنتظر حلاً إسلامياً ، وتحافظ
بالحلل المستنيرة بهدي الكتاب والسنة النبوية
الصحيحة في المحافظة على شخصية الإنسان المسلم
المغربي وفوره التاريخي في تمثيل حضارة الإيمان
ونقلها بواسطة الفكر الإسلامي عبر الامتداد الطبيعي
لشور المغرب الحضاري . لأن مقومات المملكة
المغربية الفكرية ، نابعة من الحضارة الإفريقية ،
والعربية الإسلامية ، بامتداداتها المختلفة ولكن
طابعها الذي يؤثر به في غيرها هو الإسلام ، عقيدة
وشريعة ، فالإسلام عند المغاربة : عقيدة حية
في ضميرهم ، ينبثق منه سلوكهم في المجتمع ويقوم
عليه نظامهم في الحياة . ويستحيل الفصل بين هذه
الجوانب في فكر الإنسان المسلم المغربي ، الذي
يقوم بدوره الفعال والإيجابي في تمثيل منهج الإسلام
بين الأمم بواسطة الفكر ، في ساحة وسعة أدراك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام الإتمان
الاكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

- السيد عامل الاقليم
- السيد رئيس المجلس العلمي
- السيد رئيس المجلس الاقليمي
- السيد رئيس المجلس البلدي
- السادة نواب البرلمان
- السادة المشاركون في الندوة

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

يسعدني أن أرحب بكم باسم وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية ، شاكراً لكم تكرمكم بتلبية
الدعوة لحضور هذه الندوة ، المخصصة للبحث
والمناقشة في الفقه المالكي قصد إثراء فقه هذه
المدرسة الإسلامية ، مقدراً فيكم الروح السامية
التي تغلبت بواسطتها على ما تجشمت من مشقة
السفر والتنقل إلى معقل المرابطين مدينة مراكش
مثنوى القاضي عياض الذي اجتمعنا اليوم من أجل
الاعتراف بجميل ما أسداه للفكر الإسلامي ، منسقين

للموجات بلادنا الإسلامية تحت القيادة الحكيمة لرئيس لجنة القدس أمير المؤمنين الحسن الثاني .

حضرات السادة :

لا شك في أن الدراسات الفقهية معلمة من معالم الأمة الإسلامية واحدى مميزاتها الخاصة ، في عصورها المزدهرة ، وهذه الندوة سبب من الأسباب التي تسعى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من ورائها إلى إذكاء روح النشاط الفكري والثقافي في بلادنا وإلى إعادة أمجاد المدارس الفقهية ، كي تفتح من خلال الأبحاث فيها مجالات أرحب أمام أنظار الباحثين الشباب ، ليحافظوا على الشعلة وقادة ، مهتدين دائما بهدي سلفنا الصالح ، وما يمثلته تراث الدعوة الإسلامية التي قادها رواد المدارس الفقهية المختلفة .

ونحن إذ نهتم بروافد التأليف في الفكر الإسلامي ، فإننا نسعى دائما إلى ملء الفراغ الذي نشأ عن إغلاق باب الاجتهاد ، وما تراكم عن عصور الانحطاط الثقافي ، وهدفنا من الدراسات المختلفة هو توثيق العلاقات الثقافية بين علماء الإسلام مهما اختلفت مشاربهم ، جاعلين سبيلنا إلى ذلك دراسة الفقه المالكي من مصادره الأصلية دراسة علمية قوامها العرض الصادق ، والحكم العادل ، فلا نتزبد في فضله ، ولا نهضمه حقه .

حضرات السادة :

إن شريعة الإسلام السمحاء لم تأت مفصلة لجميع الأحكام ككل ما نجم أو ينجم على مر الزمان وتطور الإنسان ، ولكن ذلك لا يضيرها ، لأنه لم يكن عبثا بل كان للإبقاء على الذاتية الإسلامية ، للإنسان ، وعمله الشخصي ، في البحث عن حلول ، لتجسد الحوادث حوله ، « لأن النصوص متناهية والحوادث غير متناهية » ، وأن كانت الشريعة ترمي مقومات العقل ومتنضيات الفطرة ، فإنها تستهدف مصالح البشر ، وتحمل في أطوائها أسباب نمائها وأسرار بقائها ... وقد وضع لها الرسول صلى الله عليه وسلم أصلا قويا يمكن المسلمين من الحكم على كل جديد بالقبول أو الرد حسبما توحى عقولهم السليمة وتهدي أفكارهم القويمة . لقد أباح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن نعمل عقولنا ونجبل آراءنا

فيما يعرض لنا فنمثل الوقائع بنظائرها وتشبيهها بأمثالها ونرد بعضها إلى بعض في الأحكام ، ونتهج لنا سبيل الاجتهاد ورضيه في حياته من المجتهدين ، والأمثلة على ذلك كثيرة ... واجتماعنا اليوم هو من هذا القبيل ، فقد أحدث فكر القاضي عياض حركة علمية نشطة لم تقتصر على المغرب أو الشمال الأفريقي بل شملت العالم الإسلامي عموما ، وكان للجدل الذي رافق اجتهاداته في حياته وبعد مماته من خلال مؤلفاته العديدة أثر كبير في إثراء المكتبة الإسلامية في جوانبها الفقهية رواية ودراية مثل :

- (1) الألفساع
- (2) مشارق الأنوار
- (3) الفقيه
- (4) التنبيهات
- (5) الشفا
- (6) المدارك ... الخ .

وكذا خلف انشغال الناس به تراثا خالدا يتمثل في أنواع متعددة ، من مؤلفات أهلها طبيعة المرحلة التاريخية التي عاش فيها القاضي عياض ، وظروف المنهجية الجدلية التي أوقف حياته من أجل نشرها بين الناس حركة فكرية ، جلبت اهتمام العلماء في مختلف فنون الرواية والدراية ، فقد شغلهم شخصيته ، وأخباره ، ومدىته ستة ، حتى أفرد بعضهم هذا الجانب بمؤلف سماه « أزهار الرياض في أخبار عياض » .

وإذا كان المغرب لا يذكر عند الكثيرين من أهل العلم إلا به فقد ذهب بعضهم إلى القول عن المغرب الثقافي « لولا عياض ما ذكر المغرب » بل وصفه بعض الراسخين في العلم لما تميز به من سمائل نادرة في عصره ، بأنه « آخر المتقدمين » وكفى سبحة فخرا ومغربة أنجباها هذا العالم الشامخ .

حضرات السادة :

هذه الندوة لبنة جديدة في بناء يقوم على أسس سليمة من الماضي الأصيل للحفاظ على كياننا متميزا بين الأمم ، غير غافلين متطلبات العصر وفارق الزمن ، مجدين في تدارك ما فات بأصلوب يحميننا من الاغتراب الفكري والغزو الثقافي ويجلب اليها ما نحن في حاجة

اليه مما يجري في عالمنا من أحداث ليس في إمكاننا الصمود عنها لأنها جزء من كياننا الإنساني وحياتنا بين الأمم ، متوخين خلق انسجام بين ماضينا الحضاري والعقدي ، وحاضرنا المادي وقوام حياتنا المعاصرة .

حضرات السادة :

أن أي مؤتمر لا يحالفه النجاح إلا إذا استوفى شروط النظام ، من دقة في التسيير وتوفير لأسباب العمل ، في جو من الثقة والاحترام المتبادل . والحرص على تحقيق الراحة والطمانية ، كي يكون العمل الإسلامي في أحسن الظروف وأملها .

ولا يغوتني في هذه المناسبة أن أنظر باكبر واجلال لرصيد هذه الدورة من البحوث ، فقد كانت في عددها مشرفة وأعطت لجمعنا هذا قيمته العلمية المستحقة واكسبنا شرف الاجتماع المفيد . مستبشرين بالتوجيه السامي لجلالة الملك حفظه الله والذي نص عليه في رسالته الى ندوة الامام مالك حيث قال جلالتـه :

« اننا على يقين من انكم ستواجهون هذا التحدي باقدام واعيان ، ومن انكم ستغزرون بهذا الرهان . فكل ما نرجو به اسواق الكتب والصحف ، والندوات ، وأمواج الانير من شعارات الحرية والديمقراطية ، والاشتراكية ، والعدالة ، والبواسة وحقوق الانسان ، ما هو الا بضاعتنا ردت الينا معنونة بشئ العلويين .

وليست هذه اول مرة يطالب فيها علماء الاسلام بالتكيف بوضع جديد ، فقد كان لهذا الوضع في تاريخ امتنا ما يوازيه . ولم يكن ذلك ابعـد كثيراً من عصر امامنا مالك . فقد جاء بعده العلماء من استخدموا متبججه وانتبهوا الى غير ما انتهى اليه من نتائج . »

حضرات السادة :

ان وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية بعد اطلاعها على البحوث تقتـرـج على السادة العلماء تقسيمها الى محاور ثلاثة ، وبعـا الوقت وتوفيرا

للجهود التي ينبغي ان تنصرف الى الـاهـم من تقييم للبحوث العلمية التي ستطبعها الوزارة في كتاب كما فعلت مع محصول ندوة الامام مالك رضي الله عنه .

وهذه المحاور هي :

- أ — القاضي عياض حياته وعصره
- ب — القاضي عياض المحدث والفقيه
- ج — جوانب أخرى في شخصية القاضي عياض .

حضرات السادة :

ما فنيء ملوك الدولة العلوية الشريفة ، يهتمون بالبحث العلمي والاشتغال به للرفع من شأن الاسلام واعلاء كلمته وحفظ كيان اممه ، وتوج امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله عملهم بما وهبه الله من سجايا وهبها لترسيخ الفكر الاسلامي .

فامر جلالتـه بإعادة طباعة كتب التراث المخطوطة فأصدرت وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية بناء على ذلك : كتاب التمهيد لابي عمر بن عبد البر الحافظ ، والذي ستم طباعته في غضون هذه السنة ان شاء الله وكذا كتاب المدارك للقاضي عياض ، وازهار الرياض كاملا للشكري ، وايضاح المسالك ، للنشري ، كما انها تقوم بطباعة الكتب الآتية :

- 1 مشارق الانوار للقاضي عياض الذي سيعاد طبعه بعد نفاذ طبعة السلطان مولاي عبد الحفيظ رحمه الله .
- 2 دليل الرفاق على شمس الاتفاق : الشيخ ماء العينين .
- 3 الحاشية على القاموس : ابن الطيب الشرمي .
- 4 المعيار المعرب والجامع المفهرج : الامام النـشـري الذي صدر منه الى الآن الاجزاء الثلاثة الاولى .
- 5 النسخ والمتمسوخ في القرآن : لابي بكر بن العربي .
- 6 الطب العربي : نبوازل العلمي .



حضرات السادة :

أن علم الفقه الإسلامي له أهميته التي لا ينكرها منكر ، فهو الذي يوضح للإنسان المسلم أحكام وأعمال ما يحدث عنه من عبادات ومعاملات ، ولا يستغني عنه مسلم حريص على دينه ، لذلك أرجو الله لنا جميعا الفقه في الدين وقدرة الفهم عنه وأتني أتمنى لهذا اللقاء الإيماني كل النجاح لما فيه صالح الإسلام والمسلمين راجيا من ضيوفنا الكرام أن يحملوا معهم الى بلادهم أجل الأثر لما تأثروا به من خلال جلسات الندوة ، ولا يفوتني أن أشكر كل من ساعد من قريب أو بعيد على تنظيم هذا اللقاء الفكري واخص السلطة الاقليمية وعلى رأسها السيد العامل والسيد رئيس المجلس العلمي ، ورئيس المجلس الاقليمي ، ورئيس المجلس البلدي ، والنواب البرلمانيين .

ونخص بالدعاء جلالة الملك الحسن الثاني الذي يرعى هذا اللقاء الفكري بالخير والسؤدد والفلاح فيما يسعى اليه من عمل لصالح شعبه الوفي ، ونسال الله أن يحفظه في ولي عهده الامير سيدي محمد وصنوه المولى الرشيد كما نساله ان يحفظ المسلمين وبلادهم من كيد الكائدين وطمع الطامعين .

نحمدك اللهم على عميم الاثك ، ونشكرك على جزيل نعمائك ، ونصلي على خاتم رسلك وأنبيائك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي اثم الله به النعمة للعالمين وكشف به النعمة ، واقام به الحجة ، وعلى اصحابه ومن اهتدى بهديه وسار على سنته الى يوم الدين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بحوث دورة القاضي عياض

اسم الاستاذ	موضوع بحثه
1 - عبد الله كـجـون	عياض اوليته نشأته العلمية ورحلته
2 - عبد العزيز بن عبد الله	سيرة في عصر عياض
3 - احمد بـجـون	القاضي عياض من خلال ازهار الرضا
4 - د. عبد الهادي التـمـازي	عياض في فلس
5 - ادريس الصـزـوي	أبو الفضل عياض : حياته شخصيته العلمية
6 - د. عبد الكبير المدفري	عياض المصلح الاجتماعي
7 - اسماعيل الخطيب	سيرة مدينة القاضي عياض
8 - احمد بـفـداد	عياض من خلال حياته اللابية ومجته السياسية
9 - عبد الكريم التواتي	صفحات من تاريخ أبي الفضل عياض
10 - أبو بكر القادري	نضالية عياض ودفاعه عن عقيدته ومذهبه
11 - د. عبد السلام الاثيري	موقف عياض من المرابطين والموحدين
12 - جـورت مـصـور	رحلته عياض
13 - سعيد بـوكـبـة	مكانة عياض العلمية
14 - الشاعر الزيتوني	القاضي أبو الفضل عياض
15 - محمد حماد العفلي	حياة عياض العامة
16 - محمد العربي البهلـول	مكانة عياض
17 - أحمد بشقرون	مع القاضي عياض في كتابه الشفا
18 - محمـد الـزرق	عياض خلال تمهيد الرواية الحديثة
19 - د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)	شارك الانوار، بحث في التوثيق
20 - أحمد الجبابسي	موقف عياض من قصة الفرائيق
21 - د. يوسف الكتاني	القاضي عياض المحدث
22 - محمد المـنـوني	كتاب الشفا من خلال روايته ورواياته ومخطوطاته الاصلية
23 - محمد الكبير العلوي	كتاب الشفا في الصحراء
24 - محمد الراوندي	أصل السراج من الشفا وما عليه من طرر وسماعات واسانيد

اسم الأستاذ	موضوع بحثه
25 - عبد الصادق العافية	الصراع المذهبي من خلال كتاب المدارك
26 - مولاي مصطفى العلمي	القاضي عياض والكمال المعلم
27 - عبد الهادي احيسين	عياض خريج مدرسة الحديث الامرابطية
28 - محمد المختار ولد اياه	منهجية عياض في فقه المصليات
29 - د. عمرو الجدي	الر القاضي عياض في فقه الطهيات
30 - محمد صالح	فقه عياض من خلال التبيات
31 - الحجاج ماركسيدي	دور عياض في الازد عن المذهب المالكي
32 - لعبد الجليلي	عياض المجتهد والمقلد
33 - المهدي الوقي	مكتبات من اراء عياض من كتابي الاماع والاكمال
34 - محمد عبد القادر اللاوي	دور عياض في توطيد المذهب المالكي بالمغرب
35 - محمد كنوس	عياض في الميدان الطمسي
36 - د. حسن الزركسي	القاضي عياض مفسرا
37 - محمد الهري	عياض المجتهد
38 - ربي الله ابراهيم الافي	عياض بين سبعة رجال
39 - حسين الناصح	مؤلف عياض من الامام القزالي
40 - محمد العدوي	الجانب الرماني من شخصية القاضي عياض
41 - عبد الله شاكير	تموذج علم القاضي عياض من خلال كتابه : (بقة الرائد)
42 - حمداني ماء العييين	القاضي عياض الشاعر
43 - د. غسان الجبراري	اشكالية الادب في عصر عياض
44 - عبد الله الجبراري	عياض من خلال ادبه وفتنه
45 - علي ابو الفتح	الجانب الادبي في حياة عياض
46 - د. عبد الله العمري	الطامة أبو الفضل عياض كما يراه المشرقيين
47 - مولاي الصديق العلمي	ثقافة عياض وورعه ونفواه
48 - د. عبد الله الطيب	القاضي عياض النافذ
49 - عبد العلي الودغيري	القاضي عياض اللغوي

لقاضي عياض

للاستاذ عبد الله كنون

« أوليته ، نشأته العلمية ورحلته ، ولايته
للشورى والقضاء ، ثناء الناس عليه ، مكانته
الاجتماعية ، ولايته للقضاء بقرنطة ، ترجمته فى
فلاذ العقيان ، الآخذون عنه ، خاتمة حياته ،
تأليفه وتحليلها ، مثال من شعره ونثره » .

وهو ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن
عمرون بن عياض اليحصبي بفتح الياء وتثنية الصاد
بعدها باء موحدة نسبة الى يحصب بن مالك قبيلة
من حمير السبتي الدار والميلاد ، كان سلفه فى
القديم بالاندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس ، وكان
لهم استقرار بالقيروان وانتقل جده عمرون الى سبتة
بعد سكتة فى فاس .

وكانت ولادة عياض فى منتصف شعبان عام
476 ونشأ فى صيانة وعفاة طالبا للعلم حريصا عليه
مجتهدا فيه ، فحفظ القرآن لم جود فرائده بالسبع
على مشيخة يده وغيرهم ، واخذ العلم بها من القاضي
ابى عبد الله محمد بن عيسى التميمي ، والخطيب ابى
القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري ، والفقيه
ابى اسحاق ابراهيم بن جعفر اللواتي وجماعة .

وامتلا وطابه من العلم فقها وحديثا وتفسيرا
وعربية وأدبا ، ولكنه تاق الى المزيد من التحصيل
وسعة الرواية ، فرحل الى الاندلس سنة 507 وعمره
احدى وثلاثون سنة فآخذ بقرطبة عن ابى الحسين بن
سراج وابى عبد الله بن حمدين وابى القاسم بن

بجانب الاصيلي وابى عمران انفاسي يذكر
القاضي عياض فيكون ثالث ثلاثة رفعوا رأس المغرب
فى ميدان الدراسات الاسلامية العليا ، ولا سيما علم
الحديث رواه ودراسة ، والفقه والخلاف على
مستوى المذاهب والائمة ولئن كان اكثر ما بقي من
اثار سلفيه العظيمين هو اقوالهما والنقول المعزوة
اليهما فى امهات الكتب ومراجع هذه الدراسات من
شروح السنة ودواوين الفقه ، والاصول ، فان
القاضي بخلاف ذلك قد كان محفوظا اكثر منهما ، اذ
احتفظت لنا الخزائن العلمية بأهم مؤلفاته ، فشارك
زميله فى انتشار الذكر والشهرة بالعلم واعتماده فى
الحفظ والفهم ، وانفرد منهما ببقاء كتبه شاهدة بعلو
كعبه وطول باعه فى المعارف والفتون .

ثم هو بعد ذلك يمتاز ببراعته فى الادب
وصناعته النظم والنثر ، والخطابة ومعرفته الواسعة
بالاخبار والتواريخ الى غير ذلك ، مما جعل منه
معلما محيطة مفتوحة لكل طالب ورأغب .

اما صفاته وادبانه وديانته المتينة ومكانته
الاجتماعية فهو مما نتحدث عنه فى تفاصيل ترجمته
وناهيك بالقداسة التي يتمتع بها لدى عامة المسلمين
فى شارق الارض ومغاربها .

الشخص بالغناء المعجزة وابي الوليد بن رشد وابن
عتاب وابي بحر الاسدي وابن العواد وابي الفاسم بن
بقي وابن الحاج وابن مغيث وغيرهم ثم شخصس الى
موسمية وقصده أبو علي الصدفني لوجوده قد استخفى
قبل ذلك بأيام لتبديده خطة القضاء من غير ان يفتى
ووجد الرحالين اليه قد نفذت نفقات بعضهم ومنهم
من ابتداء اسماع كتاب عليه فلم يتمه ، واتخذ اكثرهم
في الرجوع الى موطنهم وترك بعضهم فمكث هو لا
يقع له على خبر سوى الظن بانه هنالك وقابل انتهاء
ذلك بأصوله وكتب منها ما امكن على يد خاتمة من
أهله ، ولا يشك ان تصوفه في ذلك لم يكن الا بأمره ،
هكذا يقول ابن الأيثار في معجم أصحاب أبي علي
الصدفني .

ثم يترك قائلا : ولعل شافعه بعد خروجه بمسح
معناه انه لو طال تغيبه لاشعر بالرحيل الى موضع لا
يويه لكونه به فيخرج عشتقيا اليه باصولة ويجمع منه
ما يرغب فيه لما كان في نفسه من اخفاف رشتيه
تعتل رحلتيه .

ومما سمعته عليه كما في فهرسته القيمة
ولخصه ابن الأبار في معجمه المذكور الصحيحان
للبخاري ومسلم والمؤتلف والمختلف ومنسبته
النسبة لعبد الغني والشهاب للقاضي والإشارة للباجي
وأدب الصحبة السليمة وشيوخ البخاري لابن عدي
وعوالي أبي الفوارد الثرثيثي وقراء جامع الترمذي
ورواية المتعلمين لأبي نعيم وللشيباني والناسخ
والمعسوخ لهمة الله والاستدراكات على البخاري
ومسلم والتتبع والالتزامات لهما ثلاثهما للدارقطني
والأربعين حديثاً لأبي نعيم وللشيباني وأوهام الحاكم
لعبد الفتى ، وغير ذلك .

قال ابن الأثير : وعندي أصل أبي علي من كتاب
المؤلف والمختلف للدارقطني وفيه خط عياض
المعارضة خاصة .

وأجاز له أبو علي جميع رواياته وكتب عنه
في أحد عشرة .

على ضروريها واختلاف أنواعها ، وبنى الزيادة القريبة في جامع ستة (1) التي كمل بها جماله وبنى في جبل المتيا الرابطة المشهورة الى غير ذلك من الآثار المحمودة ، والصامي المرضية فعظم جاهه وبعد صيته .

وكلام ابنه هذا يؤيد كل من ترجم له وهو يدل على ما صاوله من مكانة اجتماعية مرموقة الى مكانته العلمية التي لا يتنازع فيها أحد .

وقد كثر ثناء الناس عليه وتقريظ اهل العلم له بحيث قال فيه أبو محمد ابن أبي جعفر ما وصل اليها من المغرب أنبل من عياض ... وقال له أبو الحسين ابن سراج ، وقد أزمع الرحلة الى أحد مشايخ الأندلس لهو أحوج اليك منك اليه .

* * *

وقال ابن الأبار عنه في معجم اصحاب أبي علي الصديقي : (كان لا يدرك شأوه ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الآثار وخدمة العلم مع حسن التفطن فيه والتصرف الكامل في فهم معانيه الى اضطلاع بالآداب وتحقيقه بالنظم والنثر ومهارته في اللغة ومشاركته في اللغة العربية وبالجملة فكان جمال العصر ومفخر الأقط .

ويقول ابن فرحون في الديباج منها بمشاركته في شتى العلوم : (كان القاضي أبو الفضل أمام وقته في الحديث وعلومه ، عالما بالتفسير وجميع علومه فقيها أصوليا ، عالما بالتجو واللغة وكلام العرب وإياهم وأنسابهم ، بصيرا بالإحكام عاقدا للشروط ، حافظا لمذهب مالك ، شاعرا مجيدا ، ريان من الأدب خطيبا بليغا .

وهو كلام أصله لابنه في التعريف بآبيه ولكنه مما تناقله أكثر الذين كتبوا عن عياض تسليما له وإقرارا بالحق فيه . وقد سقطت منه بعض الكلمات مما يتعلق بعمله وحقه ، ونحن ننقله بتمامه بعد أن رأينا أصفاق مترجميه عليه ، فالولد كان أعرف بآبيه من غيره . وهو كان أيضا من اهل العلم وتولي القضاء كآبيه ، فشهادته لها وزنها وتقديرها .

(1) تخضع الاوقاف وتسييرها في الفقه الاسلامي لنظر القضاة فمن هنا كان تصرف القاضي عياض - فيما يظهر - ببناء هذه الزيادة في المجلد .

يقول رحمه الله : نشأ أبي علي عفة وصيانة مرضي الخال ، محمود الأقوال والأفعال ، موصوفا بالنيل والفهم والحدق ، طالبا للعلم ، حريصا عليه ، مجتهدا فيه ، معتظما عند الأشياخ من اهل العلم ، كثير المجالسة لهم والاختلاف اليهم الى ان يسرع اهل زمانه ، وساد جملة أقرانه فكان من حفاظ كتب الله تعالى مع القراءة الحسنة ، وانتفعة العذبة والصوت الجهير والحك الوافر من تفسيره وجميع علومه ، وكان أئمة الحديث في وقته أصولا متكلمًا ، فمبها حافظا للمسائل ، عاقدا للشروط بصيرا بالإحكام ، نحوا ، ريان من الأدب ، شاعرا مجيدا ، كاتبًا بليغا ، خطيبا ، حافظا للغة والأخبار والتواريخ ، حسن المجلس ، نبيل النادرة ، حلو الدعاة ، صورا حلينا ، جميل العشرة ، حوادا سمحا ، كثير الصدقة ذووبا على العمل ، صليبا في الحق ، وبلغ في الشغف في العلوم ما هو مشهور وفي العالم معلوم .

ولما ترجمه ابن بشكوال في كتاب العلة قال : قدم الأندلس طالبا للعلم ثم قال وقدم علينا قرطبة في ربيع الأخير سنة احدى وثلاثين وخمسة مائة وأخذنا عنه بعض ما عنده ... وكلمته اثنائية تصحح كلمته الاولى فانه كما قدمنا لم يرحل الى الأندلس حتى تملأ من العلم وأصبح نهجه منه ولم يكن قصده الا لقاء الشيوخ والاتساع في الرواية والا لما أخذ ابن بشكوال عنه في رحلته هذه وهي رحلته الوحيدة ليس له غيرها الى ان قدم اليها قاضيا فيما بعد ذلك على ما ماتى .

وعلى كل فان مكانته العلمية التي توطدت بدراسته الجامعة على مشيخة بلده ومن مر بها من غيرهم ، قد زادت تمكنا برحلته الأندلسية ومن لقي بها من الإعلام ، كما تدل عليه شهادات من ذكرنا وغيرهم مما يطول تتبعه .

أما مكانته الاجتماعية فقد كانت متوطدة بأبوه الكريمة ، ان جده عمرو الذي استقر بسبته كان من اهل الفضل والدين ، حج مرارا وغزا كثيرا وبنى مسجدا وأوقف عليه بعض الدور كما أوقف أرضا لدفن الموتى ، ولا شك ان هذه الاعمال قد اكتسبت ولده نباهة وذكرًا حسنا ، ثم زاد ذلك بظهور حفيده

وارتفاع درجته في العلم وولايته لقضاء سيرته الحميدة فيه والمشاريع العمرانية التي قام بها من الزيادة في المسجد وبناء الرابطة وغير ذلك على ما اجمع اليه ابنه في النبذة التي نقلناها عنه ، وهي مما اكده غيره من المترجمين له ، الشيء الذي جعله الشخصية المرموقة ان لم نقل الشخصية الاولى في البلد .

وهنا شأن عياض فدعي الى تولي القضاء بقرنطة فكسر العادة التي كانت تجعل القضاء ياتون من الاندلس الى المغرب ، ولتستمع الى احد علماء قرنطة وهو ابو زيد عبد الرحمن ابن القصير يصف دخول عياض الى هذه المدينة فيقول : « لما ورد علينا القاضي عياض قرنطة خرج الناس للقاءه وبرزوا تبرزا ما رايت لامير مؤمر مثله ، وحزرت اميان البلدة الذين خرجوا اليه ركابا نيفا على مائتي راكب ، ومن سواد العامة ما لا يحصى كثرة ، وخرجت مع ابي رحمه الله تعالى في جملة من خرج فلقينا شخصا بادىء السيادة متبينا عن اكتساب المعالي والافادة .

وكانت ولايته لقضاء قرنطة في ايام ناشفين بن علي اللمتوني المرابطي اول يوم من صفر سنة 531 قال ولده في كتاب التعريف : فنهض اليها وتقلد خطة قضائها ، على المعتقد من شيمته السنية واخلاقه المرضية ، مشكورا عند جميع الناس ، لكن ناشفين ضاق به ذروعه وغص بمراقبته ، وصد اصحابه من الباطل ، وخدمته عن الظلم ، فصرفه عنها في رمضان سنة 532 ، يعني ان ولايته لم تدم الا سنة وبضعة اشهر ، وذلك لما اخذ نفسه به من الجهد والاستقامة والضرب على ايدي اهل العبث والفساد وتقدم عن ولده في ولايته لقضاء سبتة ، انه احسن السيرة واتام الحدود ، وهنا يحضرنا ما روي عنه انه اقام حد الشرب على الكتابي الشهير الفتح بن خاقان ، صاحب القلائد والمعطمح ، فانه دخل عليه وهو سكران ، فامر باستنكاهه فوجدت منه رائحة الخمر فنفذ فيه الحد ، ولما خرج اتبعه بضلة ، وذلك منتهى الشرع والمجاملة للاديب الاندلسي اللامع ، في آن واحده .

ويقال ان هذا عزم على حذفه من كتابه القلائد ، فقليل له ان ذلك ادعى لاشتهار هذه القضية ، وتساؤل الناس من عدم ذكره للقاضي عياض وهو من هو علما وادبا وجاها ، فعمل عن ذلك .

والقصة لعمرى مما يذكر في مقريته الاخبار ، وهي تدل على ان ما وصفه له ولده في كتاب التعريف ، دون ما كان عليه من الصرامة في الحق والقيام بواجب الخطة ، لان من فعل هذا مع شخصية معروفة لها وزنها وقيمتها في الاوساط الادبية والفكرية ، اخرى ان يكون مع غيرها بالوصف الذي ذكره به ، ولذلك فان تأخيره عن قضاء قرنطة من قبل ناشفين بن علي هو كما قال ولده لشدة على اهل الظلم والباطل من رجاله واتباعه بدون شك ولا ريب .

وهنا يحسن ان نورد ما كتبه عنه الفتح ابن خاقان في القلائد ، وهي فتلكة جمعت ما وصف به من اصالة ورسوخ وتفنن في عبارات معجبة ، ونقر مطربة ، هذا نصها : الفقيه الحافظ القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله تعالى ، جاء على قدر ، وسبق الى ليل المعالي وابندر ، واستيقظ لها والناس قيام ، وورد ماءها وهم حيام ، وثلاثي المعارف ما شكل واقدم على ما احجم عنه سواء وتكل ، فتحت به للعلوم تحور ، وتجلت له منها حور ، كانهن البياقوت والعرجان ، لم يطمسهن انس قبله (1) ولا جان ، قد الحقه الاصاله رداءها وسقته انداءها والقت اليه الرياسة اقبالها ، وملكتها طريفها وتليدها ، فبد على فتاله الكهول سكونا وحلما وسبقهم معرفة وعلم ، وازوت محاسنه بالبر اليباح ، وسرت فضائله سرى الرياح ، فتشوقت لعلاه الانظار ، ووكفت تحكي نداه الامطار ، وهو على اعتناؤه بعلوم الشريعة ، واختصاصه بهذه الرتبة الرفيعة ، يعني باقامة اود الادب ، وينسل الى اربابه من كل حذب ، الى سكون ووقار كما وما الطود ، وجمال مجلسم كما جلست (2) الخود ، وعفاف وصون ما علما (3) فسادا بعد الكون ، وبهاء لو راته الشمس ما باهت باضواء وحفر ولو بان للصبح ما لاح ولا اسفر ... » واستقر عياض بعد ذلك ببلده معزوا مكروما ، يخدم

(1) في الاصل : قبلهم على لفظ الآية والمناسب هنا افراد الضمير .

(2) في الاصل : جلست بالحاء ونظن صوابها جلست بالجيم .

(3) في الاصل : علمنا والصواب ما اثبتناه .

العلم بالدرس والتأليف ، وكان حسن الالتقاء للمسائل كثير التحرير للنقول ، وقد انتفع به من العلماء ما لا يحصى ، كابي زيد ابن القصير المتقدم الذكر ، وابي جعفر بن مضا و ابن بشكوال على ما سبق عنه وابن غازي السبتي وابي جعفر بن حكم ، ومن طريقهم روى كتبه وغيرهم ، وكان كثير الاعتناء بالمقييد ، بارع الخط ، يقول ابن خاتمة في كتاب المزية على ما نقله عنه المقرئ في ازهار الرياض :

وفقت على خطه رحمه الله فرايته خطا رائعا ، وكان سريع الوضع (4) ، ويدل على ذلك كثرة أوضاعه وكتب من ذلك كتبا كثيرة بيده .

وكانت هذه حاله الى ان ولي قضاء سبتة ثانية في عام 539 ، قدمه ابراهيم بن تاشفين بن علي ، فابتهج اهل بلده بملك ، ثم بدر بالدخول في امور الموحدين اثر ظهورهم فاقره عبد المومن على ما كان عليه ، وصرف امور بلده اليه ، وخطابه بالتبوية وحظي عنده ، واجتمع به بمدينة سلا عند توجهه الى محاصرة مراکش ، فلقى منه برا واقبالا وتامنا ، الى ان اضطربت امور الموحدين عام 543 والثابت حاله معهم بثورة اهل بلده عليهم ، فنقلوه الى مراکش حيث توفي في جمادى الاخيرة وقيل في رمضان سنة 544 .

وقيل انهم ولوه قضاء بلدة داي بنادلا وهي بلدة الصومعة ، ويروى له شعر مما قاله فيها يشكو الغربة ويتشوق الى بلده سبتة .

وكترت الشائعات حول موته ، فقيل ان المهدي ابن تومرت امر بقتله ، وقيل انه مات فجأة في الحمام بدعاء الغزالي عليه لانه ممن افنى بحرق كتاب الاحياء ، وقيل انه مات مسموما سمه يهودي ، ولا صحة لذلك كله .

والثابت انه مات ميتة طبيعية بعد مرض قصير مغربا عن بلده بسبب تورطه في الثورة على الموحدين - وأن هؤلاء عاملوه معاملة خاصة - نظرا لعلهم وفضله ، وأنه دفن بمراكش بباب ابلان داخل المدينة حيث يوجد قبره الآن رحمه الله ورضى عنه .

* * *

14- سريع الوضع اي التأليف ، والأوضاع : التأليف .

الف القاضي عياض عدة كتب كلها جليدة ومفيدة ، وبعضها لا تطير لها ولم يسبق بمثله ، ومنها كتاب الشفا ، في التعريف بحقوق المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي طار به صيته في العالم الاسلامي وتلقته الامة بالقبول ، واصبح احد الكتب التي تحظى بالتقدير من لدن اهل المعرفة وعوام المومنين ، يقول ابن فرحون في حقه : (ابدع فيه كل الابداع وسلم له اكفأه كفاءته فيه ولم ينازعه احد في الانفراد به ولا انكروا عزته في سبق اليه ، بل تشوفوا للوقوف عليه وانصفوا في الاستفادة منه وحمله الناس وطارت نسخته شرقا وغربا .

وقد مدح بشعر ونثر كثير ، وطعن الحافظ الذهبي فيه بكونه محتويا بالاحاديث الموضوعية والتأويلات الواهية لم يسلم له ، فم فيه من الموضوع قليل جدا وكذلك ما فيه من الضعيف .

ومن اقرر ان الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل ، والحقيق ان بناء كتاب الشفا على آيات الذكر الحكيم وصحيح الاخبار واثوال العلماء ، والنقول الشائعة عن ائمة التفسير ، ورواة السيرة ، وما تخلله من الضعيف وما قيل فيه انه موضوع انما ياتي به بعد ذلك للاستيناس والاعتيار ، وقد خرج احاديثه الحافظ السيوطي في كتابه مناهل الصفا ، وبين ما فيها فليفتقر ، وما احسن ما قيل في هذا المعنى من قصيدة للشيخ ابي محمد بن عبد التور العمراني ، مدح بها الشفا ومؤلفها :

شفا بالتفا ما في النفوس فلم يدع
مقالا للذي قول يحجر ولا سر

نعم اقساما وبوبها معا
وفصلها مقبولة العلم والذكر

وقدم آيات الكتاب الشفي بها
سما قدره فوق السماكين والشر

وتنى باخبار صحاح شيرة
كما اتبعتم شمس السموات باليد

وكم غاص في بحر المعارف يشتقى
من الدر ما قد غاب في غامض البحر

فجود منها كل قاص وشمارد
وما ضله الحفاظ في سائف أدهر

وكل غريب النقل صحت طريقه
وكل طريق المتن عار عن النكر

الحق منها كن نوع بجنسه
وربها مثل الجمال على النحر

راجري علوما بين ذلك جليله
فيا حسن ما يروى ويا حسن ما يجري

وقد كتبت على الشفا شروح كثيرة يطول
تيسرها ، وذلك مما يزيد دلالة على أهميته والاحتمال
به من علماء جميع العصور التي تلت عصر مؤلفه .

ومن كتبه الحفيلة القيمة كتاب مشارق الأنوار
على صحاح الآثار فسر فيه غريب حديث الموطأ
والبخاري ومسلم وضبط الألفاظ وأسماء الرجال
ونبه على مواقع الأوهام والتصحيقات ، قال فيه ابن
فرحان : (وهو كتاب لو كتب بالذهب أو وزن
بالجوهر لكان قليلا في حقه وفيه أشد بعضهم) .

مشارق أنوار تبلى بسببته
ومن عجب كون المشارق بالمغرب

وهذا البيت مما كان ينشده أبو عمرو بن
الصلاح ، قال ابن الأبار أخبرني بذلك من أصحابنا من
سمعه ، وكان بعض العلماء يقول عنه :

(لا أحتاج في كتب الحديث إلا للمشارق فإذا
كان عندي فلا أبالي بما فقدت منها) ، وهو يعنى
ولا شك شروح الحديث ، فإن المشارق يقوم مقام
الكثير منها بما فسر من الفاظ الحديث الواقع في
الأصول الثلاثة المذكورة وبين من معانيها وما ضبط
من أسماء الرواة ونبه على مشبهها وما أصلح من
الأوهام والأغلاط التي وقعت في أسانيد تلك الكتب
أو متونها إلى غير ذلك مما إذا حققه القارئ المعنى
يكتب الحديث وروايته والنظر فيه ، وهو من أهل
العلم والفقه فإنه يستغنى بالمشارق عن الرجوع إلى
الشروح والتعليق التي كتبت على أمهات كتب السنة
وأصولها مما هو موضوع المشارق وغيره ، لأن غالب

أحاديث الصحاح الثلاثة المذكورة في غيرها بروايتها
فعلينا المدار ، ولذلك كثر النقل عن عباس في
كتابات أئمة الحديث وشروح السنن كما قال الشيخ
محمد الأمين الحصري في كتابه المجد الطارف
والتلبد : (وانظر إلى عباس فلا ترى تاليفا معتبرا من
تأليف أهل الحديث ولا أصحاب السيرة والتهام إلا
وجدته مشحونا بكلامه ، مع أنه لم يرتحل إلى المشرق)
يعنى والنقل عنه والاعتماد عليه مما يتساوى فيه
أهل المغرب والمشرق بل في المشرق أكثر ،
وبالجملة فإن قيمة كتاب المشارق لا تصرف إلا
بالوقوف عليه وممارسته وقراءة مقدمته .

ومن كتبه الحديثة المهمة كتابه إكمال المعلم ،
أكمل به شرح شيخه المازري المسمى بالمعلم بفوائد
صحيح مسلم ، ذكر في أوله أن طلبته رغبوا إليه في
كتابة شرح عليه بين مشكله ويقيده مهملة لأنه لم
يؤلف في شرحه إلا ما ذكره شيخه أبو علي الجبائي
في تقييد المعلم من الكلام على مشكل أسانيد مع
مشكل أسانيد البخاري وكتاب المازري ... قال
لكن الإحاطة على أبشर ممثلة ومنازع الأذهان
والآليات للبحث متسعة ، وكثيرا ما وقفنا في الكتاب
المذكور على أحاديث مشككة لم يقع لها هناك تفسير
وفصول محتملة تحتاج معانيها إلى تحقيق وتهدير ...
ثم قال أنه رأى أن تأليف كتاب جامع لشرحه لا معنى
له ، مع ما تقرر في (المعلم) من فوائد جمة لا تهاهي
فياني الكلام في ذلك فأنبأ كالحديث المعاد ، ولذلك
قرأه أن يكون شرحه ذيلًا لشرح شيخه ، يبدأ بما
قاله ثم يضيف إليه ما زاده عليه ، ومن ثم سماه
إكمال المعلم اعترافًا بفضل السبق لإمام المازري
وهذا الكتاب هو أيضا مما أفضل به على علماء
الحديث ونشر له ذكرا عاترا بينهم ، وقد أتم به ما
بدأه في الكتاب قبله بخصوص صحيح مسلم كما المع
لذلك في مقدمة المشارق .

ومنها كتاب الإلماع إلى معرفة أصول الرواية
وتقييد السماع ، وهو في علوم الحديث قريب في
بابه ، جمع ما في كتب الفن قبله ، وأضاف إليه تكتا
غريبة من مقدمات علم الآثار وأصوله وفصولا هامة في
أقسام الرواية والتحمل ، مع مزيد من الضبط
والإتقان ، والتحري في السماع والآداء وفيه يقول
الدكتور أسد رستم : (على الرغم من مرور سبعة
قرون عليه ، فإنه ليس بإمكان رجال التاريخ في أوروبا

وأمرىكا أن يكتبوا أحسن منه ، وأن ما جاء فيه من مظاهر الدقة في التفكير والاستنتاج في باب تحري الرواية والمجيء باللفظ ، يضاهي أدق ما ورد في الموضوع نفسه في أهم كتب الأفرنج في ألمانيا وفرنسا وأمريكا واتكلترا .

ومن كتبه في الفقه على مذهب الإمام مالك كتاب التنبهات المستنبطة على المدونة والمختلطة ، حل فيه ألفاظ المدونة وضبط مشكلاتها وحرر رواياتها وسمى رواياتها ، فصار عليه المعمول في شرحها لانه جمع بين طريقة أهل السراشق الذين يجمعون مسائل المدونة كالاساس ويبنون عليها تفريعات المذهب من غير نظر في تصحيح الروايات ومناقشة الالفاظ ، وطريقة أهل القيروان الذين يبحثون الالفاظ ، ويحققون الروايات وذلك لقوة عارضته وسعة اطلاعه ، فوضع بذلك متجعا جديدا للفقهاء والباحثين في أصول المذهب ممن أتى بعده .

ومن كتبه العظيمة الفائدة في الطبقات : والتراجم كتاب ترتيب المدارك ، وترتيب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، المشهور باسم المدارك ، وهو كتاب سديد فராغا عظيما في هذا الباب ولم يقم قبله ولا بعده من فيه ، وإنما حسب كتاب التراجم والطبقات أن ينقلوا عنه ويلخصوه ويذيلوا عليه ، ومع ذلك فاتهم لم يحاكموه أو يقاربوا ، فأخرى أن يتوا بمثل نفسه العالي ، وقد كان قدوة بغيره من اتباع المذاهب الأخرى فالغوا في طبقات علماء مذهبهم كتباً تختلف باختلاف مداركهم ومشاربهم .

وفد استهله بمقدمة ضافية في ترجيح مذهب مالك وبيان القواعد التي بني عليها والمقارنة بينه وبين المذاهب الأخرى ، ثم أتبع ذلك بترجمة واسعة للإمام مالك لم يترك فيها شاذة ولا فادة مما يتعلق بحياته الشخصية والعلمية إلا أتى بها ، وبعدها شرع في ذكر تراجم علماء المذهب مرتبا لهم على الطبقات . فأتى بالعجب العجيب في ذلك لا سيما في تراجم الكبار منهم والمشهورين سالكا في ذلك المنهج العلمي النقدي مطبقا قواعد النظر المنبئة عند الأمة الحديث في الرواية والرواة ، مما بينه في كتابه الاعلام السابق الذكر ، توثيقا وتوهينا ، وبيان وهم وتصحيح خطأ وما أتى ذلك .

يقول في ترجمة إبراهيم بن حماد : وزعم ابن كامل أنه كان ينهم بالنصب وأن القاضي أبا الحسين كان يحقق عليه ذلك وأنه خرج حديث مواخاة النبي (ص) لعلي من كتاب عمه اسماعيل وابن كامل كبير الحمل على آل حماد بن زيد متتبع لعثراتهم الخ .

ويقول في الامام الأشعري : (وقد روي في أمره حديث لا أعلم له أصلا ولا رويته فلا أذكر ، ومن رأى أنه كان ابتداء أمره معتزليا ثم رجع إلى هذا المذهب فهذا لا ينقصه ، فقد كان من هو أفضل منه أولا كافرا ثم أسلم ، بل هذا أدل على ثبات قدمه وصحة يقينه في التزام السنة ، إذ لم يلتزمها لأنه نسا عليها ولا اعتقدها تقليدا إلا بما تور الله قلبه وأبشده بروحه .

ويقول في محمد بن يحيى بن لبابة ابن أخي ابن لبابة الكبير ، قال بعضهم : ولم يكن له علم بالحديث وكان يتحرف عنه ، قال عياض : أما قلته علمه بالحديث قطاهرة وأما انحرافه عنه فلا ، بل يعيّل إليه في تواليغه ، وإذا اعتمد على نظره في مسألة أو ضعف فيها قول المدنيين ، كثيرا ما يقول : إلا أن يأتي بذلك أثر صحيح .

ويقول في ترجمة البرادعي وذكر كتابه التهذيب : على أن أبا محمد عبد الحق الف عليه جزءا فيما وهم فيه على المدونة ، وأنا أقول أن البرادعي بنحوه من انتقاد عبد الحق ، فإن جميع ما انتقد عليه لفظ أبي محمد رحمه الله (يعني ابن أبي زيد) .

ويقول في ترجمة عبد الله بن مسرور : أشهد أنه رجع في أجازته لقوم ساءت حالهم ، قال عياض : مثل هذا لا يضر الرواية ، وقد فعله بعض من لقيناه ببعض من سخطه من أصحابه ، ولعله لم يخف عليهم أن الرجوع فيها لا يصح لكنه كالردع .

ويقول في ترجمة ابن غافق ، وزعم الشيرازي أنه تفقه بعلي بن زياد وهذا وهم ، لأن ابن غافق ولد بعد موت علي بن زياد بأزيد من عشرين سنة .

عده أمثلة قليلة من طريقة عياض في كتابه التراجم وتحريره لها وتقده لما تتضمنه من خطأ أو

وهم بسبب تساهل الرواة أو غفلتهم أو غير ذلك من الأسباب ، ومنها يعلم ان الكتاب عظيم القيمة والتمتع جليلة الفائدة والقدرة .

ومن كتبه في التراجم أيضا كتاب الغنية ، وهو فهرسة الشياخه وما أخذ عنهم بقراءة وأجازة مع ذكر أسانيدهم ان كانت لهم رواية وقد بلغ بهم عدد المئه وقال انه ترك جماعة ممن لفهم وذاكرهم وحضر مجالسهم من الفقهاء والرواة ولكنه لم يحمل عنهم من الكتب والحديث شيئا .

وباقى كتبه هي بقية الرائد لما تضمنته حديث أم زرع من الفوائد ، ومعجم شيوخ أبي علي الهادي ، والأعلام بحدود قواعد الإسلام وسر السراة في ادب القضاة ونظم البرهان في زجج الأذان ، والفنون السنة في تاريخ سبعة ، لم يكمل ، وغنية الكتاب وبغية الطالب في السندور والترسيل ، ومجموعه خطب واجوبة عن المسائل التي رفعت اليه ، وباريع يشير اليه كثيرا في كتاب المبارك وذكره بعض مترجميه بجامع التاريخ وغير ذلك ، من مشروعات كتب لم تكمل .

وقد طبع من هذه الكتب كتاب الشما ، طبعت لا تعد ، وكتاب المشارق ، وكتاب المدارك ، وكتاب الإلماع ، وكتاب قواعد الإسلام ، وباقيا بعضه يوجد مخطوطا وبعضه الآخر يعد في حكم المفقود ، وليس رحمه الله ظم سيال في النثر القلي والمرسل ، وشعر بديع ، وبهذه الصفة الادبية ترجم له الفتح في القلائد وقال : وقد آتيت من كلامه الديق اللفاظ والاعراض ، وما هو أسحر من العيون التحل والجفون المراض . فمن ذلك رقعة حملناها للرئيس أبي عبد الرحمن بن طاهر رحمه الله وهي :

أعمادي أبا نصر مثنى الوزارة ووحيد العصر
هل له في مئة نفوت انحصر تحف محملا وبلغ أملا
وتشكر قولاً وعملاً تترنم بها الحداء حميلاً ورملاً اذا
بلغت الحضرة العلمية مستلماً ولقيت الظاهر ابن
طاهر فخر الوزارة مسلماً وحملت من قنائه الارحيب
حرماً ولمست بمعايافته ركن المجد يندى كرمها
فقف شوقى بعرفات تلك المعارف وانك شكوى
بمشاعر تلك المعارف واطلف أكباري بكنة ذلك
الجلال سبعا وبوى لودي في عز ذلك الكمال ربعا

وابلغ عني تلك الفضائل سلاسا يلتقم بصريح الحق
النشاما وبحسن عني يظهر القيب مقاماً ويسبر عني
بارج الحمد انجاداً أو انهاماً .

وهي كما ترى قطعة يليفة لا تقل عن نثر ابلغ
الكتاب من أبواب الصناعة والملتزمين بهذا الفن
الرفيع ، أما نشره المرسل ففي كتبه نماذج منه ولا
سيما في كتاب الشما تشهد بتصرفه وطول نفسه .

وأما شعره فمن ارقعه نسجا واشفه عن نفسه
تعبيرا قوله يودع قرطبة :

أقول وقد جد أرتحالي وغردت
حداتي وزمت للفراق ركائبني
وقد غصت من كثرة الدمع مقلتي
وصارت هواء من فزادى ترائبني
ولم تبق الا وقفة يستحسنونها
وداعني للحياب لا للحيائب
رعي الله جيرانا بقرطبة الغلا
وسقى رباها بالعباد السواكب
وحيا زمانا بينهم قد الفسه
طليق المحيا مستلان الجوائب
اخواننا بالله فيها تذكروا
معاهد جبار او مودة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفانهم
كاني في اهلي وبين اقاربني
ومنه يتشوق الى بلده ويشكو الغربة وهو
فاض بداي :

اقمرية الإدواح طرحي
أخا شجي بالشوح أو بغناء
لقد ارقنتي من هيلك وفه
تضمض منها زفرة الصعداء
لعلك مثلي يا حمام فاني
غريب بداي قد نقلت لدا

كنية خضراء مهزومة
شقائق النعمان فيها جراح

وله وقد جنسه جناسا كاملا لطيفا :

يا من تحمل مني غير مكشورث
لكنه للضنا والمقم أوصى بسي

تركتني مبهتهم القلب ذا حرق
أخا جوى وتباريح وأوصاب

أراقب النجم في جنح الدجى
سهرًا كأنني راصد للنجم أوصابي

فكم بين داي من قلاء وسبته
وخرق عظيم الخافقين خسراء

لعل الذي كان التفرق حكمه
بجمع منا الشمل بعد تناء

وله في خامات زرع بينها شقائق النعمان هبت

عليها رياح :

أنظر إلى الزرع وخاماته
شقائق وقد ماست أمام الرياح



سبته

فب عصر عياض

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

غيره (1) على أنه هو نفس (تاريخ العربطين) الذي انتهى فيه إلى عام (540 هـ) متوعبا أخبار (سبته) ورجالها وما جرياتها .

(2) (العيون الستة في أخبار سبته) (2) لم يكمل غير أن هنالك رسائل ودراسات أخرى من بين المفقودات هي مظنة لاحتواء معلومات هامة عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في (سبته) مثل :

- 1 - كتاب خطبته (سفر) .
- 2 - (مسألة الأهل المشروط بينهم التزاور) (جـ جزء) .
- 3 - (المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان) .
- 4 - (الإجابة المعجزة على الأسئلة المتخيرة)
- 5 - (سر السرقة في آداب القضاء) .

أن الكشف عن تاريخ بلد ما يستلزم التعرف على مجالات جوهرية تتصل خاصة بمعطيات الفكر والاقتصاد والاجتماع وهي أهم العناصر الحضارية التي تشكل بنية أو هيكل مجتمع من المجتمعات ، وقد نحاول عبثا استشفاف هاته المقومات مجهومة في بعض كتب التاريخ فلا نجد منها إلا نتفا مبعثرة لا ترتسم فيها صورة متكاملة عن الوجه الحضاري الصحيح فلذلك انكب الباحثون - وخاصة في المغرب - على استخلاص العناصر التكوينية لذاتيتنا وكياننا من كتب التراث سواء منها الفقهية من نوازل وفتاوى إلى رسائل السير والتراجم والمناقب لها قد تحتوي عليه من سمات وشارات حيية من خلال المعاجيز الفردية أو الأحداث الجماعية وتطبق هذه الظاهرة على عصر القاضي عياض الذي لم تصلنا المؤلفات التي أفردها لتاريخ (سبته) والتي منها :

- 1 (الجامع في التاريخ في أخبار ملوك المغرب والاندلس وخاصة سبته) أشار إليه عياض نفسه في ترجمة عبد الله بن ياسين كما أشار إليه

- (1) الذهبي في تذكرة الحفاظ ج 4 ص 97 نقلا من تلميذ عياض محمد بن حمادة البرنسي السبتي (أزهار الرياض ج 2 ص 239) .
- (2) هذا هو عنوان اسمه حسب (كشف الظنون) ج 2 ص 1186 و (هدية العارفين) ج 1 ص 805 وبسماء صاحب (الأحاطة) ص 183 (الفنون الستة) وكذلك ولده في (التعريف) ص 133 والمقرري في (أزهار الرياض) ج 2 ص 239 .

(التثبيبات المستنبطة على الكتب المدونة)
والمختلطة (8) و (مطامح الافهام في شرح
الاحكام) (9) .

وكانت النوازل تشمل الابواب التي احتواها
(كتاب التعريف) من اقصية وشهادات ودعاوي
وايمان وحدود وجنايات واُزيد من اربعين بابا آخر
تجد فيها فتاوي واجوبة للقاضي عياض وابن رشد
الجد وابن سهل وابن أبي زيد القيرواني وابن الحاج
القرطبي ونوازل القرويين وهي فذلكة يمكن ان
نستخلص منها جوابات ظلت في الغالب غامضة في
ننايا التاريخ المغربي وفي (كتاب التعريف) معلومات
شيقة طرية حول العلاقات التجارية برا وبحرا مع مدن
مغربية واندلسية في عصر القاضي عياض على ان
القاضي عياضا لم يغفل بعض مجالي الحياة في سبته
عند ترجمته لشيخه المائة في (القتيبة) (10)
و (المعجم في شيوخ ابن سكرة (11) فقد اشار الى
كثير من احوالهم ومن هؤلاء الشيوخ أبو الوليد ابن
رشد الجد ومحمد بن أحمد بن خلف التجيبي الشهير
بابن الحاج قاضي قرطبة (صاحب نوازل الاحكام)
وأبو بكر بن العربي المعافري وأبو بكر بن عطية وعبد
الله بن محمد بن السيد البظليوسي وأبو علي الجبالي

6 - (مذاهب الحكماء في نوازل الاحكام) (3)
لمحمد بن عياض ولعله اقدم وثيقة حول النوازل
بالمغرب بعد « نوازل القرويين » (بالقيروان) ونوازل ابن
رشد الجد وابن الحاج القرطبي ، وتعطينا صورة عن
جوانب كثيرة من تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي
وبالرغم من كون جامعها هو ولد القاضي نان الاصل
هو يطابق جمعها عياض نفسه تحت عنوان (اجوبة
القرطبيين) ادرج فيها بعض النوازل التي اعترضته
في مدة قضائه ، وقد وصف القاضي عياض من خلال
النوازل والفتاوي مجالات مختلفة تشكل مدونة
العمل السبي (4) كابتكار رائد للعمل الفاسي والعمل
الرباطي والعمل الموسمي والعمل التطواني (5) كما
تضيف معطيات لا تمتوعبها عادة كتب التاريخ فهي لا
تعرض ما ضاع من المصنفات التاريخية للقاضي
عياض فحسب بل هي مكمل ومحققة للمسؤولية
المتوخاة في مثل هذا المجال ، ويتجلى ذلك في
(اجوبته فيما نزل في أيام قضائه من نوازل
الاحكام) (6) او في (الاجوبة المعجزة عن المسائل
المتخيرة) (7) وهي معان شاذة فيما اجاب عنه
القاضي من مسائل تبلور فيها بعض الجوانب
الخاصة التي تلقى ضوءا زائدا على الخلفيات القائمة
في اللوحة وقد برزت خلفيات اخرى في كتابه

- (3) توجد نسخة في الخزانة الملكية بالرباط خم 4042 (78 ورقة) .
- (4) ربما اقتبسه هو نفسه من (العمل القرطبي) ودونه في (اجوبة القرطبيين) التي جمعها ولده مع
اجوبة غير اقرطبيين .
- (5) الفقيه (الحايك) من اولاد الحايك اشراف من دسكرة اولاد (بني صالح) قرب تطوان له (نوازل
في الاحكام الشرعية بتطوان) ادمجها سيدي (المهدي الوزاني) الفاسي في نوازل الصغرى
وطبعت في المطبعة العامة في اربعة اجزاء استنسخها منه واضافها الى نوازل وهو يحكي عنه
باسم (الحايك) .
- (6) لم يكمله وهو جزء حسب (الإحاطة) ص 183 و (التعريف) ص 134 او جزءان تبعا لرواية المقرئ
(ازهار الرياض ج 2 ص 239) .
- (7) لم يكمله عياض وضعه ولده (التعريف ص 133) الى بطائق أبيه .
- (8) قدره ولده بعشرة اجزاء حل فيه الفاظ المدونة ومشكلاتها ورواياتها .
- (9) ذكره في (كشف الظنون) ج 2 ص 1718 وفي (هدية العارفين ج 1 ص 805 .
- (10) فهرسة في اصطلاح الحديث وسماعه (مكتبة مدريد 307 / نسخة بالخزانة الاحمدية السودبية
بفاس / الخزانة العامة بالرباط (خع 1807) (132 ص) (خع 1732) (158 ص) / خزانة
القرويين (1732) وتوجد فهرسة لعياض في مكتبة الكلاوي ، وللقاضي ايضا (غنية الكاتب وبغية
الطالِب) في التصدير والتذييل وفهرسة اخرى هي (الاماع في ضبط الرواية وتقييد السماع)
(الاسكوريال - ايا صوفيا) .
- (11) هو حسين بن محمد الصديقي قاضي موسية (514 هـ - 1120 م) .

حين بن محمد الغساني رئيس المحققين بقرطبة وهو صاحب (تقييد المهمل وتمييز المشكل في رجال الصحيحين) وأبو علي الصديقي وهنام بن أحمد الهلالي المعروف بابن بقوى (وهو من حفاظ الحديث المعتمدين بالتلقي عن معانيه واستخراج الفقه منه توفي عام 530 هـ) وابن شبرين محمد بن عبد الرحمن ، ومن شيوخ عياض الدين أجازوه أبو بكر الطرطوشي (صاحب مختصر تفسير الثعلبي) ومحمد بن علي المازوري (من صقلية) وأبو الظاهر السلفي امام المحققين الخ . (12)

وقد انتشرت معلومات شيقة عن (سبتة) في نيا ما كتبه القاضي عياض وولده من غير كتب التاريخ أو ما صدر من تعاليق وشروح على تصانيفهما أو ما ورد في مصنفات لاحقة ربما اقتبست من الأصل المفقود ، ومن هذه المعطيات التي تملأ بعض الليئات الشاغرة والعلاقات المفقودة في هذا الهيكل ما ترويه من أن عياض بنى في (سبتة) الزيادة القريبة في جامعها (الذي شاهده شيخه القاضي محمد بن عيسى بأمر من يوسف بن تاشفين وزيد فيه إلى أن أشرف على البحر) (13) وكذلك الرابطة المشهورة بجبل الميناء (14) كما أشرف على إنشاء طالع سبتة المعروف بالناظور (15) و (المينة) مدينة قرب سبتة بنيت أسوارها في أعلى (جبل الميناء) في عهد محمد بن أبي عامر وظلت خالية لعجز أهل سبتة عن الانتقال إليها (16) والميناء هي غير الميناء أو المرسى التي كانت جزءا من المدينة قائما بنفسه حيث كان مضرب الميناء سواقا يتخذها (حاكم الميناء) لبيع ما يستخرج من السمك ونحوه وكان للمضارب عامل نثار في فوائدها وما تحتاج إليه من نفقة وآلة (17) وقد ظل التبادل موصولا بين ميناء سبتة وبعض

مراسي المغرب حيث حدثنا ولد القاضي عياض عن أحد تجار سبتة وهو (سفيان بن يعقوب بن مرور المصمودي القصيري) نسبة إلى قصر مضمودة أو القصر الصغير أو قصر المجاز) كان قد أوسق عنده سليمان الصنهاجي بمراسي مازيفن (الجديدة اليوم) تمنا وشعيرا . . (18) ولعل بحر سبتة كانت له خواص جعلت منه مركزا اقتصاديا هاما منذ عهد القاضي عياض ولم يكن ما وصفه الانصاري في اختصاره سوى امتداد لهذا الدور الطلائسي فإن بعض انواع الياقوت كانت تستخلص من أعماق مياهه فهناك مكان بسبتة يسمى (التوتة) به كثير من الياقوت الأحمر وكان ساحل جبل موسى على تسعة أميال من المدينة مقسما للمرجان (19) . وقد كثر الحديث في عصر القاضي عياض عن قرية (بليوثس) حيث ورد أن القاضي عياض كان له مسجد بقرية بليوثس يجلس كل عشية على دكانه فيتوارد عليه طلبته (20) وتناثرت هنا وهناك شارات عابرة تصف لنا بعض مظاهر هذه القرية التي كان لها دور كبير كمصطاف بحري للمنطقة وبلوح أن منتزهات الاصطياف هذه كانت تجلب الكثير من الناس حيث كان بعض أهل ناس يقنون رباعيا بسبتة مثل (محمد بن حماد) الذي اشترى له وكيله محمد ابن حصون بن مشرق سبعمائة مثقال غير عشرين رباعا وبنى له بنايات كثيرة دون أن يتحمل في ذلك كله أكثر من ثلاثمائة دينار وتسعين (21) وهذه المعلومة تقيم لنا الدينار الذهبي الذي كان لا يزال في العهد الموحد في قرية من قيمته الأصلية في عهد الخلفاء الراشدين وهي أربعة غرامات من الذهب وثيق على أن هناك أماكن شتى عرفها القاضي عياض أشار إليها أبو عبد الله في (مذاهب الحكماء في نوازل

(12) (ازهار الرياض ج 3 ص 59 - 282 ط. وزارة الاوقاف) .

(13) البيان لابن عذاري ج 4 ص 58 .

(14) التبريف ص 10 (ط. وزارة الاوقاف) .

(15) (اختصار الاخبار) لاسي القاسم الانصاري السبتي (ص 53) .

(16) راجع نزهة المشتاق والاستبصار .

(17) (ازهار الرياض ج 1 ص 43) .

(18) التعريف ص 140 وهو ملحق مقتبس من كتاب (مذاهب الحكماء في نوازل الاحكام) لمؤلف التعريف .

(19) (ازهار الرياض ج 1 ص 35) .

(20) التعريف ص 108 .

(21) ملحق التعريف (مقتطفات من مذاهب الحكماء . . ص 150) .

الاحكام (22) مثل مقبرة زقلو (23) ومسجد ابن الخشبية ودار ادريس بن عفاف وحومة مسجد ابن علا وجنان المساكين ودار ابن وشقون والزقاق الكبير وباب الدرب ودار الذهلي ودار ابن الحانية ودار ورثة البطليوسى ومسجد يوسف بن ابي مسلم ودار ابن القرطبي وحمام ابن القرطبي ومقبرة السوق وسوق الحجامين وفندق احمد بن ابراهيم الزيادات وسوق الشقاقين وسوق العطارين .

وكانت روضة الشرفاء بسبينة تضم نحو ثلاثين قبرا بالجانب الشرقي من (وابطة الفصا) وهؤلاء الشرفاء من ذرية ابي الطاهر الذي خرج من جزيرة صقلية (24) ، ومما يدل على وجود جنان وعرضات حول الدور بسبينة رغم ضيق جدرانها ما ورد ايضا في (مذهب الحكام في توازل الاحكام) (25) في وصف حدود بعض الدور وانها « ملاصقة مع الجنة التي في ظهورهم » مع ذكر « جنان المساكين » **قبة الخ** وهي من البادرات المعمارية التي عرفها المغرب طوال عصوره التاريخية حيث كان لكل دار بمختلف حواضر المغرب عرسة لو جنة تعد جزءا من السكن يتوسطها منزه وتفتح على البيت خضرة ياتعة وثقاوة هواء وسعة منظر علاوة على انزالها كنزل للضيوف ، اما الخطط التي كانت سائدة في عصر عياض والتي ماوسها جميعا فهي : عقد الشروط والثوري والقضاء والفتيا والاحكام والتوازل والخطبة وتسميع

الحديث الخ . بينما كانت امهات القضايا العلمية تدور حول الحديث وفقه الاصول والكلام مع حفظ مسائل مختصر ابن ابي زيد القيرواني والمدونة (26)

وكانت النزاهة والعدل سمتين البارزتين في شمائل اصحاب هذه الخطط ، اذ لما طالمت مدة القاضي عياض في خطة القضاء ألفا اكثر ما ورث عن ابيه حتى احتاج الى بيع بعض ربايعه بمدينة سبتة في ثمن ضيعة اشترها بخارج مدينة مالقة (27) .

وقد ذكر ابو عبد الله في التعريف (ص 112) ان « من نوادر اخباره التي اضطره الشرع اليها اقامته حد الخمر على (الفتح بن خاقان) » .

وذكر انه لما « جاز الى الجزيرة الخضراء في زمن علي بن يوسف » ازال ما كان بها من مظالم وقيالات (ص 115) وهي المكوس والرسوم غير الشرعية .

وقد ولد القاضي عياض بسبينة عام 476 هـ (28) وتوفي عام (544 هـ - 1149 م) (29) .

وهو مدفون بمراكش وهذا هو المعروف لدى مؤرخي المغرب وغيرهم كابن بشكوال في (الصلة) وابن الابار في (معجم اصحاب الصدي) وابن خلكان في تاريخه وابن فرحون في طبقاته وابن الخطيب في (الاحاطة) واليفرنى وابن الطيب الشيرازي في

(22) ملحق التعريف ص 142 - 144 .

(23) مقبرة الزقلو وردت بنفس الاسم (مقبرة زكلو) في اختصار الاخبار ص 22 - 39 - 54 .

(24) ازهار الرياض ج 1 ص 42 .

(25) ملحق التعريف ص 143 .

(26) التعريف ص 4 و 10 وقد ولي خطة الشرطة احد شيوخ عياض وهو ابو بكر محمد بن البراء (الغنية ص 24) .

(27) التعريف ص 113 .

(28) بغية الملتصق ص 425 / الصلة ص 447 / الوفيات ج 1 ص 407 / السلوة ج 1 ص 151 / المعر الذهبى ج 4 ص 122 / الاحاطة ص 427 / الصلة ص 446 / المعجم ص 294 / تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 230 / الجذوة ص 277 / الاستقصا ج 1 ص 145 / شجرة النور ص 140 / المطرب لابن دحية ص 137 / الديباج ص 177 / معجم البلدان ج 7 ص 36 / تذكرة الحفاظ ج 4 ص 96 / معجم ابن خير ص 289 / النجوم الزاهرة ج 5 ص 285 / تأليف في ترجمة لولده محمد بخزانة سيد عبد الحفيظ الفاسي / قلائد العقيان ص 255 / ابن بشكوال ص 472 / انحاء السلاء ص 329 / ازهار الرضى في اخبار عياض لاحمد بن محمد المقرئ (مخطوط مكتبة الزيتونة والقاهرة 21 و 7 / الاعلام للزركلي ج 5 ص 282 .

فهرسته ولكن ابن خلدون ذكر في تاريخه (ج 6 ص 230) أن عياضا لما تولى كير دفاع عبد المؤمن ابن علي عن سبتة وكان رئيسها يومئذ بدينه وابوته ومنصبه سخطته الدولة آخر الايام حتى مات مغربا عن سبتة بنادلا مستعملا في خطة القضاء باليادية وقد أكد القاضي أبو عبد الله محمد بن عياض في الجزء الذي عقده لترجمة ولده أن والده دفن بيباب (ايلان) داخل سور مراكش ، ونستشف من ترجمة القاضي عياض نفسه ملامح العصر الذي عاش فيه والمناهج الدراسية ومجالات الاختصاص والعييزات التي طبعت حاضرة (سبتة) بطابع خاص اذا قورنت بمثيلاتها في المدن التي فاذا استعرضنا المراحل التي قطعها القاضي في حياته الدراسية والتي كانت تشكل صورة لمقومات الثقافة والمشاركة في ذلك العصر - لاحظنا أن عياضا احكم قراءة كتاب الله بالنسبة (30) وبرز في الحديث وحمل راية الرأي ورأس في الاصول وحفظ أسماء الرجال ونقّب في علم النحو وقيد اللغة واشرف على مذاهب الفقهاء وانحاء العلماء واغراض الادباء فكان له الحظ الوافر من تفسير كتاب الله وجميع علومه وكان حافظا للمسائل عاقدا للشروط بصيرا بالاحكام دؤوبا على العمل « مع الصحيحين علي أبي علي الصدفي الذي جلس للتسميع وكان له به اختصاص » فحصل له سمع كثير وبعد رحله الى الاندلس حيث لقي ابن مضاء في (المرة) عاد الى (سبتة) عام (508 هـ) فاجلسه اهل يادو للمناظرة عليه في الملوثة وهو ابن اثنين وثلاثين عاما ، وبعد ذلك يسير اجلس للشورى ثم ولي القضاء عام 515 هـ فانام جميع الحدود . ثم نقل الى غرناطة عام 531 هـ حيث تقلد خطة القضاء لكن تاشفين ضاق ذرعه وغص بمراقبته فسعى في صرفه عن قضاء غرناطة . ثم ولي قضاء سبتة ثانية آخر 532 هـ قدمه ابراهيم بن تاشفين ابن علي ثم بادو بالدخول في نظام الموحدين فاقهره امير المؤمنين . ثم رحل اليه فاجتمع به بمدينة سلا وقد وصف ابن القصير دخوله الى غرناطة عام 530 هـ (31) فذكر أن الناس خرجوا للقاءه وبرزوا تبريرا ما روى لامير مؤمر مثله ، وقد سكن أبو الفضل

بماقة وتمول بها املاكا وكان طوال حياته حسن الالتقاء للمسائل كثير التحرير للممول . . ربما تقع منه دعابة كما تصدر من الفضلاء امثاله ، كثير الاعتناء بالتمهيد والتحصيل . . اذا عدت رجالات المغرب فضلا عن الاندلس حسب فيها صدرا ، وكان معظمها للسنة موالا للحق بارع الخط المغربي عليه المعمول في حل افاظ المدونة وضبط مشكلاتها وتحرير رواياتها وكان مسلكه في ذلك بين اصطلاح العراقيين وهو مسائل المدونة التي بنوا عليها فصول المذهب والاصطلاح القروي وهو البحث عن الالفاظ وتصحيح الروايات ، وقد بلغ درجة في علوم الحديث دراسة ورواية جعل منه حافظا في مصاف كبار المحدثين لا في المغرب والاندلس فقط بل في العالم الاسلامي وربما كانت هذه اللمحة هادية في سيرة عالم مثل (عياض) غير انها لم تفعل اية خلفية في اللوحة التي ترسم لنا المجالي الهامة للحياة الفكرية في القرن السادس بالنسبة للكثير من رجالات هذا العصر وتبرز هذه المعالم بوضوح اجلى اذا ما قورنت بالاتجاهات الثقافية التي بدأت تتجدد تحت تأثير بادرار الاجتهاد المرحدية حيث شملت كل شعب العلم والمعرفة من فلسفة وطب وكلام وحديث وتفسير وادب حتى النحو الذي كان فيه لابن مضاء جولة عارمة حالت دقاتي التي تحليلا نقديا وقصد ظلت علاقة عياض بحواضر الجنوب كغيمات ومراكش مستوثقة وكذلك يقف مسقط رأس اجداده بعد الاندلس حيث كان انتقال والد جده معسرون الى مدينة قاس ثم سبتة بعد دخول بني عبد المغرب فاشترى ارضا معروفة بالمشارة بني في بعضها مسجدا وفي بعضها دارا حبها على المسجد وحس باقي الارض للدفن وانقطع بالمسجد الى ان مات (عام 397 هـ) (32) وهذا المسجد كان منسوبا الى القاضي الى عهد ولده أبي عبد الله وقد اشار اليه في التعريف (ص 3) ولا ندري هل هو المسجد الموجود الآن والذي يحمل زقاقه أيضا اسم عياض ، وعلى كل فقد كانت فيه داره ومقر تدريسه الى عهد المرينيين (بلقة العنية ص 10) . وعياض في الحقيقة بطن من ائيج مواطنهم يادية افريقية انتقلوا الى جبل (قلعة

(30) (ازهار الرياض ج 3 ص 9 - طه - وزارة الاوقاف) .

(31) الصحيح 531 هـ كما عند ولده .

(32) ازهار الرياض ج 1 ص 28 - طه - وزارة الاوقاف .

بني حماد) ومنهم المهاي وربما شكلوا عنصرا خميريا كانذي يجمع البربر عامة بالعرب البائدة في أرض اليمن وتنتمي أسرة عياض فعلا إلى قبيلة حمير من عرب اليمن التي قامت بدور أساسي في تعريب المغرب تمهيدا للفنوح الإسلامية ، وقد استقل ال عياض إلى بسطة على بعد 123 كلم من غرناطة من حيث انتقلوا إلى قاس وهذا هو المسار الذي نهجه الكثير من هاجروا من الأندلس منتجعين عاصمة المولى إدريس التي ظلت قرونا العاصمة الفكرية لمجموع القارة الأفريقية (33) للانسحاق في شتى التيارات التي كانت تؤدي آخر المطاف إلى حواضر الشمال كالشاون والفسر الكبير وسبتة ، وقد انماقت سبتة فيما انتاب حواضر المغرب من تيارات مند أنشاق ثورة الموحدين فسار عياض متجذبا في صبيها مرتثيا ما ارتآه الكثير من معاصريه لا في الحقل السياسي فقط بل حتى في أدق القضايا العلمية كوجوب فصل (أحساء الغزالي) عما حشر فيها من مكاشفات والاقتصار منها على (العلم الخاص) (34) وقد غرب الموحدون عياضا عن بلده لانه لم يساير أفكارهم في العصمة والامامية فجزع أشد الجزع لفراق مسقط رأسه وكابد الأمور من جراء هذه اللوعة الموصولة ولكن مركزه كعالم رائد لم يسمح له بالتساهل في مجال يتصل بصليب العقيدة لا سيما وأن القاضي عياضا أصبح في عصره قدوة وأسوة شرقا وغربا ، لذلك يمكن اعتبار حركات وسكنات هذا العالم الفذ مجالى لما كان العصر يقتضيه من سمو في السلوك ومثالية في المواقف ، وكان لذلك ثمن لم يتقاس عياض عن تحمله ولم تكن (سبتة) تختلف عن باقي كبريات أحواضر في مختلف مظاهر اختياراتها سواء في منهجية الدراسة ونوعية الكتب أو المراجع وتوافر الأقداد من العلماء مما كان يضمن لها الاكتفاء الذاتي دون الشعور بالحاجة إلى المزيد هذا المقارنة والوفيق ، وقد اشعرنا القاضي عياض بذلك مبرزاً اكتمال شخصيته

العلمية قبل اللحاق بالأندلس لتطعيم روايته كما سرد لنا القاضي لوانح الإمهات التي ظلت مشتركة النبع في مختلف الأعصار والامصار بالمغرب والأندلس لغة وفها وأصولا وجدلا وحديثا وتفسيرا وزاد هذه البوتقة تركيزا وتجيعا للمطاءات المختلفة في شتى المجالات مرور كبار رجالات الفكر الاسلامي بها ، ولكن القاضي (35) درس بالأندلس كتابا جديده لم يقرأها يبنده وقابل كتبه بالاصول الصحيحة فكانت عنايته بقاء الشيوخ (36) لموازنة أفكارهم بما تلقاه في بلده فقط لا استجابة للجديد شعورا من القاضي بشمولية عطاءات بلده ، غير أن الكثير من رجالات الأندلس كانوا يفتنون على (سبتة) أيضا للاخذ عن علمائها الأقداد وفي ظليعتهم عياض ، ومن هؤلاء الوزير عبد المجيد بن عبدون (المتوفى عام 527 هـ) الذي لم يقصد سبتة الا للقاء (37) وهكذا كانت (سبتة) مهبط العلماء الواردين من الشرق يمرون منها إلى الأندلس أو القادمين تسوا إلى المغرب وحالين أو مقيمين فكانت (حاضرة البوغاز) في كلتا الحالتين ملتقى الثقافات العربية الاسلامية الافريقية الاندلسية مما لم يتوفر دائما لغيرها ، وقد أوضح عياض في مقدمة (ترتيب المدارك) الاصول العلمية التي كانت مقررة بسبتة في عصره مع اساليب تطبيقها وشمولية مراجعها في وصف كاشف وتمحيص ناقد ، ومما يدل على عناية القاضي عياض بمناهج واساليب الدراسة في عصره أنه تولى بنفسه تثقيف ولده ووضع خطة لتدريب وتكوين صغار المتعلمين في كتابه (الإعلام بحدود فواعد الاسلام) وكانت الصلات آنذاك وثيقة بين كبريات حواضر الشمال وخاصة البصرة والقصر الكبير وطنجة وتكر من جهة ، وقاس ومراكش وأغمات من جهة أخرى ، كما استوثقت الشائخ فكريا وحضاريا انطلاقا من سبتة مع المراكز الجنوبية لعدوة الأندلس لا سيما أفريقيا كجيل طارق ومالقة ، ومن أخذ عنهم القاضي عياض من أهل البصرة إبراهيم بن أحمد البصري السبتي

(33) راجع بحثنا المنشور في مجلة (المناهل) وفي مجلة (المدى) بالمسنيين في هذا الموضوع .

(34) التفاج 2 ص 267 / التعريف بولده ص 106 .

(35) الفتيحة (ص 142 - 155) .

(36) الصلة ص 446 / الوفيات ج 1 ص 497 .

(37) الفتيحة ص 167 .

1020 م) (45) وقد قال عياض متغنياً بأمجاد
أغصانات :

إذا الإخلاء لم نحمد غيرهم
وخان ميثاقهم في الجدد أوحالا

للى باغمات خلل لا اذم لـه
مدى الحياة وأن شطت نوى حلالا

يرفى مراكش يعبر الشيخ معون الصخراوي
المتوفى بمراكش عام 506 هـ (46) من شيوخ القاضي
عياض وقد أخذ الحديث بمكة عن الشيخ حسن بن
على الطبري (47) على أن الإمام الفخار هو من أصحاب
القاضي عياض ومن شيوخ أبي العباس السبتي الذي
كان له ضلع في تركيز الفكر الصوفي بالمغرب ولعل
لهذه الصلة اثرًا في بلورة بعض السمات الصوفية
لدى مستند المغرب وأمامه عياض الذي امتاز بذوق
خاص في التوفيق بين الشريعة والحقيقة ، وقد
ختمت بهذا العصر أي القرن السادس وجهة سلفية
في التصوف على نسق القرون الأولى الثلاثة في
الشرق كما يجلي ذلك مما كتبه صاحب (التشوف)
كما دخل المقرب تحت تأثير فلاسفة الاندلس في
عهد جديد اتسم بشيء غير قليل من المناقضات
والمعارقات نظرًا لبروز علماء من طراز (بني زهر)
الذين جمعوا بين علوم الحديث وعلوم اللغة والعلوم
الدقيقة حتى بدأ أحدهم في الطب سلفه ابن سينا ،
وقد ظلت سبحة آنداك تستقطب مع فاس كبار
المفكرين من الاندلس والمغربيين الاوسط والاندلس
فهذا :

ناظر عنده في المملونة (38) وقد اشار ايضاً (في
المدارك ص 83) الى عالم البصرة أحمد بن حذافة
ومن أهل طنجة محمد بن مفرج الصنهاجي (صنهاجة
طنجة) ناوله وأنشده (39) ومروان بن عبد الملك بن
سمعون البواني ، ومن الفاسيين ابن الصيقل محمد
ابن علي الشاطبي (40) كما أمدت حاضرة (تكسور)
سبحة يقاضي الجماعة أبي محمد عبد الله بن محمد بن
منصور اللخمي النكوري الذي سكن سبحة وولي
قضاءها وقضاء الجماعة بمراكش في عهد علي بن
يوسف بن تاشفين (المتوفى عام 513 هـ) (41) ،
ومن أغصان يوسف بن موسى الكلبي المراكشي شيخ
عياض (520 هـ - 1126 م) (42) وكانت أغصانات
آنذاك مقصد رواد التحقيق في أصول الدين والفكر
من الصحراء المغربية ومن المغرب العربي كتونس (43)،
وحتى من الاندلس وذلك في بحبوحة عصر الموحدين
بالرغم عن مزاحمة مراكش لها ، وإبراهيم بن أحمد
ابن عبد الرحمن . . . بن عمارة المتوفى عام (579 هـ /
1183 م) وقد أخذ عن ابن رشد وابن مغيث وقسماً
القرآن بالمصباح على ابن الزراق والموطأ على ابن
موهّب والحديث المسلسل في الإخذ باليد مرة بعد
الأخرى على أبي محمد اللخمي سبط ابن عبد البر
بأغصان وأيام قضائه بها عام 526 هـ كما أخذ عن
الطرطوشي والجازري وهو مشارك في الحديث
والفقه والشروط (له مختصر فقه) ولي القضاء
بكور شروطة ثم قضاء ميورقة (44) وممن اشترك مع
عياض في التلمذة للإمام الصديقي يعقوب بن حماد
(وقيل حمود) الأغصاني وهو من تلمذ ابن أبي
من أغصان رحل الى مرسية فسمع بها من أبي علي
الصديقي (جامع الترمذي) وغير ذلك (عام 411 هـ /

- (38) التعريف ص 121 / الغنية ص 68 .
(39) التعريف ص 125 - 127 / التكملة ج 1 ص 438 / الغنية ص 42 - 44 .
(40) التعريف ص 126 / التكملة ج 1 ص 408 / الدليل والتكملة ج 6 ص 174 / الغنية ص 48 .
(41) التعريف ص 8 / الغنية ص 85 / المعجم لابن الأبار ص 204 .
(42) الغنية ص 215 / الاعلام للمراكشي ج 8 ص 339 / أصلة (عدد 1509) / التشوف (عدد 11)
(43) راجع في كتاب (التشوف) لابن الزيات ترجمة مدد من علماء تونس الذين هاجروا الى أغصان .
(44) التكملة (رقم 400 ج 1 ص 155) / الاعلام للمراكشي ط. 1974 ج 1 ص 150 .
(45) التكملة ص 393 / الدليل والتكملة ص 205 / معجم الصديقي ص 321 / الاعلام للمراكشي ج 8
ص 318 . (خ)
(46) ذكر ابن الأبار أنه توفي بأشبيلية عام 530 هـ .
(47) الاعلام للمراكشي ج 7 ص 239 (خ) .

— ابن زرقون محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد الانصاري مسند الاندلس المتوفى عام 586 هـ / 1190 م) قد استقصى في سببته وشلبه . وقد صنف :

(1) « الانوار في الجمع بين المنتقى والاستذكر في شرحي الموطا » (للباقي وابن عبد البر) يوجد المجلد الرابع بخزانة القرويين (ق 145) .

(2) « كتاب في الجمع بين الترمذي وأبي دلود » (فهرسة ابن خير ص 86 / التكملة ص 329 او 256) .

وهذا ايضا ابراهيم بن يوسف بن ادهم (او ابن ابراهيم) بن القائدي الوهراني الحمزي المعروف بابن وسلا المتوفى عام (569 هـ / 1173 م) بفاس قد ولد بالمريّة (عام 505 هـ) وانتقل الى سبتة وهو صاحب (مطالع الانوار على صحاح الآثار في غريب الحديث) (راجع مطالع الانوار لعياض بمكتبة القرويين اعداد 594 - 624 - 1641) / مكتبة القاهرة (149 و 140 / أحمد تيمور 340) (السلوة ج 3 ص 151) تكملة الصلة 185 / بروكلمان ج 1 ص 370 / الجدوة ص 96 / الاستقصا ج 1 ص 186 / ابن خلكان ج 1 ص 16 / الروض لابن عيشون .

وقد ظلت روابط علماء المغرب موصولة الى آخر عهد المرينيين بزملائهم بالاندلس عن طريق سبتة بوتقة الانصهار ومجمع التيارات الفكرية المختلفة وهذا من العوامل التي أضفت على سبتة سمعة المركزية كصلة وصل بين العدوتين أنطبعتم طوال قرون بطابع الوحدة العضوية الحضارية وقد امتدت ذبول هذه السمات الى أوائل القرن التاسع الهجري قبل الاحتلال الاجنبي دون أن تختلف معالمها في مختلف العصور فلذلك نجد في كل ما كتب خلال هذه الفترة عن سبتة صورا صادقة لما أمكن التقاضي

عياض أن يرسمه عنها في عصره بحيث يمكن ربطها مع ما كتبه أمثال محمد بن عبد المهيمن الحضرمي (في الكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعباد وأنس الحطيب في معيار الاختيار) (48) ومحمد بن القاسم بن عبد الملك الانصاري في (اختصار الاختيار عما كان يثغر سبتة من سني الآثار) (49) و (بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان يسبتة في الدولة المرينية من مدرّس وأستاذ وطبيب (50) ونلمس مجالي هذه الانطباعات والارتسامات الوجدانية الموصولة في تراجم من تعاقب في ثنايا هذه العصور على سبتة من علماء استطاعوا لا الحفظ على السمة العلمية الراسخة . لحاضرة البوغاز فحسب بل امدادها بغير عن طريقه من انساب العرب والمشرقية وصل لما عرفت في القرون الاولى منذ الحكم الاموي الاندلسي حيث كان محمد بن عيسى بن زويج (او زويجة) آخر قضاة بني أمية في سبتة (51) وبلد لنا أن نشير الى جملة من العلماء البشيين الذين حفظوا لمسقط رأسهم مركزته الحضارية مع الاسهام في توجيه مناهج الدراسة والبحث في الشرق الاسلامي وذلك حسب التسلسل التاريخي للدلالة على الاستمرارية العلمية الراسخة في سبتة الى اواخر القرن الثامن الهجري :

— عمر بن الحسن بن علي ابو الخطاب ابن دحية الكني (633 هـ / 1264 م) الذي تولى قضاء (دائية) ثم انتقل الى مينة مسقط رأسه ثم فاس ومراكش حيث تلمذ للسبيلي واستقر بعد في (بجاية) طويلا ثم رحل الى مصر والشام والعراق والحجاز وفارس وتولى رئاسة دار الحديث الكاملة .

وهو صاحب (انوار المشرقين في تنبيه الصحاحين) و (شرح احاديث الشهاب القضاعي) و (مصنف في رجال الحديث) (52) .

(48) طبعة سبتة ص 144 .

(49) نسخة خطية في خع / طبع في المطبعة الملكية بالرباط عام 1974 (راجع مجلة هبريس 1928 / 1955 .

(50) مجلة تطوان عدد 9 ص 173 (1964) .

(51) المدارك 3 و 4 ص 628 / الصلة لابن بشكوال ج 2 ص 562 .

(52) عنوان الدراية ص 160 (الطبعة الاولى) .

— ابن الخضار محمد الكناشي التلمساني
السبتي الذي سجع علوم الحديث من ابن الصلاح
بدمشق عام 634 هـ / 1236 م (53) .

— ابن عبد الملك النجدي أحمد بن محمد
الطبيب المحدث السبتي المتوفى بمراكش عام
650 هـ / 1252 م (الاعلام للمراكشي ج 1 ص 354)
(يسمى لابن عبد الملك السبتي احتصار الاخبار وما
كان بسنة من المزارات / خزنة الكتاني - الرباط .

— عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمد بن
مسعود السبتي ضياء الدين الانصاري أبو الهادي
الحافظ المتوفى بالقاهرة عام 696 هـ / 1296 م
(ولد بسنة عام 613 هـ) (تذكرة الحفاظ ج 4
ص 262 و 286 / ذرة الحجال ج 2 ص 407 .
(طبعة الرباط 1354 هـ - 1936 م) .

(أعيان العصر للسفدي) لقيه ابن رشيد وأخذ
عنه بالقاهرة عام 684 هـ / 1285 م .

له كلام في المعاني كان يستحضر أكثر كتاب
الترمذي وصفه أبو حيان بأنه محدث حافظ (54) .

— ابن أبي جهمرة عبد الله السبتي
710 هـ / 1312 م (خطيب غرناطة .

(شذرات الذهب ج 6 ص 23 / الدرر ج 2
ص 360) .

وهو غير ابن أبي جهمرة عبد الله بن سعيد
الاندلسي المتوفى بمصر (695 هـ / 1296 م) .
(البداية والنهاية ج 13 ص 346 / المنيل ص 140)
(وفاته عام 699 هـ) .

— إبراهيم بن أحمد بن ميسى بن يعقوب
الغافقي الأشبيلي ثم السبتي ولد بأشبيلية سنة

641 هـ وحمل صغيراً إلى سبتة سنة 646 هـ لما
تقلب الفرنج على أشبيلية شرح (كتاب الجمل)
ونزل سبتة فصار شيخها وساد أهل المغرب في
العربية إلى أن مات (سنة 716 هـ / 1316 م)
(الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج 1 ص 13) .

— عبد الرحمن بن أبي طالب عبد الله
العزفي أبو القاسم الفقيه المحدث الحافظ توفى
بفاس عام (718 هـ / 1318 م) وكان يسكن بالدرب
الطويل بها وله أخ أمه أحمد توفى بغرناطة
(عام 708 هـ) .

الف لابن الحكيم ذي الوردتين كتاب (الإشادة
بذكر المشهورين من المتأخرين بالأفاد) (أو الإشادة
بذكر المشهورين من المتأخرين بالاجادة) (55) .

— ابن رشيد محمد بن عمر بن محمد
السبتي محب الدين القهري الاندلسي كبير مشيخة
المغرب توفى بفاس (721 هـ / 1321 م) (56) .

(الدرر الكامنة ج 3 ص 280 و ج 4 ص 111 /
الاعلام للمراكشي ج 3 ص 250 / شجرة النور
ص 216 / السلوة ج 2 ص 191 / ذرة الحجال ج 1
ص 201 / الجدوة ص 280 / بغية الوعاة ص 85 /
الدليل ص 355 / الوافي بالوفيات ج 4 ص 284) .

ومن مؤلفاته :

— السنن الابن والمورد الامن في المحاكمة
بين الامامن في السنن المعنن الاسكوريال-1806

— افادة النصح بالتعريف بالسنن الجامع
الصحيح (الاسكوريال : 1732 - 1785) .

— ترجمان التراجم في ابداء وجه مناسبة
تراجم صحيح البخاري (لم يكمل كما في كشف
الظن - من) .

(53) (ذرة الحجال ج 1 ص 282) .

(54) (رحلة ابن رشيد ج 3 ورقة 95) .

(55) (ازهار الرياض ج 2 ص 357 طه - وزارة الاوقاف) .

(56) هو صاحب الشرح على قواعد عياض السماسة بالاعلام في قواعد الاسلام (شجرة النور ص 235 /

نيل الابتهاج ص 52 / الجدوة ص 60 / السلوة ج 3 ص 244 / الديباج ص 57 / بروكلمان ج 2

ص 346 / مجلة تطوان عدد 9 ص 183 - 1964) .

وحلته المسماة : ملء العيبة خمسة أجزاء
مطورة بمعهد مولاي الحسن بتطوان - نسخة
بالاسكوريال) .

— أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامي
المعروف بالقياب كان قاضيا لجبل طارق ومشاور
الدولة وخطيب القرويين (779 هـ / 1377 م) .
غير أن (سبته) أسست الى اواخر القرن الثامن
الهجري بحكم موقعها الجغرافي - أولى الحواضر
التي تأثرت بالاحداث الاندلسية الجارفة فما تثبت
تكاثر متارجحة بين تيارات سياسة مختلفة تخلتها
اضطرابات طبيعية كالتي وقعت فيما يسمى بـ :

عام سبعة) : (637 هـ / 1239 م) حيث وقعت
مجاعة عظيمة بسبته وأحوازها من جراء الشرق
(أي الريح الشرقية) وقلة الامطار وعيث عرب رياح
في مكناس وفاس (57) .

وقبل ذلك بخمس سنوات (أي في عام 632 هـ /
1234 م) وجهت جنوة 28 مركبا لافاتة سبته ضد
مراكب الصليبيين الاسبان (58) وبدأت سبته تضيق
من كل الطوارىء والطوايق حتى من لاجئي العلماء
حيث رحل ابن خميس (المتوفي عام 708 هـ) من
تلمسان فاستناره الطلبة وأخرجوه بالاسئلة فحار عن
الجواب واضطر للهجرة الى مالقة (59) وكانني
بالحافظ ابن تيمية وهو معتقل في سجن الاسكندرية
في العام التالي (709 هـ / 1309 م) قد أحس بهذا
الخطر الذي داهم بؤغاز العلم والمعرفة بين العدوتين
فأجاز (وهو الضنين بإجازاته) صاحب سبته بجملة

من اسانيد في عشر ورقات (60) وقد هب العزفيون
في ثورة عارمة ضد من احتبل فترة الضعف والاضطراب
في سبته فأملك بزمادها كالحفصيين الذين فارمهم أبو
القاسم محمد بن أحمد العزفي (عام 647 هـ / 1249 م)
بطرد واليهم على المدينة ابن الشهيد الهنتاسي (61)
وذلك في دولة المرتضى الخليفة بمراكش وقتل والي
سبته أبا عثمان بن خالد (62) وتوفي بسبته عام 677 هـ
فملك أكثر من ثلاثين سنة وفد ولد عام 607 هـ ،
ويقول ابن الخطيب أنهم غير لخمسن (نسبة الى
قايوس بن النعمان بن المنذر) بل من قبيلة مجكة
من البربر وكان فقيها محدثا عارفا بالرواية ولما توفي
قام بالأمر ابنه أبو حاتم أحمد ثم خلع وتولى أبوه أبو
طالب عبد الله عام 678 هـ وخلع عام 705 هـ وكانت
دولته 27 سنة وتوفي بغاس مخلوعا عام 713 هـ
خلفه الأمير فرج بن اسماعيل بن يوسف ابن الأحمر
ثم تولاها يحيى بن أبي طالب عام 710 هـ سنة ونصفا
وبويع ثانية عام 714 هـ وولى بعده ولده أبو القاسم
محمد بن يحيى عام 719 هـ وخلع عام 720 هـ وتوفي
بغاس وهو كاتب الحضرة المرينية عام 768 هـ وقد
ولد في سبته عام 699 هـ .

وشبت عام 743 هـ / 1342 م وقعة ضد
الافرنج حول مدينة سبته قتل فيها ابن عبد الملك
محمد بن محمد الأوسي (63) وانصبت على امنطقة
آثار الصراع بين بني الأحمر وبني مرين - بدافع من
ادعاء الملك الوالغين في المياه العكرة فكانت (سبته)
مرة أخرى هي الضحية الأولى حيث اقتطعت من تراب
المغرب رسميا لأول مرة (عام 786 هـ / 1384 م)
عندما ولي الخلافة موسى بن أبي عنان المريني

(57) البيان المغرب ق 3 ص 348 .

(58) (وصف وتاريخ المغرب - كودار ج 1 ص 345) .

(59) ثم غرناطة حيث بقي بها الوزير ابن الحكيم الى ان مات (ازهار الرياض ج 2 ص 298 - 304 -
طبعة وزارة الاوقاف المغربية) .

(60) فهرس الفهارس ج 1 ص 199 .

(61) البيان لابن عذارى ج 4 ص 454 .

(62) (ازهار الرياض ج 2 ص 377 - ط . وزارة الاوقاف المغربية) .

(63) (النفع ج 8 ص 198 / الاعلام للمراكشي ج 3 ص 261) .

المتوسط الغربي في ظل الاسلام ولكن الشعب المغربي شعر بمرارة بأن سقوط (جوهرة الشمال) في قبضة البرتغال كان الطفرة الاولى لانفاضة الصليبية في شبه جزيرة (ايبيريا) في حملة عارمة هي حملة مضادة للإغارة على المغرب (Reconquista) فلذلك كانت الهزة عتيقة والالم ممضيا لا سيما وأن (سبتة) كانت قد بلغت آنذاك الاوج في مسارها التطوري الحضاري حيث وصفها قبيل الاحتلال وبعده بقليل مؤرخان من اصدق الوصفين هما ابن الخطيب السلطاني ومحمد بن القاسم الانصاري ، فقد أشار ابن الخطيب لسبتة في (مقامة وصف البلدان) فوصف بعض أسوارها وجبل (بليونش) شماسة أزهارها والمنازة مشارة أنوارها ودار الناشئة (حيث كان القوم يرمون بالنشاب أي التبل) والحاميته المضرومة والاسطول المرهوب ، ثم وصف المدينة بأنها (بصرة) علوم اللسان و (صنعاء) الحلل الحسان ومحشر أنواع الحيتان ومحط قوافل العصور والحريز والكتان ، ثم قال : « وكفاهها السكنى بليونش في فصول الأزمان ووجود المساكن النبيهة بأرخص الأثمان وخزانة كتب العلوم ... الا انها عديمة الحرث فقيرة من الحبوب » ، ثم ذم أهلها

مرشحاً بهذا الشرط من طرف بني الأحمر (64) وقد سبق لأبي الحسن المريني خلال حصاره للمدينة أن أسس معقلاً سمي « سبتة العتيقة » وبرجا في المرسى وقد كان لانفصال سبتة عن المغرب لصالح النصرين اثر قوي في تقليص التبادل الفكري بين العدوتين مما أدى قبل احتلال سبتة من طرف البرتغاليين الى نوع من الجمود انعكس عما لاحظته ابن خلدون خلال المائة الثامنة من انقطاع ملكة التعليم وغياب منهج النظر (65) وقد وقع احتلال سبتة (عام 818 هـ / 1414 م) فكانت اول سبتة للمغرب في تاريخه الوطني حيث لم يعرف من قبل وقوع أي جيب من جيوبه أو نفرة من نفوره في يد الاجتبي (66) فقد احتفظ المغرب باستقلاله ووحدته كيانه منذ الفتح الاسلامي في حين خضعت الدول الاسلامية الاخرى للحكم الغماني حى المغربيين الادنى والاوسط فكانت الصدمة عتيقة ، وهكذا اتقد حماس الشعب المغربي عن فكرة ابيه فهم من اقصى الجنوب لتحرير قطعة من التراب الوطني كانت تارجح بين امراء العدوتين فلم ير الشعب العربي المسلم في ذلك غضاضة نظرا للوحدة العامة بين شقي البحر

(64) وكان لاجئا بقصر الحمراء بقرنطة مع جماعة من الادعياء وكان الذي تولى كبر ذلك هو الوزير مسعود بن ماساي الذي ما لبث أن راجع نفسه بعد تولية الوائق بالله أبي زيان محمد بن أبي الفضل ابن أبي الحسن المريني عام 788 هـ فطالب بإعادة سبتة الى المملكة المرينية وحدثت النفرة لذلك بينه وبين بني الأحمر فجهز ابن ماساي العساكر لحصارها فاستولى عليها قسرح ابن الأحمر السلطان ابا العباس المنتصر بالله فاستولى على سبتة وعلى الملك للمرة الثانية عام 789 هـ . (الاستقصا ج 2 ص 138) .

(65) لاحظ ابن خلدون أننا لم نشاهد في المائة الثامنة من سلك طريق التطور بفاس بل في جميع هذه الاقطار لاجل انقطاع ملكة التعليم عنهم ولم يكن سببهم من له عناية بالرحلة بل قصرت همهم على طريق تحصيل القراءة ودرس (التهذيب) فقط ، نعم أخفروا شيئا من مبادئ العربية من اهل الاندلس القادمين عليهم من سبتة وغيرها باستدعاء ملوك بني مرين ، قال : ولهذا لم يتصدر من الفاسيين من يقرئ الكتاب كما هو متداول بين اهل الاندلس مثل ابن أبي الربيع والشلوبيين وغيرهما لوجود ملكة النحو في قطر الاندلس بسبب رحلة علمائهم الى تلقيه من أربابه بالمشرق كما ارتحل اعلامهم الى بغداد في تحصيل الفقه . مثل يحيى ابن يحيى الليثي عن مالك وكذا علوم الحديث كرحلة أبي بكر المعافري (ازهار الرياض ج 3 ص 27 طه . وزارة الاوقاف المغربية) . (راجع قضية أبي عنان عند بناء مدرسة المتوكلية بفاس واختيار الصرصري الحافظ لقراءة (التهذيب) وانقطاعه عن تحقيق ما أورد عليه من مسائل وتدخل الامير الذي فسد من ذلك تعليمه أن دار الغرب هي كعبة كل قاصد) .

(66) في عهد عثمان بن أحمد بن أبي سالم المريني (المتوفى عام 823 هـ / 1420 م) (الاستقصا ج 2 ص 144) .

فلأحفظ أنهم مفتوتون ببلدهم لا يفضلون على مدينتهم
مدينته ، الشك عندي ، في مكة والمدينة (67) وقد
وصف ابن الخطيب بليريش فقال :

بليوريش اسمي الامكن رفعة
واجل ارض الله طراشا

هي جنة الدنيا التي من حلها
نال الرضا والروح والريحان

قالوا القروء بها فقلت فضيلة
حيوانها قد قارب الانسا (68)

ومدحها محمد بن أبي عبد الرحمن الميلي قاضي
ازبور بقوله :

بليوريش كلها عذب
فالشمس في سبيلها عذاب

يكنفها شامخ منيف
لأنه فوقها عقاب

وينقل (المقري) في (ازهار الرياض) ج 1
ص 33 من كتاب « الكواكب الوقادة في ذكر من دفن
في سبته من العلماء والصلحاء القادة » فيصف
سنتين الشريف أحمد بن محمد صديق ابن الخطيب
في المصيف بقرية بليوريش كمثية العبا وجنة الحافة
بقبتها السامية المطلة على البحر ومصانعها (69)
وهذا ابو الحسن المريني يجعل هذا الشريف
يستدعيه كل سنة الى حضرته فاس لحضور المولد
السعيد الذي سنة بلاد المغرب الشيخ ابو العباس
المزني (70) وقد عينه السلطان نافرا على سبته وقد
كان بسبته عام 825 هـ / 1421 م أي بعد احتلالها
من طرف الاسيان بسبع سنوات :

(67) ازهار الرياض ج 1 ص 31 .

(68) وقد أشار صاحب (الاستبصار) الى جبل عظيم على قرية بليوريش فيه القردة .

(69) جمع مصنعة وهي شبه الخوض بجمع فيها ماء المطر أو هي الباني والغصور .

(70) ازهار الرياض ج 1 ص 39 .

(71) محمد بن القاسم الانصاري في كتابه « اختصار الاخبار عما كان بشعر مبنية من سني الآثار » الذي
سنف عام 825 هـ (نشر المطبعة الملكية بالرباط ومجلة عبري ج 12 - 1931)

(72) ما زالت الكلمة مستعملة في المغرب الى الآن وهي عبارة عن (قيسارية) غير مقوفة ومربعة
خاصة بحرفة ما .

(1) القه مسجد ومدرسة منها مدرسة أبي
الحسن الشاري الفافقي ومدرسة أبي الحصن المريني .

(2) اثنتان وستون خزانة عظيمة منها خزائنه
موقفة على مدرسة الشاري وهي اول خزانة وقفت
بالقروء (71) .

(3) سبع وأربعون زاوية ورباطا اعظمها (رابطة
الصياد) وهي قائمة في الهواء على اثني عشر عمودا
ومنها زاوية أبي عنان المريني للفرياء .

(4) ثمانية عشر من المحارم علاوة على
ناظور المرابطين بأعلى الجبل المشرق على بادس
ومالقة ومجموع الزقاق .

(5) عدد الازقة مائتان وخمسون تحمل اسماء
سكانها من العلماء كزقاق عياض وزقاق العزقي وزقاق
ابن الشاط .

(6) الحمامات : اثنتان وعشرون حماما علاوة
على عشرة في القصة ويكل دار من ديار سبته حمام
ومسجد الا القليل ، وكان بمنزل المؤلف نفسه
حمام ومسجد .

(7) الاسواق عددها مائة وسبعون منها اثنتان
وثلاثون في الارياض الثلاثة .

(8) الحوانيت عددها أربعة وعشرون الفا
وكانت فيما مضى أكثر وعدد (التريعات) (72)
احدى وثلاثون للحرارين والخرازين وغيرهم وكانت
اعظمها عبارة عن معقل أو قلعة على ثلاث طباق وفي
صحنها مسجد .

(9) المتحيزات المعدة لعمل القس
اربعون .

(10) الفنادق عددها ثلاثمائة وستون أعظمها الفندق المعد لاختزان الزرع يحتسوي على اثنين وخمسين مخزناً من بناء أبي القاسم العزفي ويشتمل (فندق غانم) على ثلاث طبقات .

(11) الأفران عددها ثلاثمائة وستون .

(12) السفابك خمس وستون .

(13) الميضاءات العمومية اثنتا عشرة .

(14) ديار الإشراف أربع : الديوان والقاعة والبناء والتجارة والمكة .

(15) المطاعم أربعون الفا مغلقة في الدور والحوانيس .

(16) الطواحين مائة وثلاث .

(17) الأرباض ستة .

(18) الأبواب خمسون .

(19) المصليات ستة .

(20) المرامى وأماكن السبق أربعة وأربعون .

(21) المقاصير عددها خمسة وعشرون مع أبراج لمباينة الامتعة .

(22) المراسي ثلاثون فيها دار الصناعة و 299 مصيدة للحوت .

(23) مدينة (أفرا) حث الفجر الموكس الذي أعده بنو مرين لتزولهم .

(24) قرية (بنوئش) الكثيرة النعيم والانهار والتي بلغ عدد حماماتها 126 وأرجحتها 50 ومساجدها 19 .

(25) صادرات سيطة من الفواكه الى المغرب والإندلس خمسة وستون نوعاً من العنب وثمانية وعشرون نوعاً من التين وخمسة عشر نوعاً من التفاح وستة أنواع من الخوخ وأربعة من السفرجل وستة عشر من الرمان .

(26) قرى كثيرة أخرى .

وكانت سببة دار صناعة وتصدير قبل الاحتلال تصنع أراى النحاس المنقوشة والمرصعة وتصدرها الى البلاد الإيطالية (73) .

كما تنتج من أنواع الخضر والفواكه ما بذت به بقية الحواضر علاوة على ما امتازت به من جمال العمران وأجهزة الحضارة وإذا استثنينا ما وضع التصريح به من تشييدات ومنشآت حديثة في العهد العربي فإن أغلب المؤسسات الحضارية الموصوفة في القرن الثامن والتي تأخذ حيزاً في نطاق المدينة الضيق يمكن أن تكون قديمة العهد قد اثبتت منذ العهد الاوولى في القرنين الخامس والسادس لا سيما وأن بعضها قد اثير اليه لتماما في ثانيا ما كتبه عياض وابنه كما رأينا .

تلك فذلكة مقتضبة عن سببة في عصر القاضي عياض كما تشرأى من خلال المصنفات غير التاريخية التي ألفها عياض واكملها ولده وقد تجلّى من دراسة مقارنة بين ما كتب عن (حاضرة البوغاز) في مختلف العصور مدى صحة ما أوردناه من نقل مباشر عن مصادر هي كل ما بقي من تراث عالم المغرب ومسنده القاضي عياض .

(73) الحسن الوزان : (المغرب في اوائل القرن السادس عشر) ماسينيون ص 88 .

عياض في فاس

للدكتور عبد الهادي التازي

وأنا على مثل اليقين من أن طموحاته هي وحدها التي دفعت به إلى استزادة العلم في قرطبة وليس في فاس أو في المشرق ، فقد كانت الأولى (3) أرحب وأنشط وأشهر ، فيالرغم من وجود أمثال اللخمي والشارقي والطليحلي والتميمي وابن الليانة في فاس مثلا ، إلا أن نظائر ابن عتاب وابن حميد وابن بشكوال وإبي الصديقي (4) والنجاني وابن شيرين كانوا يستحقون زيارتهم في قرطبة على كل حال فقد أذكر له القدر زيارة فاس فيما بعد أي عندما يمسي أسيرا غربا لا أهل ولا ولد ، ولا مال ، ولا نسب ، وبعد ما لحق مدينة فاس من دمار وخراب بسبب الحصار الذي ضربه الموحدون عليها . فكيف كان استقبال فاس للقاضي ، وهل دخل من باب عجيصة وخرج من باب الفتوح كما يقولون ؟

لقد اعتاد أهل فاس ترديد هذه العبارة في حق الوارد على بلدتهم معن لا يستوعب آثارهم ومآثرهم ، ولا يستقصي ظروفهم وأحوالهم ، فهو إنما اضطر

نحن الآن مع قاضي سبته الأسبق وهو في طريقه إلى الجنوب المغربي ، نحن معه في حاضرة فاس التي عرفها من قبله الشيخ عمرون جد والده موسى ، الشيخ عمرون الذي شارك في المعارك التي كانت تدور رحاها بين الفاطميين والعمريين من أجل السيطرة على مدينة فاس ، لقد كان من أنصار فاس السبته وليس من أنصار فاس الشيعة (1) .

وكان من الممكن أن يظل عمرون بفاس ، بل كان من الممكن أيضا أن يكون عياض من مواليد فاس لولا أن عمرون اضطر اضطرازا للانتقال إلى سبته بسبب أن يبقى على صلة بأخبار أخويه عيسى والقاسم اللذين أخذوا إلى الأندلس في جملة الرهائن السياسية .

وبالرغم من أن القاضي عياض لم يزر مدينة فاس من ذي قبل لكن المدينة لم تكن بعيدة عن حبه ومفتناه ، فعلاوة على ما كان يعرف عنها ، فإنه بعد من شيوخه المعتنقين إليها ممن أخذ عنهم في ميسنة الفقيه أبا إسحاق إبراهيم الفاسي (2) .

- (1) أبو عبيد الله محمد بن عياض : التعريف بالقاضي عياض ، تقديم وتحقيق : د. محمد بن شريفة منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - مطبعة فضالة - المغرب ، ص 3 .
- (2) المقرئ : ازهر الرياض ج 3 ، ص 157 - 158 .
- (3) عبد الهادي التازي : جامع القرويين ج 1 ، ص 159 .
- (4) عبد الهادي التازي : صحيح البخاري بخط الحافظ الصديقي - مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد 19 الجزء الأول ربيع الآخر 1393 هـ - 1973 م ، دعوة الحق - مارس 1973 .

لشرق المدينة من بابها الشمالي باب عجيسة الى بابها من الجهة المقابلة : باب الفتوح ...

لقد ظل الطرف الزمني الذي قضاه القاضي عياض في العاصمة الادريسية مجهول الكم .. وهكذا فبالرغم مما تقرا عن بعض تحركاته في المدينة الا انه لا نستطيع لحد الآن ان نقوم بتقدير ما ... فان تلك التحركات جميعها يمكن ان تتم في يوم واحد نظرا لتقارب نقاطها ، كما انها من الممكن ان تودع على ايام كذلك .

مهما يكن فلقد نزل القاضي عياض في الحي الذي كانت تبارى على سكناه عيون البلاد ، وهو الحي الذي يجاور جامع القرويين وضريح الامام ادريس : حي زنقة حجامسة مقبل الاشراف (5) ، وعديدا يردد الناس في معرض تدعيم بائع لآلة عشار في هذه الناحية ، قولهم : « كان عنده دار في زنقة حجامسة او السبع لويات ... » وبالصدفة كان المكان الاول سكنى آل الفرديس ، وكان المكان الثاني سكنى آل الملجوم : وكلا الاسرتين كانتا تضيقان القاضي عياض ...

« صور من دار الفرديس حيث نزل عياض »

فمن هم آل الفرديس الذين قصد عياض بيتهم ؟

كل الذين كتبوا عن البيوتات الشهيرة بفاس تحدثوا عن أسرة الفرديس التقليبين على انها عريقة في المغرب ، وان بيتهم بيت علم وفقه وكتابة ، وان جدهم بكار بن مرهون بن عيسى كان سجلماسية قبل ان يدخل الى المغرب ، ويدل على مكانة بكار العلمية ان ابن الصبقل (المتوفى سنة 500) رحل الى سجلماسة ليرى من (6) ...

وحسب ظهير توقيير من السلطان مولاي عبد الله بن أمير المومنين السلطان مولاي اسماعيل

برجع لتاريخ 17 رمضان 1143 - 26 مارس 1731 ، يتعلق بأولاد الفرديس ، وجدنا نعتهم بقرابتهم بالماهرة مع لجل البضعة النبوية مولانا ادريس ، وهو الامر الذي يحمل على الاعتقاد بانهم عاصروا فعلا يدلية ظهور الدولة الادريسية (7) .

« ظهير يرفع آل الفرديس لايام مولاي ادريس »

وسرى ان اسم هذه الاسرة ظل بارزا بصفحة خاصة منذ زيارة عياض لفاس ، حيث نجد ذكر القاضي ابي عبد الله محمد بن محمد الفرديس الذي كان يشغل في نفس الوقت ناظر احباس القرويين والذي كانت له علاقة فيما يظهر بابن الفرديس الذي كان في حملة من حضر مجلس ابن تومرت ...

لقد نزل عياض ضيفا على قاضي فاس في داره التي تقع في منتصف الدرب الصغير الاول الذي يوجد عن يسار الداخل للدرب الكبير المجاور لمسجد الليارين بزقة ححامة ، حيث كان الفرديس يتوفر على مكتبة وجد فيها عياض بعض سلواه ...

وقد احتفظت التقديرات المتعلقة بأوقاف جامع القرويين ، باسم بعض العقار الذي كان محبسا على اعقاب آل الفرديس على ما يفيد الجزائي في جنس زهرة الآس ، ويتعلق الامر برائقة ابن الفرديس حيث كانت تقع دكاكين الخرازين قريبا من باب خزانة القرويين ، قبل عمليات التوسعة الجديدة (8) وقد ظهر من بين الذين تعاخوا لمهنة القضاء لواخر القرن كتاسع ابو عبد الله محمد بن محمد ابن الفرديس (ت 899) على ما يذكره ابن القاضي في الجندوة .

وقد تحدث التاريخ عن الرئيس الشهير ابي العباس احمد الفرديس كاتب المامون ابن المنصور الذهبي وشيخ كتاب الانشاء بعصرة فاس المتوفى سنة 1020 ، وهو الذي مدح المامون بتصيدة يقول فيها من جملة ما يقول :

- (5) القادري : لمحة البهجة العلمية في بعض اهل النسبة الصقلية ، نشر المستشرق الايطالي ريزبطانو
- (6) التكملة ص 142 رقم 503 - الجندوة ص 151 كتاب البستان لابن مريم طبع الجزائر ص 45
- (7) وقفت على هذا الظهير ضمن ما وقفت عليه من وثائق الاسرة التي اجدد الشكر على مساعدتها .
- (8) انقصد الى التوسعة التي دشنتها الملك محمد الخامس عام 1359 هـ - 1940 م ، الجزائي جنس زهرة الآس، طبعة تلمسان ص 71 - 153 ، التاوي : جامع القرويين ص 96 ، 99 ، 105 .

أهدى النسيم بحية المشتاق

وأذاع ذكر الشوق في الأفاق (9)

السيدة الزهراء بنت القاضي المفتي خليل
الفرويين سيدي أحمد بن ناجي (10) . . .

(عقد زواج الفقيه الفرديس مع أسرة القاضي الشهير ابن ناجي)

هذا إلى ظهير اسماعيلي للتوفير يتعلق بسيدي
الطيب السالف الذكر ويرجع لتاريخ 26 ربيع الثاني
1138 وظهر عبدلاوي بتاريخ 17 رمضان 1143 وهو
يعم سائر « أولاد الفرديس أصحاب مولانا أدريس
المعروف بهم في الفهارس » . . . على حد تعبير
الظهير السالف الذكر .

(ظهير توفير من السلطان مولانا اسماعيل لأسرة الفرديس لمكانهم من القاضي عياض)

وما من شك في أن كل هذا التكرم كان من
بركة القاضي عياض الذي اقترون مقامه باسم
الفراصة الذين عرقوا بدورهم كيف يحافظون على
صلة أجدادهم بالقاضي عياض ، حيث نجدهم إلى الآن
يعتجون بينهم لكل من يريد أن يؤدي زيارة للبقعة
التي كان يرقد فيها عياض قبل ما يزيد على ثمانسة
قرون ونصف القرن ! وهي البقعة التي اهتمت بها
أحاديث الخاصة والعامة أكثر مما عنت بدار ابن
خلدون أو لسان الدين ابن الخطيب . . . 1

وقد اقترن اسم عياض في فاس باسم أسرة
أخرى تدرجت يذكرها المعاجم والفهارس ، ويتعلق

وفي أعقاب المظور الذي تعرضت له أوقاف
الفرويين أواخر دولة السعديين ، أصدر السلطان
مولاي رشيد 1075 - 1082 هـ / 1664 - 1672 م
أمرا بضم سائر عقار فاس إلى أحباس القرويين
باستثناء ما تتيته التقاييد للناس ، تلك التقاييد التي
وجد من بينها تقيد يتضمن لائحة بالأوقاف التي
حسبها أبو عبد الله السيد محمد الفرديس على
أعقابهم وأعتابهم على ما يؤخذ من سجل للأوقاف يرجع
لتاريخ ربيع الثاني 994 - 1586 .

وتحتفظ الأسرة إلى الآن بعدد من الرسوم
والظواهر التي تترجم عن المركز الاجتماعي للعائلة ،
سواء لدى الخاصة أو العامة ، وقد كان في جملة ما
أثار الانتباه عقد زواج فخر بتاريخ سادس ذي
القعدة 1094 يتعلق بزواج سيدي الكبير بن أحمد
أعاب حضرة فاس سيدي أحمد الفرديس السالف
الذكر بالسيدة رقية بنت سيد أحمد الشيباني . . .

(عقد مصاهرة الرئيس الفرديس مع أسرة الشيباني)

هذا إلى عقد آخر لا يقل عنه بهاء ورواء وهو
يرجع لتاريخ 30 جمادى الأولى 1115 ، ويتعلق
بالسيد الطيب بن المهدي الفرديس الذي تزوج

(9) نزهة الحادي ، تأليف البغدادي ، تصحيح هوداس ص 200 . العباس بن إبراهيم : الاعلام بمن حل
مراكش وأغمات من الاعلام ج 2 ص 282 ، المطبعة الملكية الرباط .

(10) كان الشيخ أحمد ابن ناجي من المشايخ الذين يقولون بأن « علم التاريخ يضر جهله وينفع
معرفة » ، وهو الذي اكتشف في جملة من اكتشفوا زيف ظهير قديم أدلى به يهود فاس الجديد
بتضمن أعتابهم من الجزية وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علق لموسى بن حي بن أخطب أخي صفية رضي الله
عنها ولاهل بيت صفية الأمان لا يطأ أرضهم جيش ولا عليهم نزل ولهم ربط العمائم . . .

وكتب علي بن أبي طالب وشيد عتيق بن أبي قحافة وعبد الرحمان بن موف ومغوية بن أبي
سفيان ، و « تاريخ شهادتهم في دي أنعدة سنة تسع من الهجرة » فطر لشيخ أحمد بن ناجي
ولعلماء العصر أن ذلك زور واقتراء لأن التاريخ بالهجرة إنما حدث زمن عمر سنة سبع عشرة . .
ولأن الظهير الذي استظهروا به إنما هو نسخة من الأصل الذي فيه خطوط الصحابة وقد أروا
الاستنساخ من الأصل عام 723 أيام السلطان أبي بحد عثمان . . . وكيف يتوصل في العائلة
الثامنة لمعرفة خط الصحابة ؟ ولما رفع أمر هذا الظهير إلى السلطان مولاي اسماعيل عاقب
اليهود عقابا شديدا ، وهكذا قام ابن ناجي أيام مولاي اسماعيل العلوي بمثل ما قام به رئيس
الرؤساء أيام القائم بأمر الله العباسي - الامتصاصا 1 - 4 - 5 - 6 .

الامر بالملجوم الذين يرفعون نسبهم الى عمير بن مصعب الأزدي وزير الامام ادريس الاول ... والذين آوى اليهم عياض ايضا وزار مكبتهم الخاصة واجاز بعضهم قدامك ...

لقد كانوا يسكنون غير بعيد عن رنفة حجامنة انهم حسب حوالة وقفية قديمة كانوا يسكنون في الدرب المنسوب اليهم ضمن « السبع لويات » التي تجاور جامع القرويين .

وحني لا يلتبس علينا بنو الملجوم ، ينبغي ان نأخذهم ابتداء من ابي الحجاج يوسف بن عيسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن قاسم بن عيسى بن محمد ابن قبتروس بن مصعب بن عمير ابن مصعب الأزدي، ثم الزهراني . وقاسم جدهم هو الذي لقب بالملجوم للثقة في منطقته لازمنه من صفراء .

لقد راح ابو الحجاج يوسف مخلصا من الايذاء ممن عرفنا : عيسى الملقب بابي موسى ، وعبد الرحمان الملقب بابي القاسم . . . ومحمد الملقب بابي عبد الله . . . وقد ترك محمد هذا ابنه يوسف الذي اتجب عبد الرحمان الملقب بابي القاسم كعم ابيه ، وقد خلف عيسى من البنين عبد الرحيم الملقب كعمه وحفيد عمه محمد - بابي القاسم .

وهكذا فان هناك الجد ابي الحجاج الذي تحدث التاريخ عنه على انه هو الذي استقاه السلطان يوسف ابن تاشفين لما أراد الجواز الى الاندلس ليعزز ملوكها المتفاهرين بعضهم بعضا بالاجنبي والضايرين على المواطنين ما يطاق من المفارم والمكوس ...

وهناك ابو موسى عيسى ابن يوسف (476 ت رجب 543) وقد تولى القضاء بفاس ومكناس ، وكان عارفا بالنوازل وكان ممن يرسلهم ابو علي الصديقي حيث وجدنا آثار مراسله بتاريخ 501 و اخرى بتاريخ 513 ، وقد سمع من ابيه ابي الحجاج ودخل الاندلس فلقى بقرطبة ابن الطلاع وكان جامع للدواوين ... (11)

وهنا بقوه مع ابو القاسم عبد الرحمن بن يوسف (482 - 544) من اهل مدينة فاس كذلك ، وقد حدث به عند دخوله للاندلس - ابن اخيه . . . وقد كان يتوفر على خزانة طليعة تتمتع بشهرة واسعة في المغرب على ما تتضافر عليه النقول (12) .

كما ان هناك ابا القاسم عبد الرحيم بن عيسى (524 - 604) الذي سمع من بلده (فاس) عن ابيه ابي موسى كما سمع عن عمه ابي القاسم عبد الرحمان وابي عبد الله محمد بن احمد الخزرجي الجبالي ، وهذا هو الذي لقي بفاس ابا الفضل عياض وابا مروان ابن ممره ، وابا الحسن الزهري وابا بكر بن الجعد وان برس سيب . واجاز له جميعهم ، ونظر على ابي بكر بن طاهر في نحو الثلث من كتاب سيبويه ، وقد رحل الى الاندلس فلقى بقرطبة ابا القاسم بن بشكوال واخاه ابا عبد الله ، ولقي بانشبيلية ابا بكر بن خير ، وبمالقه ابا زيد السبيلي ، وقد ولي القضاء بعد والده الجبالي مع جلالة القدر وتباهة السلف ورفع الشأن على ما يقول ابن الابار (13) .

واخيرا فان هناك حفيد ابي عبد الله محمد ، وهو اي الحفيد يحمل اسم عبد الرحمان ويكنى كذلك ابا القاسم (535 ت 612) تلمذا كاسم وكنية عم والده يوسف بن محمد . . . فعبد الرحمان هذا هو ابن يوسف بن محمد بن ابي الحجاج يوسف الذي اثنى ابن تاشفين حول انجازه .

وعبد الرحمان هذا هو بدوره من العلماء المهتمين بقضاء الكتب ، وقد شيد لخزانته غرقه كان يقصدها كبار البلد واعيانها ، وقد جمع بها من الدواوين الشيء الكثير ، حتى سارت اكبر مكتبة في المغرب . . . وقد وهبها لابنته التي لم يكن له عقب غيرها فباعته خرومها بعد وفاته بأربعة آلاف دينار وناهيك بهذا المبلغ على ذلك العهد . . . وقد ميز الناس بين عبد الرحمان (الصغير) هذا وبين عبد الرحمان (الكبير) بأن الصغير كان معروفا عند العامة باسم (ابن رقية) . . . ورغم ما قيل منه من

(11) ابن الابار : التكملة ج 2 ص 689 - المعجم ص 290 رقم 272 - زمارة : مشاهير فاس ، مجلة البحث العلمي - دجنبر 1964 .

(12) ابن الابار : التكملة 2 ص 590 - 601 - الجذوة ص 253 - 254 - 267 - 268 .

(13) ابن الابار : التكملة 2 ص 601 - ابن القاضي : الجذوة ص 267 - 268 .

أنه كان دون (الكبير) علما وإطلاعا ، فأننا نجد أن من جملة الأخذين عنه أحد أبناء الاسكندرية أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي الذي تحدث عن خروم المكتبة التي بيعت بذلك المبلغ (14) ، كما نقرأ في التكملة أنه سمع على أبي القاسم عبد الرحمن عنه والده ...

ولقد أمد ذكر بني الملجوم إلى القرن التاسع، حيث تحدثت الحوالات الحبسية التي ترجع لتاريخ 893 هـ عما كان معروفا عن درب الملجوم الذي لا يبعد عن « السبع لويات » كما أشرنا بل أن أحد أفرادها استرعى انتباه ابن القاضي في الجدوة ، ويتعلق الأمر بأبي زيد عبد الرحمن ابن الملجوم الذي توفي بفاص بتاريخ سادس ربيع الثاني 917 (15) .

وقد كان يهنا من بني الملجوم أبو القاسم عبد الرحيم (524 - 604) الذي قال بالحرف على ما نقله المقري في ازهار الرياض : « اجتاز علينا مياض عند انصرافه من سبتة قاصدا إلى الحضرة (يعني سراكش) وأثرا لأبي (عيسى) 476 - 543 : وكان في آخر أيامه (عشية يوم الاثنين الثامن لرجب سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (15 نونبر 1148) وفي هذه العشية استجرت به رسالته عن نسيه ، فقال : لي : أئنا » أحفظ عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض .. »

والى جانب ذلك المكانين الذين غشيتهما أبو الفضل سمعنا عن مكان ثالث كان يجده فيه راحته ، ذلك جامع صغير يقع قبالة درب حجر النار الذي لا يبعد عن ساحة الصافة القريبة من زنقة حجامه ، بحيث يكتفه أن يقطع الممر الذي يقع قبالة درب زنقة حجامه ثم يعرج ذات اليمين ليجد الجامع الذي يحمل اسمه منه ذلك الوقت في نهاية الطريق ، وكما قلنا مقابل درب حجر النار ...

وقد اعترضني اسم هذا المسجد وأنا أتوم في الستينات بجرد لسائر جوامع فاس ، اعترضني في كثير من الحوالات الحبسية وأثار انتباهي كما كان الأمر بالنسبة لمسجد سيدي الشمراني ، زفان الحجر قبالة درب أكومي ... فهل النسبة تعني أن العالمين الجليين كانا يدرسان في هذين المسجدين؟ أم أن قراءة كتبهما بالمسجدين المذكورين هي التي سببت النسبة ، أم أن هناك أمرا ثالثا يكمن وراء تلك النسبة ؟

مهما يكن فقد كان من أقدم تلك الحوالات الحبسية زمان مبارك حرر بتاريخ 994 وجدد على التوالي أيام الملوك العلويين ابتداء من السلطان مولاي اسماعيل .

ويذكر صاحب السلوة أول من اشتهر أنه نزل بالمسجد وتعيد أبو الفضل عياض ...

وتوجد عن يمين قاعة المسجد حجرة صغيرة يقال أن أنقاضي عياض آوى إليها وتعيد فيها ... وممن كان يأوي لهذا المسجد ويدرس فيه ويؤم الفقيه سيدي محمد ميارة الأصغر المتوفى في 15 المحرم 1144 (16) .

وممن كان يدرس في هذا المسجد الفقيه سيدي محمد بن عبد السلام البناني المتوفى في ذي القعدة من عام 1163 وقد كان يفتح نشاطه في التدريس كل يوم بمجلس الحديث الذي يعطيه بمسجد عياض قبل أن يلتحق بمجلسه الفقهي في الصف الأول من جامعة القرويين ... على أن ينهي يومه بدرس بين العشاءين حول صحيح الإمام البخاري ورسالة بن أبي زيد في المدرسة المصباحية (17) .

وأخر من أدركه صاحب السلوة يأوي إلى المسجد المذكور وتعيد فيه أبو عبد الله سيدي

(14) نرى أن المتحدث عن الخروم هو الأنصاري وليس الطرطوشي هو المتحدث بذلك ، فإنه توفي سنة 520 ، وهكذا فإن ما كتبه ديلفان في كتابه عن « فاس وجامعها والتعليم العالي » ، نقلنا عن الحرشاوي يحتاج إلى تحقيق ... هذا وقد فصلت رواية النسخة التي أشار إليها هامش الجدوة والتي تقول أن عبد الرحيم (الصغير) توفي عام 612 وليس عام 605 حتى أميز بين الأول والثاني - التكملة ج 2 ص 590 - الجدوة ص 253 - 254 .

(15) الجبلوة : 260 - السلوة : 3 ، 178 .

(16) ما تزال أسرة ميارة إلى اليوم تعيش بفاص وقد تبغ فيها عدد من الشباب .. السلوة 1 ص 167 .

(17) السلوة 1 ص 151 ، الكتاب الذهبي لعبد القرويين ص 172 .

محمد بن محمد الحفيان المدعو خمليش .. وعلى قياسي هذا اذكر ان آخر من عرفت انه يعطي دروسا خاصة بهذا الجامع القاضي سيدي عبد الرحمان الفريسي رحم الله الجميع ...

(صومعة جامع سيدي عياض بفاس)

تلك هي النقاط الثلاث التي اقترن وجود عياض في فاس بذكرها : دار الفرديس ، دار الملجوم مسجد الصاغة ... وصحيح انها تمكس جميعها هويات عياض المحببة فهو الى جانب زميل له في المهنة في دار القاضي الفرديس وهو مع ذلك على صلة بأشهر وأوثق وأجمع خزائن علمية عرفت على ذلك العهد .. خزائن اهل الملجوم الذي كان يتهم بمثابة اكاديمية يتردد عليها المطالعون والمراجعون ... وهو بعد هذا في جامع يلتقي فيه من يرد للصلاة وللقراءة ...

ومع ذلك فان السؤال الذي يطرح نفسه : هل ان هذه الامكنة المحدودة كانت في حجم شخصية علمية بارزة من اعلام الحركة المذهبية ... عياض الذي محبته الى الانطس وهو طالب رسائيل التوصية به من الامراء المرابطين ووزرائهم وكبرائهم ... عياض الذي جلس للمناظرة في بلده ستة وهو ابن اثنين وثلاثين سنة .. عياض الذي وفي فصاء ستة فبرز في وظيفه .. عياض الذي عرفته غرناطة في سلسلة قصائده الملتصقين .. عباس المتقصر المحدث المؤرخ بطريقته الخاصة في التأليف والتدريس ...

هل لم يكن بفاس كلها غير أبي القاسم ابن الملجوم يستجيزه ويسأله عن نسبه ؟ هل لم يكن بفاس كلها غير القاضي ابن الفرديس .. هل يوجد بفاس كلها غير جامع الصاغة الذي يكون جسزا في الف من مساحة جامع القرويين ؟

هناك اسطورة تزوج على السنة بعض الذين كانوا يلازمون مجالس الوعظ بمدينة فاس ، وهي تدخل في اطار المأثور الشعبي الذي ابي الا ان يملا الفراغ الذي شعر به اهل فاس وهم يسمعون عن مرور القاضي بديارهم .. وقد كان يومنا من هذه

القصة ان عياضا ربما مارس مهنة القضاء بفاس بعض الوقت .. ؟

ويتعلق الامر بما يرويه بعض الطلبة عن احمد المنيخ في باب عبدة الزوجات من انقطاع ازواجهن للدرس والمطالعة .. !

لقد قالوا : ان القاضي عياض كان يتصرف كلية لقراءته الى حد ينسى فيه ليس فقط واجباته اليشية ، ولكنه كذلك يهمل تموين من كان عليه ان يعولاه !

وقد تضايقت زوجته من هذه الحال بفاس ... وحتى تعبر عن احتجاجها بشكل يحرك القاضي ، ويجعله يفكر في (المائدة) قبل ان يفكر في (الكتاب) ، عمدت الى مخطوطات مجلد كان عزيزا عليه ، فجعلته في كسكس كان يشته البخار الحار المتصاعد من الماء الساخنة تحته على نحو ما يفعل عند ما يراد تبخير اللحوم !

وعندما عاد القاضي من درسه دأبت رواشيح الجاود البخترة حاسة شمه وكان يعتقد انها رائدة نزلت من السماء .. ! فسأل زوجته : ترى من اين انك اللحم ؟ ولكنها صدمته وهي تكشف الكسكس عن « المجلد » الذي كان ينقطع اليه القاضي ! الامر الذي دفع به الى هجر زوجته ، وترك فاس واتجه الى مراكش ... تلك قصة مطرفة تناقلتها المجالس ولكننا نجد لها مصدرا فيما تتوفر عليه من مراجع ، وبذلك يظل تساؤلنا قائما حول الصمت المخيم على مقام القاضي عياض بفاس !

الواقع ان ذلك السكوت هو وحده يترجم عن الجو المتوتر الذي كان يسود علاقات القاضي السابق بالحكم الموحدي ، والا فبعادا نغسر انكماش الناس عن ابي الفضل وانكماشه هو عنهم ... لقد كان في الامكان ان نسمع عن صلة له بالامام عيسى المومنان الذي كان القاضي عياض ينقل منه ناعتا اياه بتقيمه اهل فاس . لعل هذا المومنان كان يعيش ظروفنا على نحو ظروف ابي الفضل ، فقد كان هو الآخر ممن لهم رأى غير رأي السلطة آنذاك .. ! (18)

ولعل كان في الامكان ان نسمع عياضا يسأل عن
ابن جامع البغدادي الذي جلس لتدريس الفقه بقرني
جامع القرويين منذ سنة 515 وكان في جملة من أخذ
عنه ابو القاسم بن الملجوم الذي استجاز القاضي
عياض ...

وكان في الامكان ان نسمع عن صلة القاضي
عياض بابي الحسن علي بن حزم الذي تحدث
التاريخ عن (انقباضه هو الآخر عن السلطة) منذ ان
اتخذ موقفه المناصر لكتاب احياء العلوم ايام علي بن
يونس بن تاشفين .

الواقع ان قاس كانت جميعها تعيش اياما كثيفة
لا تقل كابة عن الايام التي يعيشها قاضي سبسة ، او
لم نسمع عن فمها قاس وشيوخها عام 540 هـ -
1145 م وهم يتسلقون السلالم ليصبوا الى اعالي
البلاط الاوسط في جامع القرويين حتى يلتمسوا
العئون الجميلة التي خلفتها ايادي الدولة المرابطية
وذلك خوفا من انتقاد عبد المومن الذي قامت دعوته
على انتكشاف والبساطة ! لم نسمع عن الموحدين وهم
يتشئون فتحهم لعاصمة الادارة بتحية الخطيب
الامام ابي محمد مهدي بن عيسى ، وهو من اقطلاب
القرويين وعلمائها ، لعاذا ؟ لانه لم يكن يعرف اللسان
الاندلسي .. وكان شرطهم فيمن يخطب على الناس
في ايام الجمع ان يكون ملما باللسان المذكور ..

اريد ان اقول ان التفسير الصحيح لنشاط
المجلود للقاضي عياض بغض يكمن في الجو العام
الذي كانت تعيشه البلاد ، بل يكمن في الرعب
والخوف اللذين كانا يهيمنان على كل شخص تحدثه
نفسه بترديد قضية عياض واسم عياض !

كنت اتمنى ان اعرف حديث ابن صاحب الصلاة
عن امير عياض وهو يعالج ظروف قيام عبد المومن

... وكنت اتمنى ان يكون موقف عبد الواحد
المراكشي غير موقف الصفصفا الذي اتخذه في كتابه
المعجب ! وحتى حديث ابي القاسم ابن الملجوم عن
عياض كان حديثا حذرا اكبر ان يسمى الاشياء
باسمائها الحقيقية ، فان « النفي » من سنة اصبغ
« انصرافا » فقط ... وانهم انت مدلول كلمة
لانصراف ... !

لقد استمر الحديث عن عياض ايام الموحدين
خاضع لرقابة ملحوظة حتى فيما كتبه ابنه ابو عبد
عبد الله سيدي محمد ... لقد كان (تعريفه) بوالده
مختصرا الى حد الاجحاف ، لانه كان يعرف ما قد
يتعرض اليه لو انه اطلق العنان لقلمه - بالرغم مما
لقيته الاسرة فيما بعد من اعتبار عندما نصب
الموحدون صاحب (التعريف) قاضيا على دانيه
وغرناطة .. وعندما اولوه من حظوة لحفيده عياض ..
ثم لانه ابي عبد الله محمد الذي غدا بدوره قاضي
الجماعة اواخر العهد المرحدي ...

كل ذلك لم يجعل احدا يجرؤ على وضع محنة
القاضي عياض على المشرحة ، فالتعريف به مهتور ،
وملاحقته في مراحل نحو الجنوب غير مسموح بها
لجميعهم ...

واننا مع تحفظنا ازاء القولة التي ترددت على
لسان صاحب المرقبة العليا : سم ابن العربي وخلق
اليحصبى » ، تؤمن بان سمعة القاضي عياض كانت
من الشهرة بحيث انها اسهمت ، دون شك في جعل عبد
المومن يبقى على حياة القاضي عياض ، ويكتفي
بفرض الحصار عليه ، وتطوير الاخبار التي تتعلق به ،
ومن ثمت اقتضت معلوماتنا على ما نرى ، وما كان
حديثنا يقتضيه !

د. عبد الهادي التازي

سيرة بين سبعين رجلاً

للاستاذ رضا الله ابراهيم الألفي

وعلى حال ثابت جامع .. بل هو وليد فترات متعاقبة ابتدأت بعهد النبوة ثم امتدت عبر القرون والاعمال .. ففي كل فترة يظهر التصوف الاسلامي في حلة مغايرة أو مشابهة للتي قبلها والتي بعدها .. غلبت عليه في العصر الاول حالة الزهد والورع ايضاً الصحابة والتابعين وتابع التابعين .. ثم شاعت فيه تيارات ووجدانيات ومعتقدات لم تكن شائعة في الصدر الاول .. ثم جاء عصر المشايخ الكبار الذين قعدوا التصوف وجعلوه مذهباً متميزاً بين المذاهب الاخرى ودوتوا ما يجب له من شعائر واخلاق وتبعات ..

وفي المغرب عرف التصوف نفس الاطوار على ما اشار اليه ابن خلدون في مقدمته وبسطه ابن الزيت التادلي في كتابه الشوف الى رجل التصوف والقبريني في كتابه عنوان الدراية .. هؤلاء وغيرهم سجلوا ما كان عليه التصوف ورجاله في هذا الجناح المغربي منذ اقدم عهوده الى العصر الذي ادركوه وهو بنديء بالدولة المرابطية وما بعدها الى عهد المرينيين .. اذ ان حظ المغرب في مقام التصوف كان مضروب الامثال في تلك الفترات المتتالية ، فلقد كان المغرب يوصف بأن أرضه تنبت الصالحين كما تنبت الكلا .. وان بعض مدته وقراه هي مقر الصالحين كمدينة سلا ومدينة مراكش وجبل العلم وازمور ودكالة وغيرها .. حسبما اطنب فيه وابدى أحمد بن الخطيب المعروف بابن قنفذ في كتابه (آثر القبر

اذا كان ولا بد من تقديم فذلكة بين يدي هذا البحث المتصل بموضوع التصوف ورجاله اصحاب عياض في وقته .. فهي :

— ان معظم الذين بحثوا في المال والنحل ومقارنات الاديان (امثال الدكتور احمد شلبي في كتابه المقارنات) اطلقوا على التصوف بمعناه الواسع عريق الجذور وعميق الاصول والمنايع بين الامم .. مما جعله نزعاً انسانية مشتركة تنبثق من أعماق الانسان الكامل الادراك المتبهيء لاستعمال النظر والفكر لاستكشاف ما وراء مظاهر الطبيعة من عالم علوي وقوة روحية خارقة تخلص نفس الانسان من ادران الحيوانية واغلال الشهوات المادية السفلى .. الا ان هذا التصوف البدائي وان تربى في احضان بعض الاديان السماوية الاولى فانه قد علققت به شبهات وطقوس لا تخلو من اعمال الوثنية وشوائب الهرطقة وشقايها من الامم الخوالي .

— وان التصوف الحق هو الاخلاص في عبادة الاله الحق والاحسان في مناجاته والتوجه اليه : ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحديث الشريف .. « اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين » .. الآية الكريمة .

— وان التصوف الاسلامي (كما نراه في كتابه حلية الاولياء لامي نعيم) لم يظهر دفعة واحدة

وعز الحجير) وهو الذي تقضى بقدومه اقطار المقرب مدته وقراه باحفا عن رجال التصوف ونسائسه .. بلقاهم شخصا وتحدث اليهم او يلقي من لقيهم ويحدثه باخبارهم .. وسجل في ذلك معلومات وتراجم واخبار قل ان توجد في كتاب آخر .. ولعل اعظم ما فيه هو ما شاهدته بنفسه وحضره وعائنه بعينه .. وذكره في ص 71 (طبعة المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط) من انه حضر في ارض دكالة في مكان معين على ساحل البحر المحيط بين آسفي وازمور موسما صوفيا يتعقد كل سنة بمناسبة شهر ربيع النبوي .. وانه حضر الموسم المتعقد عام 769 هـ وقت قضائه بدكالة قائلا : وحضر من لا يحصى عدده من الفضلاء ولقيت هناك من اخبارهم وعلمائهم وصلحاتهم ما شردت به عيني بسبب كثرتهم ، وان مما يدل على كثرتهم ان احد الدكاليين اشترى اسم عبنا ثلثين ديناراً ذهباً وهو مبلغ كبير جداً ، ولم يكفهم لكثرتهم .. الى ان قال : ورايت في ذلك الجمع العظيم والمشهد الجسيم غرائب وعجائب (ذكر بعضها) لا يرى مثلاً ابداً .. وفي فصل آخر ذكر عند الطوائف ومشايخها واخبارها ..

واجمالا فان هذه الفقرات من تاريخ التصوف المغربي تعد من اخصب عهود التصوف الاسلامي على الاطلاق ، يكفي ان تلقي نظرة على ما تضمنته المؤلفات المشار اليها لنعلم مدى قوة المتصوفة وتقوى اشياخها على عامة الناس وخاصتهم بما في ذلك الامراء والسلاطين وسائر الحكام .. اذ كانت زيارتهم متأكدة وشفاعاتهم مقبولة ونافذة ..

واني في غنى عن تسطير أسماء مشاهيرهم الاوائل كابن حرزهم وابي بنور وابي يعزى وابي شعيب السبابة وابن مشيش وابن العريف والهزميري وامغار وابي محمد صالح وابن عباد وابن غالب وغيرهم ...

واكتفي بالإشارة الى ان جماعة عياض السعة الذين يساق اليهم هذا الحديث ظهروا كلهم في هذه الفترات الخصبة ما بين القرن الخامس والقرن العاشر رضى الله عنهم اجمعين .

وبعد :

الملاحظ قبل كل شيء ان هناك فراغاً في ترجمة الامام القاضي عياض ، وذلك ان الذين

تناولوا مراحل حياة عياض العائلية والعلمية والادبية والوليفية ... بينوا باسهاب اصل آيائه الاوليين المنحدرين من يخصب احدي قبائل حمير باليمن وانهم تنقلوا ما بين القيروان وبسطة وفاس قبل ان يستقر جده الادنى عمرون بسبنة حيث ولد عياض في عام 476 هـ من والده موسى بن عياض بن عمرون .. ونشأ وتعلم ونال درجة عالية في العلم والاخذ والرواية عن شيوخ بلده وهم كثيرون من طبقات متعددة ثم شد الرحلة الى حواضر الاندلس ليستكمل الرواية والسماع من شيوخها الاكثر علماً والافضل رواية .. ثم قعد لتدريس في بلده وتأليف كتبه العديدة والمتنوعة التي لا نظير لها في الاسلام ككتابه (مشارق الانوار) وكتاب (المدارك) وكتاب (الشفا بتعريف بحقوق المصطفى) .. الذي لم يبق بيت في المشرق والمغرب الا دخله هذا الكتاب .. كل ذلك بينه الكاتبون عن عياض بما يكفي ويشفي كما بينوا وطائفة القضاء والامامة والخطابة التي تولاهم بلده وبفرناطة .. الى غير ذلك مما افاضوا فيه .. ولكنهم سكتوا .. او كادوا عن المرحلة الاخيرة من حياته امتطفة بانتقاله طوعاً او كرها من بلده سبنة الى مدينة مراكش .. وكل ما قالوه ، او بالاحرى اشاروا اليه ، ان الموحدين تكبوه وازعجوه بالخروج من بلده الى عاصمتهم ، دون ان يبينوا بوضوح كمؤرخين الاسباب المباشرة والقاضية بذلك الاخراج .. هل كان من جملة اهل بلده الذين انتقدوا وثاروا ضد عبد المؤمن وحكامه ؟ هل كان من رضاء هذه الثورة والداعين والمناوئين بالفعل وبالسلاح هذه الدولة الجديدة .. مع ان من الثابت انه وفد على عبد المؤمن وهو نازل بسلا في بعض حركاته .. وما هي بواعث هذه الثورة ، هل تعود الى تمسك اهل سبنة بالولاء والبيعة والوفاء للمرابطين الذين ما زالت بعض قلوبهم تقام هنا وهناك .. ام انها راجعة الى شعارات الشيع : الامامة والعصمة والمهدوية ، التي جعلها ابن تومرت ركائز دعوته واساس دولته .. وهل صدر حكم بات او امر نافذ ضد عياض في هذا الشأن ، ام هو نفسه اثر ان يخرج الى مراكش من تلقاء نفسه ربثاً بهذا العاصفة او شاح له ان يسوي الامر في عين المكان بنفسه مع اولي الامر .. انني اميل شخصياً الى هذا الاحتمال الاخير لانا نرى من يروي انه مر في هذه الوجهة يقاس واقام بها زمناً في دار ما زالت معروفة بالعين بها كما اكده غير واحد .

وان طلبية اجتمعوا به وسالوه عن مسائل تتعلق بعضها بحقيقة نسبه .. وانه مر ببلدة داي (وهي بلدة الصومعة اي بني ملال في ارض تادلا) ونظم فيها قطعة مؤثرة جاء فيها :

لعلك مثلي يا حمام فائسي
غريب بدأي قد نقلت لدائي
فكم بين داي من فلاة وسبلة
وخرق عظيم الخافقين خسواء

وقبل انه كان قاضيا بداي اذاك ، لذلك قال :
نقلت ... ولكن هذا لا يتفق مع مجريات الاحوال ومع
تصر المدة التي بين خروجه من سبلة ومماته
بمراكش وهي ما بين 543 و 544 هـ .

وكذلك موته ، فان غموضا كثيرا يكتنفها ..
قيل انه مات فجأة بالحمام ، وقيل مات مسموما او
مخنوقا ، وقيل ان سبب موته هو دعاء الغزالي عليه
لما بلغه مشاركته في امرأته كتابه الاحياء .. واشياء
اخرى قيلت في هذا الصدد كما قيلت في سبب موت
معاصره ابن بكر بن العربي الذي وافته منيته عام
543 هـ . وهو في طريقه من مراكش الى فاس في
ظروف غامضة مشابهة لظروف عياض الذي وافته
هو ايضا منيته عام 544 هـ اي بعد موت ابن العربي
بقليل .. الامر الذي يفترض معه ان هناك يدا خفية
كادت للعالمين الجليلين معا اللذين كانا معظوظين أيام
الدولة المرابطية وخانهما الحظ في الدولة الجديدة ،
ولعل هذا ما قصده من قال يلمز الموحدين « سمو
ابن العربي وخنقوا اليحصبي » .. وجواب أخرى
بقت خفية ومحولة في حياة عياض الأخيرة ..

الا ان الذي يحز في النفس ولا نجد له مبررا
معقولا هو سكوت ولده محمد في كتابه « التعريف
بابه » من هذه المرحلة المراكشية سكوتا تاما ..
وهو قد افاض القول في سائر المراحل غير هذه التي
تعيننا نحن بالذات ، فلم يزد على ان اشار اليها في
سطور بانها تكتبة .. ولكن كيف كانت هذه التكتبة
وكيف تمتا ونقلت ، وما اعقب عنها ، وما اخبار ابيه
لما حل بمراكش ، وما سبب موته ، وهل كان اهله
او بعض اصحابه وتلامذته معه .. وما مصير عائلته
ومخالفاته بعده .. كل هذا لا ذكر له في كتاب التعريف
بابيه .. فكل ما نعرفه ان عائلة عياض انتقلت الى مالقة
بالاندلس وان ولده المذكور تولى انقضاء هناك وان

مؤلفاته ودفاتره وأصول كتبه وبطاقها وتقديرها كلها
بقيت في سبلة تحس يد ولده المذكور وعند تلامذته
.. مما يدل على ان اياه لم يأخذ اهبة السفر عند
خروجه ولا انه اخذ ما قد يحتاج اليه العالم المسافر
من دفاتر وكتب جرت العادة بمصاحبتها في السفر ..

ولم تشعب جريرة ذلك السكوت على الذين
اتوا بعد عياض مباشرة ، بل اتنا نرى ذلك الاهمال
يسري الى الاجيال بعده .. بما في ذلك احمد
المقري صاحب (ازهار الرياض في اخبار القاضي
عياض) الذي جزا كتابه الى روضات ، خص كل
روضة بناحية من نواحي عياض ، وكانت الروضة
السادسة هي التي في ترتيب كتابه لذكر تكتبة عياض
وما أعقبها من أحداث .. ولكننا - وبالإسفاف -
بقيت ببضاء لم يسطر فيها المقري حرفا واحدا ..
قباليت تلك الاستطرادات والإطنابات التي عرف بها
المقري قدمت نفسها فداء لفقدان المواد الضرورية
الخاصة بالروضة السادسة .

ليت التي قد فدت عمرا بخارجة
فدت عليا بمن شاعت من البشر

وحتى قبر الامام عياض الواقع عند باب ابلان
بعدا عن امكنة العمران في ذلك الحين ، فانه بقي
مغمورا ومهملأ أيام الموحدين كما نص عليه غير واحد
.. الى ان جاء المرينيون فانتشلوه من وهدة الاهمال
وأحيوه وميزوه بما يليق به من بناء وعمارة وترحيم
وكان بعض العارفين بقدره يقصده بقراءة كتاب الشفا
حياله .. مما جعل العامة يقبلونه للاستشفاء من
الامراض - وفي عهد السعديين والعلويين صار
مزارا كبرى ولا سيما ان ضريحه مجاور لضريح
مولاي علي الشريف جد المالك العلويين الذين ينسوا
عليه قبة مماثلة للتي بنوها على جاره جدهم بعناية
السلطان المولى رشيد .

وعلى أي حال فان حلول عياض بمراكش كسان
خبيرا وبركة على مراكش وعليه هو نفسه ، اذ كرمته
ومزقته واحلته المقام اللائق به بين صلحائها واوليائها
الاكرمين ، اولئك الاصفياء الاتقياء المعترين كانهم
اوتاد البلد او مصابيح الهدى والنور المعروفين
بالسبعة الرجال ..

ولكن لماذا لفظة السبعة بالذات ؟

ولماذا الرجال السبعة على التحديد ؟

عند السبعة :

فيما يخص عدد السبعة طاب لي أن أنقل هنا ما كتبه الإمام ابن القيم في كتابه القيم « الطب النبوي » حيث قال عند كلامه على حديث الصحيحين من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أصبح بسبع تمرات من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) ، وفي لفظ : (من أكل سبع تمرات حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي) ... قال ابن القيم عند شرحه لهذا الحديث : أن خاصية السبع لها قدر وشرف شرعا .. فالسموات سبع ، والأيام سبعة ، والإنسان كامل خلقه في سبعة أطوار ، والطواف سبع ، والسمي سبع ، والجوار سبع ، والتكبيرات في العيدين سبع ، والطفل يومر بالصلاة سبع ، وصب عليه من سبع قرب في مرضه ، والراح على عاد سبع ليال ، والصدقة كالحية أنهت سبع سنابل ، والسنون التي زرعوها سبع ، والذين يظلمهم الله يوم القيامة سبعة .. إلى أن قال : فلا ريب أن لهذا العدد خاصية ليست لغيره ، فالسبعة جمعت معاني العدد كله وخواصه ، فإن هذا العدد شفع ووتر ، والشفع أول وثنان ، والوتر كذلك ، فهذه أربع مراتب : شفع أول وثنان ، ووتر أول وثنان ، ولا تجتمع هذه المراتب في أقل من سبعة ، وهو عدد كامل جامع لمراتب العدد الأربع ، أعني الشفع والوتر والأوائل والثواني ، وأعني بالوتر الأول : الثلاثة ، والثاني : الخمسة ، والشفع الأول : الاثنين ، والثاني : الأربعة ... وإن للأطباء اعتناء عظيما بالسبعة ، وقد قال بقراط : كل شيء في هذا العالم مقدر على سبعة أجزاء ... والله تعالى أعلم بحكمته وشرعه في تخصيص هذا العدد بما يشاء .

وفي هذا الصدد كتبت دائرة المعارف الإسلامية (ج 11 ص 243) أن رقم سبعة له مدلول خاص عند المسلمين وعند غيرهم من الأقوام ساميين وغير ساميين ، وأنه عدد كامل يتكرر كثيرا في الطب والسحر .. ثم ذهب كاتب الموضوع وهو مسيحي إلى أن المسلمين أخذوا خواص هذا العدد عن

المسيحيين والمثل الأخرى .. فتصدي له بالرد والتعليق أحمد محمد شاذلي مبطلا ما زعمه من أخذ المسلمين شيئا من تعاليم الديانات الأخرى ..

فالموضوع يتعلق بخواص ويواظن الأشياء التي يصعب الكشف عنها بخلاء .. وقد قرأنا أخيرا ما حاوله بعض علماء العصر المسلمين من كشف الغطاء بطريقة علمية حسابية عن حقيقة حروف فوائح السور التي حاور فيها الأقدمون وذهبوا في تفسيرها كل مذهب .. ونظرة ذلك العالم التي أعلنها ونشرها ما زالت تحت النظر والخذ والرد .. فإذا صححت وثبتت علميا فإنها يمكن أن تكون نبراسا لفتح مغالق أسرار أخرى في الأعداد والحروف .. كعدد السبعة الذي ما زال في حاجة إلى مزيد بيان .. ولا سيما أن الطائفة الاسماعيلية خلعت عليه تقديسا وأدعت معرفة أسرار ..

السبعة رجال :

وأما تحديد مزار أولئك الصالحين وحصرها في سبعة رجال دون سواهم .. فإن الأمر لا يخرج عما ذكرناه من وجود خاصية خفية في ذلك العدد الرباعي المجمع على تفضيله في نفسه وتفضيل ما يطلق عليه أو تكبيره ولفت النظر إليه بوجه من الوجوه ، ويرى البعض أن المقصود بالسبع هنا إشارة إلى تكثير معاني الرجال السبعة ، وتفضيلها في النفوس والاقبال على زيارتهم دون الاقتصار عليهم .. ويعجبني هنا ما علل به العباس بن إبراهيم مؤرخ مراكش هذا انمعنى في كتابه : « اظهر اكتمال » من أن أصل مراكش يطقون على جميع أولياء مراكش سبعة رجال من باب إطلاق البعض وأرادة الكل ، وفي نفس الوقت يطلقونها على خصوص السبعة .

وأصل هذا الإطلاق عندنا في المقرب جاء من أولئك الرجال الركاكيين السبعة القنماء الذين قيل في حقهم قديما أنهم وصلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وكلموه بالبرية وأجابهم بمثلها .. فصار ذكرهم يتردد على الألسنة إلى أن اعتقدتهم العامة وتعلقوا بمقامهم الكائن قرب رباط شاذلي الشاذلية جنوبي مراكش .. وقد تعرض لهم شراح الشاذلية بما يفيد الشك في صحة قصتهم وكان البعض كالمزغيشي يصقهم بأنهم من الصحابة .. ولما عزم

المولى اسماعيل على البناء عليهم كما يتى على كبار الصالحين استفتى العلماء في شأنهم فافتوه ، ومنهم سيدي عبد القادر القاسي بأن ليس لصحبته أصل صحيح وأن الصحابي الوحيد المدفون في اقطار المغرب العربي هو ابو زمعة البلوي المدفون بالقبروان وأن الزركاشيين القدماء ليسوا إلا أناسا صلحاء لا تعرف باليمين اعيانهم .

وبهذا يعلم ان المولى اسماعيل لم يستفت العلماء الا في خصوص الزركاشيين المزعمين وأنه لا علاقة بين هؤلاء والسبعة المراكشيين الحقيقيين المعروفين في التاريخ بأعيانهم وحفائهم ومنهم عياض الذين نحن بصددهم ، كما يتبين ان فكرة السبعة ظهرت بالمغرب في وقت مبكر غير محدد أشار إليها المتأدلي وهو من أهل القرن السابع ، كما أشار المقرئزي إلى ظهورها بالمشرق أيام الأيوبيين وغير ذلك مما يدل على ذبوعها .

وأما تمييز سبعة الرجال المراكشيين بزيارة خاصة فإن ذلك لم يظهر إلا ابتداء من القرن العاشر الهجري يوم كان الشيخ الغزواني وهو متهم بجول المغرب ويدعو لاناسمة العواصم الدينية وسياس الزوايا وأحياء ذكريات الأولياء والصالحين ، فهو الذي أحدث بالشمال موسم المولى عبد اللام بن شيش وحض على زيارته وزيارة الأولياء الكائنين حوله بجبل العلم المعروفين أيضا بسبعة رجال .

ومن ذلك الحين أخذت فكرة الاحتفال بذكريات الصالحين والاكثار من زيارتهم تشيع في أرجاء المغرب حاضرة ووادية بما فيها سبعة رجال بمراكش الذين بلغوا من الشهرة ما جعل جهات ومدنا أخرى ترغب أن يكون لكل منها سبعة رجال آخرون يتالون من التكريم والحفاوة مثل اخوانهم المراكشيين . كما بفاس وتطوان وغيرها حيث مزارات سبع .

ويقول الأفراني : وأما سبب تخصيص السبعة رجال بالزيارة في مراكش فهو وقعة جبل الحديد المعروفة الواقعة في حدود الخمسين والالف . فمن ذلك اليوم أقبل السلطان على زيارتهم ولم يكن ذلك عند السعديين ولا قبلهم . . يعني أن زيارتهم أصبحت على كيفية خاصة وترتيب معين . . وأما زيارة السلاطين للأولياء والنماس بركتهم فذلك أمر

متنول عن معظم السلاطين من قبل . . فنقد كمن الموحدون يزورون تربة امامهم ويلسوذون بها . . والمريتيون يزورون قبور أسلافهم بسلا وغيرها . . والسعديون كانوا يشدون الرحيل لزيارة الأولياء الأحياء منهم والأموات . . وكذلك كان الحكام والعلماء . . فهذا ابن الخطيب كان يقصد أولياء سلاومراكش يتوسل بهم ويستشفع . . وكذلك حال اليوسي الذي كان يتقضى الصلحاء أينما حل وأرحل . .

واليوسي كان من الذين سنفوا الطريقة المتبعة إلى اليوم في زيارة سبعة رجال حين أقام بمراكش عند نهاية القرن الحادي عشر . . وهو صاحب الأبيات المتضمنة الترتيب المتبع لزيارتهم هكذا :

— سيدي يوسف بن علي المدفون قرب مقبرة باب أغمات والمتوفى 593 هـ .

— ثم القاضي عياض المدفون قرب باب إيلان والمتوفى 544 هـ .

— ثم أبو العباس السبتي المدفون داخل باب تاغزوت والمتوفى 601 هـ .

— ثم سيدي ابن سليمان الجزولي المدفون برياض العروس والمتوفى 870 هـ .

— ثم سيدي عبد العزيز التابع المدفون قرب جامع ابن يوسف والمتوفى 914 هـ .

— ثم مولاي عبد الله الغزواني المدفون بحومة القصور والمتوفى 935 هـ .

— الإمام السهلي المدفون خارج باب الرب والمتوفى 583 هـ .

وواضح ان هذا الترتيب لم يراع فيه ترتيب زمني ولا اعتبار شخصي . . إذ لو كان باعتبار أقدمهم وفاة لكان عياض في المقدمة وهو كذلك يأتي في مقدمتهم لان أبنا الفضل لا يجارى في مقام الفضل إذن ما هو الدافع لترتيبهم على النحو المذكور . . فلقد تبين ما قالوا في تفسير ذلك الترتيب ولم أجد فيه شيئا معقولا . . الا ما أشار إليه العباس بن إبراهيم من اعتبار حال الزائر لا المزور بحيث ان الزائر يسير في خط شبه

اشخاصا معينين في وقت ما .. على ما حققه غير واحد .. اذ لا يقتل عادة ان يتفق وجودهم على حال واحد وفي وقت واحد ..

خاصيات السبعة :

ان العقل ليحار في الاهتداء الى خاصية كل واحد من اولئك السبعة التي احلته ذلت المحلل السامي واغلته ان يكون قبره مزارا من المزارات العامة المجمع على تقديسها وتعظيمها .. ويمكن ان نستخلص من دراسة تراجم ما يخص به كل واحد منهم ويضعه في المكانة الخاصة به .

— قالهم سيدي يوسف بن علي المتوفى عام 593 نقرا في ترجمته انه من اصل صنهاجي وانه من سكان مراكش ، يقيم في حارة المجذومين لكونه مصابا بهذا الداء الويل .. فكان ابويا صيورا يقابل هذا الابتلاء بتعلق شديد بالله والفناء في ذكره وعبادته الى ان صار في مرتبة ايوب عليه السلام حتى ان جسده كان يشاقد وهو يبتهج ويتوجه بعبارات الشكر الى الله تعالى .. فرزقه الله محبة في القلوب وكتب اسمه في الخالدين المنعمين .. وهو يكنى صاحب الفار اذ بجانيه فار كان يتعبد فيه .

— وبليه في مقام الابتلاء والصبر الجميل الامام عبد الرحمن السهلي المتوفى عام 583 هـ وهو أندلسي من مائة وفد على مراكش في حالة اضطرار ضاقت به سبل العيش في بلده والتجأ الى كتف أحد الأمراء فأجله وأكرمه نظرا لجلالة قدره وعلو شأنه في العلوم والعرفان رغم انه كان ضريرا يحتاج الى من يأخذ بيده ويقوم بعوزة وساعده على تحرير مؤلفاته الجليلة التي منها الروض الانف .. في شرح سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام لابن هشام وقد اشتهر بهذا الكتاب أكثر من غيره فصار بوصف بصاحب الروض الانف عند عامة العلماء وبنعت عند العامة والخاصة بولي الله الصابر على بلاواه المقوض امره لمولاه وهو صاحب التوسل المشهور الذي ينشد في مجالس الذكر في كل مكان :

يا من يرى ما في الضمر ويسمع
أنت المعبد لكل ما يتوقس

مستدير لا يضطر معه الى الرجوع القهقري .. وهذا معقول جدا .. غير اننا لا ينبغي ان نفعل عن موقع دار المخزن بالمدينة التي هي منطلق السلاطين ورجال الدولة عند ما يتوجه موكبهم شرقا للزيارة فيجدون اقرب اليهم سيدي يوسف بن علي .. واذا عادوا وجسوا في آخر المطاف الامام السهلي القريب جدا من دار المخزن قربا .

وهذا الترتيب هو ما عناه ابو الحسن اليوسي في قطعه المشهورة بالعينية :

لمراكش لاحت نجوم طواسع
جبال رواسي بل سيوف قواطع

فمنهم ابو يعقوب ذو الفار يوسف
اليه تشير بالاكف الاصابع

وتجل ابي عمران عياض الذي
الى علمه في الكون تصفى المسامع

ويحر ابي العباس ليس يخوضه
سواه كريم لا يزال يمانع

وتجل سليمان الجزولي ففضلته
شهير ومن يدعو اليه يسارع

وتياهم بحر الكرامة والمهدى
وسمنا الغزواني توره ساطع

ايا القاسم السهلي دابا اصف لهم
امام التقى والعلم بحر واسع

فزورهم على الترتيب في كل حاجة
يسهلها المولى وعنك يدافع

ولليوسي اشعار اخرى كثيرة يشيد فيها بطحاء مراكش وسائر الصلحاء المشوئين في أرجاء المغرب ، كان يتبعهم في رحلاته ويخصهم بالدماء والثناء الجزيل .

هذا ويمكن قريب من شريح ابي العباس السبتي سبعة قبور صغيرة مصطفة بعضها الى بعض .. ويوجد بحومة الموقف اضرحة مثلها .. يطلق عليها العامة « سبعة رجال صغار » وهم ليسوا في الحقيقة الا رموزا للسبعة الكبار على سبيل التذكير والتقريب .. ولا صحة لما يقال من انهم كانوا

— وفيه في ذلك المقام الرفيع أبو العباس

أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي المتوفى عام 864 هـ ولد بسبته من عاتقه ثرية ذات جاه عريض فترى في احضان النعيم والعيش الرغيد .. ولما أدرك رشده وعرف الحقيقة ورأى برهان ربه أبى إلا أن يخرج عن حالة المترفين إلى حالة العراء والمساكين .. فنذر نفسه لخدمة الضعفاء ولوي الحاجات .. ومما زاد يتدرج في هذا المقام إلى أن أدرك درجة عالية في مقام الاحسان والصدقات .. ومن طريقه لجمع الأموال وتوزيعها على المحتاجين ، قيل أنه لم يسبق إليها .. ينأها على أن للفقراء في مال الاغنياء حصة سوى الزكاة كما في الحديث الشريف .. وأن قواعد الاسلام الخمس كلها ترمي إلى تطهير النفس من ادران المادة وتركيزها في علم الارواح بالصدقات .. وقد اختار مراكش لتطبيق نظرياته وتنفيذ تعاليمه فكان يطوف بأسواقها ومجامعها يشرح مذهبه في الاحسان ويدعو إلى تطبيقه في أوسع نطاق .. وإذا جمع مالا فرقه في الحين بعين المكان ، وأدم سمع الناس وبصرهم حتى لا يهتم بأنه يبقى لنفسه شيئاً منه .. أو يأمر الناس المتبرعين بأن يوزعوا هم أنفسهم ما يجودون به حتى يجدوا لذة الاحسان في نفوسهم ويلتوقوا طعم الاتعام على الغير .. وما زال الناس إلى اليوم في مختلف جهات المغرب يجودون بالصدقة الصباحية المسماة بالعباسية .. يفتتحون بها اعمالهم اليومية .. ويحكى أن الفيلسوف ابن رشد أراد أن يتوثق من مذهب أبي العباس في الاحسان .. ولما وصف له قال : أن مذهب هذا الرجل يقوم على أن الوجود ينفع بالوجود .. وأنه في هذا يتفق مع بعض فلاسفة اليونان .. وهناك دراسات وأبحاث ما زالت تكتب وتنتشر حول مذهب أبي العباس المبني على مقتضيات دينية وأسس اجتماعية جذوة بالاتباع والاحياء والاقتداء .. ولا سيما أن مذهبه ظل ساري المفعول بعد معاناته وعبر القرون والايغال .. فهذا ضريحه ما زال ملاذ الضعفاء وخاصة المكفولين حيث يجدون المأوى والمطعم والملجأ والمعتم .. بفضل الصدقات التي تنهل على صندوق الضريح .. ويقال أن بعض القضاة أحصى المدخول اليومي للصندوق فوجده يقارب ألف دينار ذهباً في الايام العادية .. وهذا من اعظم القربات إلى الله في صحيفة ذلك الولي العظيم بؤانه ذلك المقام السامي بين أخوانه السبعة ..

ريحضرني هنا ما كتبه ابن الخطيب لسان الدين حين زار هذا الضريح : بروضة هذا الوسي ديوان الله تعالى في المغرب الأقصى لا يحصى دخله ولا تحصر جبايته ، فالخير يفيض وثوب الحاجات كالظير تعدو خماساً وتروح بظانا ..

— وأما الجزولي محمد بن سليمان المنحدر من جزولة الحسيني التسب المتوفى عام 870 هـ فإنه كان من العلماء العاملين والأئمة المهتدين .. أقبل على العلم في عنقوان شبابه ، له بيت في مدرسة الصفارين بفاس كان يطوف فيه بنفسه ولا يأذن لأحد بالدخول ، وفيه ألف كتابه « دلائل الخيرات » مستمداً مواده من خزانة القرويين العامرة .. وببركة هذا الكتاب نال الجزولي المكاة العليا التي اهله أن يحل المقام الاسمي بين علماء وقته وصلحاء عصره .. فلقد اشتهر دلائل الخيرات وأقبلت عليه الجماهير في مشارق الارض ومقاربها يواظبون على قراءته ويشخلونه ورداً يتلى آتاء الليل وأطراف النهار ، وله اتباع ومريدون في كل مكان وطريقة صوفية خاصة يدعو إليها وينشرها ، ويعرف بالطريقة الجزولية اخذها من الشاذلية المبنية على اتباع السنة النبوية والمكوف على التعبد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .. أقام الجزولي بفاس ثم بأزمور ثم بآسفي ثم بناحية الصويرة إلى أن وافاه الاجل في المكان المعروف بأقوغل من بلاد حاححة ، فبقي مدفوناً هناك إلى أن نقله إلى مراكش السلطان السلمي أحمد الأعرج .. في قصة يطول ذكرها ولا يتعلق الفرض بها هنا .. يكفي أن نقول أن الجزولي خلق مدرسة صوفية نموذجية لمشايع وقته ومثالا احتداه كثير من اتباعه ومريديه .. كما خلف نموذجاً حياً وصيغاً رائعة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أحرزت القبول والاقبال من عامة المسلمين وكتبت لصاحبها الذكر الحميد الدائم ..

— وهذا تلميذه التابع أبو فارس عبد العزيز

ابن عبد الحق المراكشي المعروف بالحرار نسبة إلى جرقته في بداية أمره المتوفى عام 914 هـ يؤثر عنه أنه صاحب الشيخ الجزولي الأنف الذكر وخلفه بعد موته .. فأدرك بسبب ذلك درجة عالية في التصوف وانتشرت عنه الطريقة الجزولية الشاذلية التي لها ذبوع وفروع في أرجاء المعمور .. وخير كتاب تقرأ فيه سيرة التابع وشيخه الجزولي هو كتاب « معتم

الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من
الاتباع » للشيخ محمد المهدي بن يوسف الفاسي
المعروف في 1109 هـ .

— وبعد هذين ياتي مولاي عبد الله بن محمد
ابن عجل (يضم ففتح) الفزواني نسبة الى غزوان
من قبائل عرب الغرب المتوفى عام 935 ، ومن
الناس من يجعله عليا . . كان اول امره يتعلم العلم
ويقيم بمدرسة الوادي بعدوة الاندلس بفاس ، قيل
انه قصد بعض العارفين لملازمته فلبه على الشيخ
السباع بمراكش فوعد عليه ولازمه ملازمة العريبد
المطيع ، فكان يامرهم بالخدمة الشاقة فيعتل ويحمل
الخطب الى الزاوية ويرعى اللوايح ويخدم البستان
.. الى ان قال له يوما : اذهب فقد كمل حالك ،
فتوجه شمالا الى قبيلة بني فزكار بالمهبط ، وهناك
لقى اقبالا شديدا من جماهير المنطقة ، وفتح الله
على يده ابوابا كثيرة للهداية والارشاد الى طريق
الخير واخذ عنه الجهم الفقير من الخلق فيهم علماء
كبار ومشايخ لا يشق لهم غبار . . واسست على يده
زوايا عديدة واقامت مواسم دينية كموسم المولى
عبد السلام ابن مشيش الذي اقيم لأول مرة بامر
واذنه . . الا ان سلطان الوقت محمد بن الشيخ
الوطاسي توجس منه خيفة فامر بسجنه بفاس . .
ولما بين لهم صلاحه اطلقوا سراحه ، فعاد الى
مراكش واقام بها على حاله في التربية والدعوة الى
عمارة المساجد والزوايا واقامة المواسم الدينية
وزيارة الاولياء والصالحين . . وبقت الاشارة الى
انه من الداعين لزيارة اولياء مراكش وان الشيخ
الهيضي من جملة تلامذته وكذلك سيدي عبد الله ابن
حباين ، وان من عاداته مع مريديه ان يامرهم بالحرق
والفرس وحفر السواني وعمارة الاراضي ، وقيل انه
مات على فرسه مما يدل على تجده وشدة شكيمة . .
وباختصار فان الفزواني كان مثالا نادوا في التربية
وحسن السلوك وحديثا يروي باعتزاز مدى الاجيال .

— واما عياض المقصود بالذات في هذا
الحديث المتوفى بمراكش عام 544 هـ اي قل سائر
افراد جماعته فهو عياض بن موسى بن عياض بن
عمرون السبيتي اليحصبي نسبة الى يحصب قبيلة
حميرية باليمن نزل مملكه حينا بالقيروان وببسطنة
بالاندلس ثم بفاس وخبرا استقر جده عمرون
بسبته حيث ولد عياض عام 476 من ابيه موسى . .

وكان العلم والتعوى مع اليسر والوجاهة من المتأثر
المتوارثة بين الابناء والاجداد في عائلة عياض ،
لذلك نشأ محبا للمكارم شغوفا بالعلم شطلما الى
الشغوف والتفوق في ميادين المعرفة الواسعة ،
ضاربا فيها بالسهم الوافر وبالقلم فيها اقصى الغايات
وحائزا قصب السبق والقوز بين اشياخ وقشه في
العلوم الاسلامية واللغوية والادبية حيث كتب فيها ما
لم يكتبه سواه وخلد فيها من التأليف ما ابقي ذكره
تردد على سائر الافواه وتضمن له الخلود في اولاه
واخراه . . فكتبه الثلاثة : مشارق الانوار ، والمداركة
والشفا . . اجمع الناس شرقا وغربا على انها مثل
الشموس والاقمار طلعت في هذه السماء المغربية
وابضات سائر الاقطار :

مشارق انوار تبديت بسنة

ومن عجب كون المشارق من المغرب

قولة من ابن الصلاح فيها تمجيد واستغراب . .
ولكن فيها ايضا اعتراف واعجاب . . اعتراف بان
لهذا الجناح المغربي رجالا يرفعون قدره ويخلدون
ذكره ، ويسمون به الى سموات العلا في المشارق
والمغرب . . واعجاب بالعلم الفذ المغربي عياض
اليحصبي العربي الذي هو من حسنات الدهر ، لا
على هذا القطر وجده لان عطائه ورفده عم ما وراءه
وما بعده . . ولا معنى للاستغراب الساخر . . فالاول
كما قيل كم ترك للآخر ، والمغرب كم ترك من مفاخر
للشرق وماثر . . فلقد كان عياض كالنخلة بالحاء او
كالنخلة بالخاء ، امتص الرحيق من زهرات الشرق
فتمثلت في حشاشته عموما مصفاة اخرحها لباس
اطيانا مشتهة واطبافا متفقا . . وهو كالنخلة اصلها
ثابت في الشرق وفروعها باسقة في الغرب تعطي
التمر من دون ثوى للفاصي والداني على ما بينهما من
بعد وثوى . . ولكل امرئ ما ثوى . .

هذا عياض يفضل البعد والنوى ويترك وطنه
سبته على السفب والطوى وبسته وما احتوى وما عليه
انطوى من دفاتر ومحاضر واقلام ومحاسن . . الى
مراكش الحمراء التي غارت من سبته واغارت عليها
وانتزعت منها عالمها الفرد الوارث بالتعصب
والفرض ، والشيخ لا يبدي حراكا ولا يقوى دراكا
فاسلس الاتقياد وطاوع الامر المراد . . ولما حل
بمراكش الحمراء وجد الموت الاحمر في انتظاره ،

والاقدار الموحدية تنهياً لدفنه واقياره ، فلم تمض الا ايام قليلة حتى حاول النسيان ان يسحب عليه ذنبه .. ولكن العناية الربانية ادركته بهمة مربية فانتشلت قبره من وهدة النسيان ونفضت عنه غبار الاهمال والهلوان .. وبعثت منه بشراً سوياً وروحاً علوياً فاذا به ملء العيشين ، وشمس المشرقين تعشو اليه الوجوه وتحلف به ملائكة الرحمن بالهيل والترحاب فرحاً بمبعثه وقيامه من جده وعودته من عالم الارواح الى عالم الاشباح ... واهل مراکش يرتصون حوله طرباً وينثرون الازهار وينشدون الاشعار ويوسعون له في المقام ويعيطونه بأنواع النجلة والاكرام معتذرين له عما سلف وعما لحقه في دنياهم من التلف معترفين بالتقصير في حق سلفا وعازمين ان يعوضوه عن ذلك خلفاً .. واولياء الله اقاموا له سراديق النجلة واحلوه بينهم في مقام الاجلة .. واهل الله من كل مكان يشتمون اليه الرحيل ، زائرين ومكبرين في الفدو والاصيل والسلطين واولو الامر يعلنون قيامه وينشرون كتبهم وآدابه ، وهم بين يديه كالخدم والحشم .. وهم قد جعلوا مقامه بمثابة الحرم مقدس تربته ولا تنهك حرمة .. من استجار به اجبر ، ومن لاذ به امين ..

ان الله تعالى عوض ابا الفضل ، بفضل اعماله تراثه العلمي واحاطه بهالة من التقديس والاحلال عند الصالحة ما فقدته وما رزى فيه ، فرقع ذكره واجيا عامة الناس وخاصتهم ، وكان قبره محجة الزائرين ، وكتبه ومؤلفاته ولا سيما الشفا مادة علمية فريدة وسندا لا يستغنى عنه طالب ولا كاتب ولا عالم وعابد في جميع البقاع والاصقاع .. حتى قال بعض المشاركة : لولا عياض ما ذكر المغرب ، وقال آخر : لولا الشفا ما ذكر عياض .. وهذا قول صحيح لا شطط فيه ولا مبالغة .. اذ ان كتب عياض ولا سيما الشفا رفعت قدر هذا الجناح عند العالم الاسلامي واحلته مكان الصدارة في غير ما موطن .. فانشأ توجعت في بلاد الله تجد اسم عياض يلهج به وتجد كتاب الشفا يتعبد به ويتمجد ، يتلى في المواليد والمساجد ويستشفى به ويستشفى ..

اضف الى ذلك ما اثر عن القاضي عياض من الاقبال على الله والتعلق بأذيال رسول الله في سره وعلمه في ليله ونهاره ، وما وصفه به ولده محمد في كتابه (التعريف) من سيرة حميدة ، وانه كان صلباً

في الحق كثير التواضع يقبل على المسكين والمفقر سداً لهم عن حوائجهم ويذكر اصدقة خبيثهم رؤسهم بما يجد ، وانه اتفق في ذلك أكثر موارثه عن ابيه وبيع فيه رباعه واملاكه ومات مديناً بما قدره 500 دينار ، وانه كان مشين الدين كثير الصوم قوام الليل نالياً لكتاب الله في الهزيع الاخير من الليل لم يتركه في اي حالة ملتزماً لحدود الشريعة متباً في عقيده شديداً التمسك بها الى حد التعصب ، وانه اتخذ لنفسه رباطاً كان يتعبد فيه ويتعبد شأن الاتقياء الصالحين ، وانه عندما اخرج من بلده قال لمودعيه : جعلني الله فداءكم ..

لهذه العاثر العالية هي التي رفعت ذكر عياض وجعلت له مقاماً محموداً بين الاولياء والأتقياء .. وقد صدق من قال : اذا لم تكن العالم المتهتم ولياً فليس على وجه الارض ولي ولا صالح .. انما يختص الله من عباده العلماء .. « الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » . صدق الله العظيم .

لهذا عاب العلماء صنيع الشيخ التادلسي ابن الزيات حين لم يدرج في كتابه (النشوف الى رجال التصوف) القاضي عياض ولا الامام السهلي ضمن الصالحين المئتين وثيف الذين تناولهم في كتابه قائلين في حق عياض انه احق بوصف الصلاح والولاية لما له من صفات ومزايا علمية ودينية ولما اتصف به من حميد السيرة وكريم الاخلاق ولما اجمع عليه المسلمون من تعظيمه وتقديمه ولما خلفه من كتب نافعة وبالاخص كتاب الشفا الذي اطبق اهل الله جميعاً على انه لم يؤلف في الاسلام مثله في حق جاتب النبي الاكرم صلى الله عليه وسلم .

واذا قيل ان في كتاب الشفا عبارات لا تليق بالجانب النبوي كالتي عابها السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله ووافقها عليها بعض العلماء ، فان علماء آخرين اجابوا عنها بان حاكي الفاظ الكفر ليس بكافر وان القرءان حكى عن الكفار اكثر ما قالوا من الكفريات .. واذا قيل كذلك بان تولية عياض للقضاء ربما طويلاً مما يحدث في كرامته .. اجيب بان تولية القضاء في ذلك العهد لم يكن من الوظائف الاميرية

وإنما هو من جملة المهمات الشرعية المناطة برجال الدين كالإمامة والخطابة والمشيخة والفتوى ولم يكن القضاء يسند إلا لمن ثبتت عدالته ونزاهته واستقامته وإتفق الناس على فضله ..

ورحم الله الشيخ البوسي القائل في حق عياض لما زاره ووقف على قبره : ان المغرب كله حرم لأبي الفضل لا تحده تربة .. يعني ان فضله وسبع المغرب كله .. بل والشرق كله ..

هكذا ما عن لي تقييده في حق هؤلاء السبعة الرجال الكرام ، عياض ورفقائه المنعمين عند الله في العلين .. أوجزت القول فيهم اعتباراً لضيق المقام وانتصاراً على الأهم المناسب للظرف المتاح .. غير مدخل في حسابي ما اعتاد المترجمون من الأكتار في الأوصاف والمبالغة في التعوت والامعان في تتبع كل ما قيل وما يروى من الكرامات وخوارق العادات التي تجري على يد ولي حقيقة أو تنسب

إليه زعماً .. لكون الولاية والكرامة لا يتلازمان .. اذ ان الولاية تكون للشخص دون ثبوت كرامة ، وتكون الكرامة لشخص آخر ولا ولاية له .. ولكون الاستقامة وحدها كافية عند المحققين من أهل السنة لوصف الشخص بالولاية .. « إلا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » ..

اجتهدت ان أبرز كل واحد على انفراد من أولئك السبعة وخاصة عياض .. بالنحلة الخاصة به والوصف المميز الغالب عليه الذي جعله ينتظم في سلك الجماعة ويشركهم في وصف الصلاح العام الذي هو في الحقيقة القاسم المشترك الجامع بينهم والذي يجعلهم مثل مسموم الزهر تتفرد فيه كل زهرة بعطرها الخاص ولكنها مع أخواتها تزداد بهاء ورواء ..

أولئك كالمشموم ، كل له شذا ويرداد حسا والبهاء اذا ضمما

الاشتراكات في مجلة "دعوى الحق"

الاشتراك السنوي بالداخل — 55,00 درهماً

الاشتراك السنوي بالخارج — 67,00 درهماً

سنة المجلة ثمانية أعداد

كتاب الشفا في الصحراء المغربية

لأستاذ محمد البكير العلوي

المذهب المالكي في الصحراء ، ويرفعون علمها
وبتحملان مسؤولية الدعوة فيها ، كل ذلك قد جعل
منه عند زوايا الصحراء وعلمائها الزعيم الروحي الذي
يجب التعلق به ، والتلقي لكل ما يصدر عنه بقبول
واقبال .

(3) حاجتهم الى كتاب مثل الشفا ، يشفي
غلتهم ويروي ظمأهم بالحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم ، الذي فطروا على حبه ، وغدوا بالشوق
اليه ، وبعثت دارهم وشط مزارهم ، فهم في أقصى
المغرب لا يصل الى البلاد المقدسة منهم الا الركب
الذي يتجه للحج والزيارة ، فلا يصل الى غاية قصده
الا بعد سنة كاملة كلها معاناة وجزع وشوق وأمل .

وقد وجدوا في هذا الكتاب من دلائل نبوة
النبي صلى الله عليه وسلم وباهر آياته وخصائصه
وما يتصل بمعجزاته الخالدة ، وسيرته العطرة الى
غير ذلك من فضائل مجيئه ، وحكم الصلاة عليه ،
ووجوب تعظيمه ما جعلهم يقبلون عليه بلهف ،
وتندرسونه بشغف .

يضاف الى ذلك الطابع المالكي الذي يطبعه في
المسائل الفقهية التي يتعرض لها ، والطابع الأشعري
الذي يتجلى بالخصوص في ذكر أقطاب الأشاعرة
والاحتجاج بأرائهم وأقوالهم ، وفي ترويض آيات
الصفات وأحاديثها ، وصرفها عن ظاهرها .

يعرف عن علماء الصحراء وشيوخها والامة
الهدى المحمدي فيها تعلق متين بكتاب الشفا ، فقد
دأبوا على تدريسهم وقراءته وختمه في المواسم
الدينية ، وحرصوا على اخذ الاجازة به ، واتصال
السند بمؤلفه ، وخصصوا له مجالس عامرة تعرف
بمجالس الشفا ، واتخلوه مصدراً ومرجعاً يعودون
اليه في مؤلفاتهم وبحوثهم .

ويرجع هذا التعلق الى الاسباب التالية :

(1) أعجابهم بمؤلفه الذي كرس حياته
لخدمة الحديث النبوي ، وللدفاع عن المذهب
المالكي والصدع برجيحه على سائر المذاهب .

(2) وصول بعض تلاميذ القاضي عياض الى
الصحراء مثل الشريف عبد المؤمن ومثل الحاج
عثمان الذين قامت على ايديهما حركة علمية واسعة .

وقد وصل هذان العالمان في فترة كان المذهب
المالكي فيها يعاني اضطهاداً ، وبواجه تحدياً خطيراً
من طرف الدولة الموحدية ، وكان حملة هذا المذهب
وعلى رأسهم القاضي عياض يعيشون ظروفاً قاسية ،
ويتعرضون لامتحان عسير .

ولا شك أن الفضل الذي خاضه القاضي عياض
والمجهود الموفق الذي صرفه لخدمة المذهب ،
ووصول عالمين جليلين من تلامذته يتقدمان مسيرة

4) ما تناقله الرواة وتحدث به السلف والخلف من البشائر المتعلقة بقراءة كتاب الشفا وسماعه ، حتى قيل أن من قرأه أو سمعه أمن من العمى ، وحتى قيل بضرورة وجوده في كل خزائنة إلى غير ذلك مما أشار إليه الزموري صاحب الشرح المصروف .

وإذا عرفنا أن الزموري هذا قد وصل إلى ولاته في أواخر القرن التاسع الهجري ، واقرأ العلماء كما يقول سيدي أحمد بابا التمبكتي ، وأجاز المختر النحوي كما يقول صاحب فتح الشكور ، لم يبعد عندنا أن يكون له دور خاض في فشو هذا الكتاب وانتشاره وتعلق الناس به هناك .

روايات الشفا في الصحراء

وقبل أن أقدم للقارئ الكريم بعض روايات الشفا في الصحراء ، أشير إلى أن هنالك حلقة مفقودة من تاريخ الفكر فيها .

وتقع هذه الفترة ما بين القرن السادس الهجري الذي دخل فيه تلامذ القاضى عياض إلى القرن التاسع الهجري الذي دخل فيه الزموري إلى ولاته .

ولا نكاد نعرف عن هذه الفترة إلا ما يرد في كتب التراجم والكتابات من تراجم مختصرة لبعض العلماء ، وإلا ما يشير إليه المؤرخون من أنها كانت فترة ازدهار علمي حتى كان الفلام في بعض القبائل يحفظ المدونة قبل بلوغه ، وحتى كانت في بعض القبائل ثلاثمائة فتاة تحفظ الموطأ فضلا عن غيره من الكتب .

وقد ذكر سيدي أحمد بابا التمبكتي في نيل الابتهاج زيارة الزموري إلى ولاته ، فقال : ولقى هناك فقهاء فأننى عليهم في العلم .

ولا نعرف من الآخذين عن الزموري فيها غير المختار النحوي المتوفى سنة 922 هـ .

ويعتبر القرن العاشر الهجري بداية تدوين أجازات الشفا في الصحراء حيث انتشرت رواياته التالية :

(1) توفي في أوائل القرن الثاني عشر الهجري .

1) رواية سيدي أحمد المسك والد سيدي أحمد بابا عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان الخطاب . عن شيخه الخطيب . عن أبي العباس أحمد بن محمد . عن المسند زينب بنت الخمال المقدسية ، عن أبي الحسن علي بن هبة الله اللخمي المعروف بابن بنت الحميري . عن أبي الطاهر السلفي . عن القاضى عياض رحمه الله تعالى .

وممن اشاع هذا السند من بعد الحاج أحمد المسك ، شيخ الشيوخ العلامة سيدي محمد بن الأعمش العلوي (1) ، الذي أخذ الإجازة بكتاب الشفا . عن العلامة سيدي عبد الله بن الفقيه . عن شيخه الفقيه العلامة أحمد أيد القاسم الوداني . عن شيخه الفقيه أحمد بن محمد الفزاز . عن العميه الحاج أحمد المسك إلى بقية رجال أسند المتقدم .

2) رواية محمد بن أبي بكر الدلائي . عن والد الإمام محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي الغرناطي الشهير بالفعار . عن القزي . عن شيخ الإسلام زكرياء الانصاري . عن ابن الفرات . عن الدلاصي . عن ابن تميم . عن ابن الصائغ . عن القاضى عياض رحمه الله تعالى .

وقد تلقى هذا أسند أيضا شيخ الشيوخ بن الأعمش العلوي عن العلامة عبد الله بن محمد ابن أحمد بن عيسى . عن الدلائي إلى بقية السند .

وهكذا انتشرت هاتان الروايتان على يد العلامة ابن الأعمش العلوي حيث أخذ عنه جمهور غير من العلماء والمحدثين ، فكان منهم :

1) عثمان بن عمر الوالي الذي أجازته ابن الأعمش بكتاب الشفا ، وسنده المتصل بأحمد المسك .

2) محمد بن الحاج عثمان بن الطالب صديق الجماني المتوفى سنة 1117 هـ ، والذي أجازته ابن الأعمش أيضا بكتاب الشفا بحق إجازته عن العلامة عبد الله بن محمد بن أحمد بن عيسى عن الإمام الدلائي إلى بقية السند المتصل بابن الصائغ عن القاضى عياض .

(3) خليفة بن الحاج أحمد العلوي الذي أجازته ابن الأعمش بالسندين المتقدمين وعن خليفة ابن الحاج العلوي ، أخذ ابنه العلامة المحدث الحاج أحمد (2) ، الذي انتشرت على يده أسانيد كتاب الشفا ورواياته ، فكان من بين الأخذين عنه ؛

- 1 - شيخ الإسلام حرمة بن عبد الجليل العلوي
- 2 - سيدي مالك بن الحاج المختار الغلاوي
- 3 - سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي
- 4 - سيدي المختار بن الصائب الغلاوي
- 5 - عمر بن الإمام العلوي .

وجمهور من العلماء لا يتسع المجال لسرد أسمائهم .

ويكفي هذه السلسلة أن يتصل بها علامة شقيقه وأستاذها سيدي عبد الله بن الطالب أحمد ابن الحاج حمى الله الغلاوي ، الذي أجاز بكتاب الشفا من شيخه سيدي مالك عن سيدي أحمد بن خليفة من والده الحاج خليفة ، عن شيخ الشيوخ ابن الأعمش العلوي المتقدم الذكر .

(3) رواية محمد بن محمد بفيغ :

عن والده محمد بفيغ ، عن محمد كورد ، عن القاضي محمد بن أحمد بن الفقيه عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج ، عن يحيى بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب ، عن بركات بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب ، عن والده محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب ، عن والده محمد بن عبد الرحمن الخطاب ، عن محمد بن ناصر الدين المرافي ، عن والده ناصر الدين المرافي ، عن أبي بكر بن الحسين المرافي ، عن أبي الفضل جعفر بن علي الهمداني ، عن أبي طاهر السلفي ، عن مؤلفه أبي الفضل عباس رحمه الله تعالى .

(2) توفي سنة 1182 هـ .

(3) توفي سنة 1201 هـ .

(4) توفي سنة 1118 هـ .

وقد انتشرت هذه الرواية أيضا على يد الشيخ سيدي أحمد بن الشيخ السوقي الذي أخذه عن شيخه محمد بن محمد بفيغ ، إلى آخر السند المتقدم .

وقد أخذ عن الشيخ سيدي أحمد السوقي جمهور من العلماء منهم :

- 1 - سيدي أحمد بن محمد بن موسى الزبيدي الذي أجاز بدوره الإمام عمر (3) اللواتي الأحمد بن بكتاب الشفا وبنفس السند .

- 2 - القاضي سيدي الوافي الأرواني الذي أجاز بدوره الطالب أحمد بن الشير الكلسوسي (4) بكتاب الشفا وبنفس السند .

هذه بعض أسانيد الشفا المنتشرة في الصحراء ، وأشير إلى أن سيدي أحمد المسك قد أجاز بالسند المتقدم ابنه سيدي أحمد بابا ، وأجاز تلميذه أحمد بفيغ ومحمد بفيغ بنفس السند .

وقد انتشرت روايات الشفا على يد أسرة آل عمر اقيمت انتشارا واسعا ، ولهم فيه إجازات لا يتسع المجال لسردها وتقصيها .

مجالس الشفا

وقد زاحم كتاب الشفا كل كتاب يدرس في الصحراء وضايقه ، وأخذ قسطا من وقته ، واقتسم معه جمهوره ونافس الأوراد الطريفة ، فانخذلته الزوايا وردا تعبد به وتلازم قراءته .

ونافس الامداح النبوية المتداولة في الصحراء كالبردة والهزمية ، وأبن مهيب ، وغيرها من الامداح النبوية .

ونافس مختصر خليل لان ما اشتمل عليه الشفا من قضايا الردة ، يجعل الفقهاء وأصحاب النوازل يعتمدون عليه ويعودون إليه في الفتاوي المتعلقة بالقضايا الواردة فيه .

وقد كان لجمهور المحدثين اقبال خاص عليه ، حيث اخلوه مكان الصداوة بين كتب المير ، وتتمعه في طبعنة كتب الحديث فتارة تجد اصحاب الاجازات يذكرون الاجازة به مباشرة بعد الاجازة البخاري ، ويذكرون صحيح مسلم والموطأ بعده ، وتارة يذكرونه بعد الصحيحين ، وتارة يذكرون الاجازات المتممة بالصحيحين والموطأ ، ويذكرونه بعدها .

هذا في سرد الاجازات ، وفيه دلالة واضحة على الاهتمام البالغ بشأن هذا الكتاب الذي يوضع في بعض الاحيان قبل صحيح مسلم وكتاب الموطأ ، وفي بعض الاحيان بعدهما مباشرة .

اما في الدراسة واقبال الجمهور عليه ، فقد احازوه الدرجة الثانية بعد صحيح البخاري . حيث نجد هنالك مجلسين ، احدهما للبخاري ، واثنيهما لكتاب الشفا . ولما نثر من خلال بحثنا على مجلس آخر .

ولعل مرد ذلك الى ان القوم اكتفوا باصح كتب الحديث واعظمها شأنا ، وهو صحيح البخاري ، ونظروا الى كتاب الشفا ، فوجدوه كتاب دعوة وتوجيه وارشاد ، يجمع بين دفتيه ما تفرق في غيره ، فخصصوا له مجلسا يعرف باسمه .

ويحرص صاحب فتح الشكور كلما ترجم لاحد العلماء الذين كان لهم صيت طائر في العلم والتصوف ان يشير الى انه كان يقرأ كتاب الشفا او يحضر مجلسه .

فقد ترجم للعلامة سيدي محمد بن الطالب الامين الحرشي ، المتوفى سنة 1215 هـ ، فذكر في المتن الادبية والكلامية والفقهية التي درسها ، ووصفه بالتسك بالسنة والدأب على العبادة والتقوى ، والاثر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقال :

كان ملازما للمسجد وصلاة الجماعة وحضور مجلس البخاري والشفا ، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم .

وترجم للعلامة محمد بن الفقيه المختار النخري التميمي ، فيقول عنه كان اماما عالما تقيا ورعا متواضعا وانقا بالله تعالى ، شهيرا في علم

العربية ، مداحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، تولى سرد كتاب الشفا في رمضان بعد وفاة والده .

ويتضح من هذا ان قراءة الشفا كانت وظيفة لازمة ومهمة حميدة معمول بها عندهم ، فاذا مات القائم بها ، كلف من يقوم بها بعده .

وترجم للامام محمد عبد الله بن الامام عمر الولائي المتوفى سنة 1214 هـ ترجمة تلخص في انه تولى الامامة بعد وفاة والده ، فانقطع للعبادة والقيام بأمور المسجد وتدريس الحديث ، وقراءه كتاب الشفا .

ويأبى في هذه الترجمة المرمزة الا ان يشير الى ان عادة اهل ولايته ، ان يختموا تحميس عشرينات ابن مهيب ، في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مربين في السنة ، زيادة على ختمت المولد النبوي ورمضان ، وأن من عادتهم ان يسردوا صحيح البخاري في شهر رجب وشعبان ورمضان في المسجد ، وكتاب الشفا للقاضي عياض في رمضان .

وترجم للعلامة محمد بن الشواق المسمي التشيتي ، المتوفى سنة 1175 هـ ، فيقول عنه كان رحمه الله تعالى محدثا يسرد صحيح البخاري في شهر رجب وشعبان في المسجد ، والشفا للقاضي عياض في رمضان الى ان يقول :

وكان مداحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قائما بمدحه كل ليلة اثنين وخميس وجمعة ، وهي عادة اهل تشيت في المدح .

وترجم للعالم العلامة الحاج صالح بن عبد الله الادلبي الولائي ، المتوفى سنة 1205 هـ ، فيضفي عليه ألوان المدح والاطراء ، ويسمعه بالعلم والدين والصلاح وحسن الخلق والادب وكمال المسروعة وجودة الخط وملازمة المسجد ، ويضيف الى كل ذلك مواظبته على حضور مجلس البخاري ومجلس الشفا .

ويشير في خاتمة هذه الترجمة الى انه قد حج في العام الرابع بعد مائتين وألف ، وعاد الى ولايته ، وحج مرة ثانية ، فتوفي بالبلاد المقدسة ، قال وسبب مجاورته انه حضر بعض مجالس الشفا ،

وسمع حكاية عن وجل لم تحرقه النار فيه ، ونص
الشمع فيه :

وحكي أن قوما اتوا سعدون الخولاني بالمستبر ،
فأعلموه أن كتابة فلوا رجلا وأضرمو عليه النار
طول الليل ، فلم تعمل فيه شيئا ، وبقي أبيض البدن ،
فقال : لعله حج ثلاث مرات ، قالوا نعم ، قال :
حدثنا أن من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية
دأب وبه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعوره
وبشره على النار .

وتعطينا هذه القصة صورة عن اقبال القوم على
كتاب الشفا وتأثرهم به ، حتى كان ميبا في انتقال
عالم مهم من بلاده ومحل عزه وشرفه ، ليجاور قرب
البيت الحرام ، وليأثري له أن يحج ثلاث حججات .

ولا استبعد أن يكون لكتاب الشفا ، ولهذه الغصة
بالذات ، دور في توجيه الجمهور المسلم في
الصحراء إلى الإقامة والمعجورة بالبلاد المقدسة .
فقد عرف عنهم من الاشياق الى الحج ومعجورة
المدينة المنورة الشيء الكثير .

ويحدثنا التاريخ من عدة عائلات واسر ذات
أهمية بالغة انتقلت من الصحراء الى الحجاز .

وقد اشار الى هذه القضية بعض العلماء ،
وحاولوا ان يشرحوا معنى الاستطاعة في الحج ، وان
يلفتوا نظر الجمهور الى أن عدم توفر الزاد المبلغ ،
وعدم الأمن في الطريق وما يترتب على الفقير من
ضياح حقوق عياله وديون غرمائه ، وما ينشأ عن
اقامته بالبلاد المقدسة دون أن يكون له أي دخل ،
كل ذلك يسقط عنه الحج ، بيد أن القلوب التي ملاها
الشوق الى بيت الله تعالى واجتاحها اللهب الى
روضة النبي صلى الله عليه وسلم ، لم تكن لتلتفت
الى نقول وآراء وفتاوي لا يقتنع بها الا من ينظر الى
القضية من زاوية فقهية محضة .

أما من تعلق قلبه بحب النبي صلى الله عليه
وسلم ، واشتاق الى رؤية بيت الله تعالى ، فلن يكون
في مقدوره الا الجد في السير ومواصلة الاصباح
والامساء ، كما قال الشاعر الصحرلوي :

(5) سئل الشاعر ما مراده بأبي فأشار الى زيارة المدينة المنورة .

فعسى تلك وادلاج الميالسي
ودؤوب الأمساء والاصباح

نبلفتي ديار ام اينسي (5)
ولخصبي بلوغها من نجاح

ويترجم للعلامة عبد الله بن وناس السباكي
الولائي المتوفى سنة 1178 فيشهد له بالخبر ،
ويقول : وكان رحمه الله تعالى لا يخرج من المسجد
بين صلاتي الظهرين ، ولا بين صلاتي العشاءين ،
يعمر هذين الوقتين بالذكر دائما ، ولا يفوته مجلس
البخاري ولا النعم .

ويختم ترجمته هذه بأنه توفي ضحوة الخميس
عند خم الشفا في تسع وعشرين من رمضان
عام 1178 هـ .

ويوضح من هذا ان كتاب الشفا كان يختم يوم
الثاسع والعشرين من شهر رمضان لانه قد يكون
آخر يوم من أيام هذا الشهر المبارك .

ولعل القوم ارادوا أن يضيفوا الى ختم القرءان
الكريم في الليلة السابعة والعشرين ، التي قد تكور
هي ليلة القدر ، ختم كتاب فيه ما فيه من تكريم
النبي صلى الله عليه وسلم ، وتمجيده وتعتظيمه في
يوم قد تكون ليلته أيضا هي ليلة القدر ، لانها من
ليالي الأوتار .

ويترجم للعلامة عمر بن الحاج أحمد بن عمر بن
محمد أقيم التميمي ، المتوفى سنة 1006 هـ ،
فيقول عنه :

كان فقيها نحويا مداحا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، صباحا ومساء يسرد كتابه الشفا في
رمضان .

ويترجم للعلامة عمر بن محمود بن عمر بن
محمد أقيت ، الذي أخذ العلم عن والده العلامة
محمود ، وتولى القضاء في تمبكتو ورجل الى
مراكش ، وتوفي بها في العام الثالث بعد الألف ،
ودفن في مجاورة القاضي أبي الفضل عياض .

الى ان قال :

عمر حتى صار لين يصبر
شيئا سوى الكتب فيها ينظر

افتناه نور القلب عن نور البصر
يطالع الكتب ولا يرى البشر

وذكروا في هذا المجال أنه كان يكتفي في
الليل بضوء قليل لمطالعة الكتب ، وقد أشار إلى
ذلك أيضا العلامة ابن عبيد الجكني فقال :

يا حرمة الله يا نبراس ذي العصر
يا من بصيرته أغنت عن البصر

وقد عرف عن سيدي عبد الله بن الحاج
إبراهيم العلوي اعتناء زائد واهتمام بالسُّخ بكتاب
الشفا ، ولا غرابة في ذلك فإنه ممن أخذ فيه الإجازة
عن شيخه أحمد العلوي عن والده الحاج خليفة عن
شيخه شيخ الشيوخ سيدي محمد بن المختار
الاعمش العلوي إلى بقية السند المتصل بالقاضي
عباس .

وقد درس في مدينة شتقيط فترة من الزمن
فكان معجبا بما هم عليه من قراءة الحزب والتزام
مجلس البخاري والشفا .

ومما يزيده تمسكا بكتاب الشفا اتعاظه إلى
أخواله الذين يتصل بهم كثير من أساتيد أجازات
الشفا في الصحراء وهم أسرة آل عمر أقيت التي
اشتهر منها أحمد بابا التمتيكي ووالده أحمد الميك
وجده الحاج أحمد بن عمر أقيت .

وقد كان سيدي عبد الله يدرس لتلاميذه
البخاري والموطأ ومسلما والشفا على ما ذكر أبته
في الدر الخالد .

وقد ترجمه صاحب فتح الشكور فأشاد بعلمه
وورعه واتباعه للسنة ومحاربة البدعة وفراره يدينه

من الفتن ، وذكر جملة من مآثره وخصاله الحميدة
ثم قال :

ويبدو لي من ذلك أن العلامة عمر بن محمود قد
نشأ في أسرته المعروفة بتولي كرسى الشفا ،
وسرده وقراءته ، وأخذ الإجازة المتصلة فيه مما
جعلته يتعلق بعياض ، ويعتقد فيه اعتقادا خاصا ،
ويجاور ضريحه ويوصي بأن يدفن قرب قبره ، والله
تعالى اعلم .

ومن العلماء الذين كانت لهم عناية خاصة بكتاب
الشفا شيخ الاسلام حرمة بن عبد الجليل العلوي
الذي تقدمت الإشارة إلى إجازته عن شيخه أحمد
العلوي ، عن والده الحاج خليفة عن شيخه شيخ
الشيوخ سيدي محمد بن المختار الاعمش العلوي
بسنده المتصل بالقاضي عباس .

وقد ورد في بعض تراجمه أنه كان لا يفارق
كتاب الشفا في سفر ولا حضر ، وكان يقول :

أن لهذا الكتاب فوائد لا تحصي وبركات لا
تستقصى .

وورد في بعض تراجمه أيضا أنه كان في آخر
عمره وعندما اعتزل الافتاء والتدريس وانقطع للعبادة
لا يفتر عن تلاوة القرآن ، فإذا حل شهر رمضان
المبارك والمولد النبوي أضاف إلى ذلك قراءة كتاب
الشفا حتى يكمل ختمه .

وورد في بعض تراجمه أيضا أنه بعد الانقطاع
للعادة والتفرغ لتلاوة القرآن ، كان يدرس كتاب
الشفا وعقائد السنوسي ولا يدرس غير ذلك .

قلت ، وأمل من جملة البركات التي أشار إليها
شيخ الاسلام الكرامة التي منحه الله أباه ، فكان
يقرا الكتب ولا يدرك من المراتب سواها .

وهي كرامة مذكورة في ترجمته في نزهة
المستمع واللائظ (6) .

وقد ذكرها العلامة بابا بن أحمد بيب العلوي في
تاريخ وفاته فقال :

وشيخ الاسلام ومصباح الظلام
حرمة في الساب وافه الحمام

(6) نزهة المستمع واللائظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ ، كتاب الفه سيدي محمد ابن سيدنا
العلوي في مناقب شيخه الشيخ محمد الحافظ وتراجم شيوخه .

من أصابه مرض قلبي نصح الشفا للقاضي
عياض بالهاء ويشربه .

ومن فوائده أنه كان يقول :

قل صاحب فتح الشكور : ولقد أخبرني بعض
الاخوان ممن أثق به أنه فعله لبعض اخوانه مريضاً
فشفاه الله تعالى .

ويقول الطالب أحمد ابن طوير الجنة في انبائه :

وقال لي شيخنا سيدي عبد الله بن الحاج
إبراهيم العلوي قدس الله روحه ونور ضريحه أن من
المت به نائية أو هول أو فزع غمراً كتاب الشفا ،
وتوجه إلى الله بالدعاء بعد حننه فرج الله كربته .

ويقول - ابن طوير الجنة - وكان شيخنا
قدس الله روحه ونور ضريحه يوصينا بقراءة الشفا
عند كل شدة وهول ومخوف ، وبرغمنا في حضور
مجالسه وخمسه في شهري رمضان المبارك والمولد
النبي الكريم ، وكان عمله على ذلك .

ومن العلماء الذين عثوا بكتاب الشفا الشيخ
ماء العينين الذي حمل رؤية الجهاد وخدم الحديث
الشريف والسيرة النبوية والفقه المالكي ، وأفشى
التصوف السني في الصحراء وفي الاقطار الأفريقية
التي انتشرت الزوايا الفاضلية فيها .

وكان يودي أن أقدم في هذا البحث أسانيده
وأجازاته بكتاب الشفا ، إلا أن ظروف العمل وضيق
العدة التي كان علي أن أنجز فيها هذه الدراسة ، كل
ذلك منعني من تقصي تراجمه وفهارسه ، فاكفيت
بما شاع بين الأوساط العلمية في الصحراء من
اهتمامه بكتاب الشفا وقراءته وخمسه أياه في كل من
شهري رمضان والمولد النبوي .

ومن اعتمدت عليه في ذلك الاستاذان
الفاضلان لأرباس بن الشيخ الأغظف وحمداتي بن
الشيخ الفضيل ، وكلاهما أدرك والده الداعية الشيخ
محمد الأغظف ، بن الشيخ ماء العينين وقبيله من
إبنائه وحفدته ومريديه ، الذين يعتبرون أهم مصدر
فيما يتعلق بحياته وعباداته وما جرى به العمل في
الروايات المنتمية إليه .

ومن أجلاء العلماء الذين عثوا بدراسة هذا
الكتاب وخصصوا له مجالس عامرة العلامة المحدث
الداعية محيي السنة ومعييت البدعة ، ومجدد
التصوف سيدي محمد فال بن بابا العلوي ، الذي
انتصب للعدوة في أوائل القرن المنصرم ، وضربت
إليه أكياد الأبل ، وأنفع الناس بعلمه وتوجيهه
وإرشاده .

وكان من أسلوبه في التربية أن يجمع القلوب
على حب النبي صلى الله عليه وسلم ، والتعلق به
والمسك بسنته والاعتبار بسيرته .

وقد خصص لهذه الغاية مجلساً حافلاً بعد صلاة
العصر ، يدرس فيه كتاب الشفا يسرد ابن أخيه
العلامة المحدث سيدي محمد عبد الرحمان بن
السالك ، الذي أصبح فيما بعد امام الأئمة في
الاصول والفروع .

ويعتبر هذا المجلس آخر ما اشتهر من مجالس
الشفا في الصحراء .

تأثر اصحاب المدائح النبوية في الصحراء بكتاب الشفا

وقد عرف عن كثير من رجال العلم والادب في
الصحراء ، حب زائد في النبي صلى الله عليه وسلم ،
مما تشهد به قصائدهم ودواوينهم في مدحه
والتشويق إلى روضته الشريفة ، ومن ذلك قول
مولود اليعقوبي :

لي لهجة بامتداح المصطفى لهجت
ولي فؤاد بحب المصطفى لهجا

الا طربت الا اتي طربت الى
من حبه مع لحيي والدم امتزجا

ونجد في جيمية ابن محمد العلوي التي قدمها
تهنئة لأحد العلماء القادمين من الحج صورة عن هذا
الشوق الذي يستطير صاحبه لفصح الهواجر ،
وخبط الظلمات وتجشم الاخطار في متاهات الصحراء
وأعواج البحر حيث يقول :

قوم شعارهم قدما وديدنهم
في الله أن يبدلوا الأرواح والمهجا

الى ان يقول :

قد وجه العيس نحو البيت تمرح في
فيح القلا والخلايا تعبر اللججا
مقتاده همة قصوى ويجذبـه
شوق حوى الصدر لومة وشجى
لم يثن همته ظل البيوت ولا
بيض العوارض تجلو الظلم والفلجا
مضى مديلا لحر الشمس وجنته
وللموامي اذا بالليل اليهم دجا
حتى قضى ما انطوى في النفس من ارب
وتم ما قد رجيا نعم ذاك رجيا
فقرت العين اذالقى مصاه لى
حيث الاله يحط الوزر والحرجا
وطابت النفس منه حين فاح له
من طيب طيبه اذكى فاح لرجيا

الى ان يقول :

تم الصلاة على المختار ما دلج الر
كب المجد الى البطحاء وادلجا
ولما قشت فى الزوايا والمحاضر فتوى
الكتني التي يعمل فيها الى سقوط الحج عن اهل
الصحراء ، لهول الطريق ، وعدم الامن فيها معا لا
يدخل فى الاستطاعة ، شق ذلك على معاوية بن شد
التندسي ، فقال :

قد ايجع الشوق في قلبي وفي كبدي
ناراً تعظم عن صبري وعن جلدي

الى ان يقول :

فلا انا الذي تمراه معتروض
ولا انا الذي تشاء لىم ارد
لكن قلبي قد قامت قيامته
حين اثبتت به عنه ولم افسد ...
ليس القرار لىم لىم يشف غلته
من زورة المظفى في الناي وابعد

ولم يبت بـستور البيت معتقلا
الا القرار على زار من الاسد ...

ان كان لي هاهنا دنيا واخرة
وفي بلادي نيل المال والولد
فان لي كبد احزاء مولعة
يبيت من هو لم يولد ولم يلد

ولما اشتاق ابن محمد العلوي الى زيارة النبي
صلى الله عليه وسلم ، وشد عزمه على التوجه الى
البلاد المقدسة ، شق ذلك على جمهور غفير من
اقربه واتباعه ومحبيه ، وحاولوا صرفه عن ذلك ،
وافتنوه بعدم وجوب الحج عليه فقال :

يا مشققا من رحيل ليح في كبدي
هل انت من دون دبي اخذ يسدي
امسي يفندني فيما ارى وارى
مفتدي فيه متمويا الى الفسد

الى ان يقول :

دعني وعزمي والبيدا وراحتي
وما جرى من بثات الفكر في خلدي
فالله حمي لا السوي على احد
كلا ومثلي لا يلوي على احد

وحينما وصل هذا الشاعر الى الاعتساب
الشريفة ، وقابل السلطان المقدس مولاي عبد
الرحمان لم يطلب منه اكثر من أن ينعم عليه وعلى
وفده بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول :

وخبرنا ان سوف تأتي ركابنا
ابا فاطم انا اننا ابن فاطم
ولما مدحه في السينية المشهورة ، اشار الى
ذلك قائلا :

حليفة الله في نيل الوصول لى
هو الوسيلة بين الله والناس

ولا شك أن مجالس الشفا وقد ازدهرت
واستعظمت مدارس العلم ، وزوايا التصوف وجمهور
المساجد ، كانت تلبس هذا الشوق ، وتشغل أواذه
ولا اقل على ذلك من قصة الايدلي المتقدمة .

ولا تخرج المدايح النبوية في الصحراء . ثم
في كتاب الشفا من معجزات وكرامات وخصائص .
مما يخيّل إلى القاري أنها مجرد عقد ، لما هو مذكور
في أبواب الشفا وفصوله .

وليس في ذلك غرابة لأن هؤلاء السعراء كلهم
علماء ، وكلهم من زوايا عرف عندها كانت تقرا
النبا . وتعمر مجالسه .

ومن أمثلة ذلك ، فائية سيدي عبد الله العنوي
التي يقول فيها :

من سمعت الف طمء بار —
كما وهبت الفا كما حرمت لـ —

التي قول —

ومن قام في الإساءة واحشُر حلقه
ليثبو إليه الحق كلهم صفا

التي قوله :

وما في ذراع النبا مما تعممت
يهود ولكن ما اعف وما اعف

التي قوله :

لمولك أجيمن أي شبيبة
شفت غلة الراوين من قولها الشفا

وفيما رأت عينا حلمة من رأت
تبنيك هو الاحطى شفا من اسمي

ولو لم يجبك البدر لمبا دعوتك
لما شئت لم ينقك تصفين أو نصا

فقد تضمنت هذه الايات وبطريقة موجزة
بعض ما أتى به كتاب الشفا في فصوله المتفرقة .

وبعد أن ينتهي الشاعر من سرد معجزات
الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

إلى معجزات أنجم الجو دونها
نموا وحسنا وارتفاعا وبصطفيا

فلا الدهر يحصيهم عدا ولو غبت
مدادا لئاليه وأيامه صفا

فمن قرا هذين البيتين ناكذ عنده نائر صاحبهما
بالفصل الأول من الباب الثاني من كتاب الشفا ، وهو
محل يتعرض فيه القاضي إلى ما خص الله به نبيه
صلى الله عليه وسلم من خصائص ومعجزات .
ويقول : إلى ما لا يحويه محتس . ولا يحيط بعلمه إلا
ماتحه ذلك ، ومفضله به إلى ما أعد له في الدار
الأخرة من منازل الكرامة ، ودرجات القدس ومراتب
السعادة والحسنى والريادة التي تقف دونها العقول .

ومن ذلك قول بن محمد العلوي :

والى اسمه ضم اسمه شرفا له
من قيل جعلته المنادي المسموع

فلا يخفى ما بين هذا البيت من صلة وثيقة
بتفسير القاضي عياض في الشفا لقوله تعالى :
(ورفعنا لك ذكرك) حيث يقول :

هذا تقرير من الله جل اسمه نبيه صلى الله
عليه وسلم على عظيم نعمه لديه ، وشريف منزلته
عنده وكرامته عليه ، بأن شرح قلبه للإيمان والهداية ،
ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ، إلى أن يقول :
وتنويه بعظيم مكانه وجليل ربه ورفعة ذكره وقرانه
مع اسمه .

ويقول الشاعر في نفس الفصيدة :

وبه توسل الأنبياء إلى الذي
حاوره من سير النبوة أجمع

أسرى الاله به وأودع صلبه
في ستر جنح الليل أشرف مودع

حلى الزمان به كما حلى الربى
بالروض أثر الأساريات الهمم

لله أكمل خلقه وخلقته
متحا لصفوة هاشم ومجمع

بحر إذا ورد العقاة وأن بدا
فالبدر ماضي في عشره والأربع

بفضي البياض إذا التظى متبسما
والبيض تلحج والفوارس تدعى

والخيل نائر تقعا من نسجه
وجه الفزاة مدرج في برقهم

فلا تكاد هذه الأبيات تخرج عما في كتاب الشفاء
من أجلال وأكبار وأعظام ، وإشادة بما خصه الله به
من كرامة الأسراء ، والصلاة بالأنبياء إلى غير ذلك مما
تعرض له في فصوله المتفرقة من عجائب كرمه
وثأد شجاعته وسمو خلقه ، وحسن صورته
الشريفة .

ويختتم الشاعر قصيدته الطويلة بأيات يقول
فيها :

أني بمدحك أستجير وأنتني
مني نفي الحصن الحصين الامنع
قامت طارقة الحوادث وانثنت
عني نواجم كل خطب مفلح

ومن قرا هذين البيتين لم يشك في أن صاحبهما
قد تأثر بمجالس الشفاء ، وبما جربه حفظه ومدرسه
من أنه حصن حصين وحرز منيع تتقن به الفصائب ،
ويستد به في الأزمات والشدائد ، وما ذلك إلا لما
اشتمل عليه من تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ،
والإشادة بقدره ، فكان كل مدح له صلى الله عليه
وسلم جديراً بقلبك .

ومن ذلك قول مولود ابن أحمد الجواد اليعقوبي :

قد انقضت بانقضاء الرسل حجتهم
وللهدي حجج ما تنقضي الحجج
وقول محمد بن عبد الرحمن الحنفي :

وآياته تبقى مدى الدهر بعد
وما بقيت للرسل معجزة بعد

فليس هذان البيتان إلا نظماً لقول صاحب
الشفاء في الفصل الأخير من الجزء الأول :

وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم ،
وعذبت بعدم ذواتها ، ومعجزة نبينا صلى الله عليه
وسلم لا تبيد ولا تنقطع ، وآياته تتجدد ولا تضمحل .

ومن ذلك قول مولود أيضاً :

ليس للمعد أن يسمى اسم سيده
يسمى اسمه درجا قد فاق من درجا

فليس هذا البيت إلا إشارة إلى الفصل الذي
خصصه القاضي عياض في كتاب الشفاء للذكر
شريف الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ، بما
سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته
العلوية .

ومن ذلك قول محمد بن عبد الرحمن الحنفي :

وقيل فكري أنزل لعل محمد
ولو جئت مفناه أقبليه فمما
ويا ليت حدى كان موطنه بعله
وصدري ضريحاً جامعاً منه أعظم

ولا يخفى تأثر صاحب هذين البيتين بقطعه
القاضي عياض المذكورة في الشفاء والتي يقول فيها :

وعلى عهد أن ملأت جوانحي
من تلكم الجترات والعرضات
لاغفرن مصون شيبني بيتهما
من كثرة التفهيل والرفف

ومن ذلك قول الشاعر أحمد بن محمد بن محمد
سالم المجلسي في نوليته الرائعة :

دنا في ذلك المرأى دنسوا
من الرحمان ما يدنسوه دان
وذاك القرب قريب اصطفا
وليس عن المسافة والمكان

وفي هذين البيتين إشارة إلى تفسير القاضي
عياض للذات الوارد في الأسراء ، وتأويله بالاجتباء
والاصطفاء

رجوع علماء الصحراء في مؤلفاتهم وبحوثهم
إلى كتاب الشفاء

ولم يكتف علماء الصحراء بتدريس كتاب الشفاء
والتبرك به وعقد الحلقات والمجالس للاستماع إلى
أبوابه وفصوله وختمه في المواسم الدينية ، وفي
الظروف الخاصة ، وإنما اضافوا إلى ذلك أيضاً
الرجوع إليه والاعتماد عليه في كثير من المسائل
والقضايا التي ألغوا فيها .

واود التعرض لذكر بعض الشيوخ الاجلاء الذين تحملوا مسؤولية الدعوة ، واسهموا اسهاما كبيرا في حركة التأليف بالصحراء ، فكان كتاب الشفا من مصادرهم التي رجعوا اليها في السيرة والفقه والتصرف وغير ذلك .

ومن هؤلاء سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي الذي تقدمت الاشارة الى اجازته بكتاب الشفا فقد جاء في نوازل انه سئل عن امرامين قالنا كلام تحقير وتنقص بالغ في سيدنا ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هل هما مرتدان او عليهما الادب .

فاجاب انهما كافران وحدهما القتل ، ولا تعيل نوبتهما لان ذلك سبب للنبي صلى الله عليه وسلم . مع انهما كانتا مسرتين بالكفر ، وذلك زندقة يجنب فيها القتل ولا تقبل فيها التوبة ايضا ، ثم قال ليعزز هذه الفتوى ، وليحيل السائل على المصدر الذي اعتمد فيه .

وكفرهما امر ضروري لا يستلزم عليه عند اهل الاصول ، لكن لما غطت غشاوة الجهل قلوب العوام ، احتاجوا الى الاسدلال عليه ، فاقول :

نص القاضي عياض في كتاب الشفا على ان من عيب في جهته العزيزة يسخف من الكلام اي قبيح . لا يليق بمنصبه ومكر من القول ، حكمه حكم اسباب يقتل لانه زندقة وكفر الى آخر كلامه في هذا الصدد .

وسئل عن من قبل اعاذنا الله من قوله (يحرق ام النبي) صلى الله عليه وسلم ، فاجاب بان نازل ذلك كافر يقتل ولا تقبل توبته ، ويحرق بالنار ، قال وقد افنى ابو بكر بن العربي فيمن قال ان ايا النبي صلى الله عليه وسلم في النار ، بانه ملعون لان الله تعالى يقول : « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة » ، واي اذى اعظم من ان يقال ابوه في النار . يقول سيدي عبد الله قلت : بل اعظم في الايداء والجسارة الدعاء عليه بذلك . اذ الردة تدور على انتهاك حرمة الربوبية والنبوة والملكية ، فكل من اضاف نقصا الى ام النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ او الى بنته اي بلفظ بنت النبي فهو كافر حلال الدم ، والشاك في كفره اقرب الى الكفر من الايمان .

ويختتم هذه الفتوى بحديث فاحصة بضعة منى يوذيني ما يوذيا ، ويقول وكل من اذى النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر بشخص الشفا ، قال ولا يعترض على هذا بقول خليل ، وفي قبيح لاحد من ذريته فانه اتما فيه الادب الشديد ، لان محل الادب اذا قصده في نفسه كما يدل عليه كلام الشبرحيتي ، اما اذا قصده الجهة الشريفة كما هو مقصود هؤلاء الشباطين فكفر وزندقة ، كما يدل عليه كلام الشفا .

وسئل عن نساء نظرن لوحا به بول صبي لم يمس نفس الحروف ، فامسرت كل واحدة منهن الاخرى بالمبادرة الى غسله ، واخذته احداهن فتاوثته سبيا فغسله ، هل هذا توان يوجب الردة ام لا .

فاجاب ان لا ردة فيه اذا لم يحصل في ذلك توان بين ، يظهر منه الاستخفاف بحرمة القرع ان تعزى بل ان يكون لا تواني في ذلك اصلا او توان غير بين ، ويختتم جوابه قائلا .

واذا احتمل الامر كونه ردة او لا لم تكن فيه ردة كما في الشفا لقاضي عياض .

ومنهم الشيخ سيدي المختار الكنتي . فقد الف كتاب نزهة الراوي وبغية الحاروي في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه ومعجزاته وما يجب له من اجلال وتعظيم . وما رافق مولده الكريم من خوارق وآيات . وما خص به من الانباء بالمفنيات .

وعقد فيه مقارنة بين معجزاته صلى الله عليه وسلم ومعجزات غيره من الانبياء وتحدث عن الاسراء وروحه وحسبه . وما منحه الله من المناجاة والرؤية .

وعقد عدة فصول في جوده وشجاعته ونجدته وحياته وتواضعه ، وطمه وخوفه من الله تعالى . تعرض لعقوبة سمه وتنقصه صلى الله عليه وسلم .

وختم الكتاب بحكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وما للعلماء فيها من اقوال وما لها من فضائل ومزايا .

وقد حاذى الكنتي في هذا الكتاب القيم كثيرا من الابواب والفصول التي خصصها القاضي عياض في الشفا لنفس الغرض .

وقد عزا اليه في بعض أصول الكتاب وتجاوزة في كثير منها ، ليسند الى نفس المصادر المذكورة في الشفا .

وقد يذكر القاضي عياض حديثا در عن عزوة الى الكتاب المخرج فيه ، مكتفيا بالإشارة الى انه في الصحيح ، فيذكر الكنتي الكتاب الذي أخرجه ، وقد يزيد على ذلك تعليق او ما يشبه ان يكون شرحا الحديث .

وبالاختصار ، فقد اشتمل الكتاب على كثير مما في الشفا . وحذاه في عدة أبواب وفصول ، وأضاف الى ما فيه اضافات وزيادات ، مما يرجع فيه الى غيره من كتب الحديث والسيرة ، ودلائل النبوة والخصائص .

ومن امثلة ذلك الفصل الذي تعرض فيه لوجوب قتل سابه صلى الله عليه وسلم ، ورد توبته فقد استعمل بما استعمل به القاضي عياض حديثه في الموضوع حيث يقول : (فعن سبه صلى الله عليه وسلم لو تنقص قتل ولا تقبل توبته لان ذلك من باب الحد والتأديب لا من باب الكفر والتعذيب ، فيقتل سداً لذلك الباب : وحسبنا لتلك الاسباب : المؤدية لبعث من رب الارباب واغصاب النبي الاواب ، فيكون القتل حينئذ حدا لا كفرا ، كما ورد عن كثير من السلف بخلاف ما اذا سب الله ، فانه تقبل توبته اذا تاب ، وعلم ذلك من نيته ، لان الله تعالى لا يدركه نقب ولا يتأذى بنقص ، بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم ، فانما هو بشر مثلنا ، يتأذى بكل ما يتأذى به البشر ، وليس من حقه علينا اذانيته ، فيقتل المنتقص له حداً ان تاب وكفرا ان لم يتب ، فيكون قتله حينئذ حدا لا ردة ، حسبنا لهذا الباب وقطعنا تلك الاسباب .

وبعد ان قطع بوجوب قتله وعدم قبول توبته ، وأشار الى ان القتل يقع عليه حداً ان تاب ، وكفرا ان لم يتب ، وأنه ان تاب نفعته توبته في الاخرة ، الا انها لا تدرا عنه الحد والتأديب ، وذكر الخلاف في تجتم قتله حالا ، وفي وجوب استتابته بدا بتخصيص ما في كتاب الشفا من أدلة الكتاب والسنة واقتوال العلماء في قتله ورد توبته وعثره : فذكر قوله تعالى :

« ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة » واعد لهم عذابا مهينا » . وعلق على هذه الآية الكريمة فقال : (واللعنة من الله هي ابعاد الملعون من رحمته واخلاقه في وبال عقوبته) . ونقل قول القاضي عياض في الموضوع : (انما يستوجب ان من هو كافر . وحكم الكافر هو القتل) .

واستدل على عدم قبول توبته ورد عثره بقوله تعالى : « قل ايالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن . لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم » .

ويتعل قول عياض : قال اهل التفسير كهرنم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم . واورد من أدلة السنة ما أورده القاضي عياض من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من لعن ابن الاشراف . فانه يؤذي الله ورسوله ، ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين ، وعلل باذاه به قتل ان قتله له تغير الاشراف بل للآذى الى غير ذلك من الأدلة التي ساقها في هذا الموضوع اعتمادا على ما في كتاب الشفا .

وقد ذكر في نهاية هذا الفصل بعض الايرادات التي أوردها الشافعية على أدلة المالكية في عدم قبول توبة سابه صلى الله عليه وسلم ، وذكر تعقيب ابن الخطيب القسطلاني على القاضي عياض في هذا المجال .

ومن ذلك الفصل الذي خصصه للحديث عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فصدره مقدمة يقول فيها :

(اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وردت صريحا بنص الكتاب ، وان الله وملائكته يصلون عليه قبل بعثته بل قبل وجوده ، نوحيت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم) .

وبلاحظ النشابة بين هذه المقدمة وبين مقدمة القاضي عياض لنفس الغرض حيث يقول :

(اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لا سحر الله تعالى بالصلاة عليه ، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب ، واجمعوا عليه) .

وقد استعرض اكننتي ما تضمنه كتاب الشفا من اقوال العلماء في هذا الموضوع فذكر منها ما يلي :

(1) قول مالك بوجوبها مرة في العمر .

(2) قول القاضي ابي الحسن بن الفصار ان ذلك واجب في الجملة على الانسان ، وقضى عليه ان يأتيها مرة من دهره مع القدرة على ذلك .

(3) قول القاضي ابي بكر بن بكر ان الله اقترضى على خلقه ان يصلوا على نبيه **وسلموا** تسليمًا ، ولم يجعل ذلك لوقت معلوم ، فالواجب ان يكثر المراء منها ولا يغفل عنها .

(4) قول ابي جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على التندب مدعى الاجماع على ذلك .

(5) قول الشافعية بوجوبها في الصلاة الى غير ذلك من الاقوال التي استعرضها في هذا الصدد .

ولم يكن الكنتي من أولئك الذين يتقبلون الاقوال ويسلمون الآراء والمذاهب دون مناقشة ولا تمحيص ، ولذا فهو ذو حرص شديد على تتبع هذا الموضوع وتقصيه ، ورد كل ما يستوجب الرد من نظره ، ومن امثلة ذلك ما يلي :

1 - رده على ابن جرير الطبري حيث يقول - الكنتي - :

(اما ما ادعاه من الاجماع على استحبابها ، فغير مسلم ، بل هو معارض يدعوى غيره الاجماع على مشروعية الصلاة في الفريضة ، اما بطريق الوجوب على مذهب ابي حنيفة والشافعي ، واما بطريق التندب وهو مذهب مالك ، واما بطريق السنة ، وهو مذهب احمد ، ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف) .

2 - دفاعه عن القاضي عياض حيث يقول :

(وقد عاب غير واحد على القاضي عياض في الشفا نصه على وجوب الصلاة عليه ، وما انصفوا في الهيب عليه ، ورد قوله لان ميتي تاليفه الشفا على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم ، واداء حقوقه ، والقول في وجوب الصلاة عليه من

غرض المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم ، الى ان يقول وكيف يتكر القول بوجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم) .

3 - ميله الى مذهب الشافعية في وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، في الصلاة :

وقد ذكر اقوال العلماء الذين اخذوا بذلك . ونقل ما اتمموا عليه من الأدلة ، مما لا يتسع الوقت لعرشه ، وفي ذلك يقول :

(اما من شنع على اشافعي فانه ذهب في غير مذهب ، لان الشافعي لم يخالف نصا ولا اجماعا ولا قياس ولا مصلحة راجحة ، بل القول بذلك من محاسن مذهبه ، واحق بالشنيع منه القائل بجواز ترك الصلاة على افضل خلق الله في الصلاة التي هي راس العباداة) .

ومنه الشيخ محمد الفصري الايدليبي ، صاحب التوازل ، فقد سئل في نوازله عن قول البوصيري :

وبت نرى الى ان نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

وما هي هذه المنزلة التي اشار اليها ، وهل هي المناجاة او الرؤية او الدنو المذكور في الآية الكريمة وعن حقيقة ذلك ، وهل هو قرب مكاني او معنوي .

ولا يخفى ما يحباح اليه جواب مثل هذا السؤال من اطلاع على نقول العلماء وآرائهم والالمام بعقائد اهل السنة ومذاهبهم في التفويض والتأويل .

وبما ان صاحب السؤال صدره بيت البوصيري فقد اجابه الفصري بما لشرح البردة في هذا البيت ، نستعرض اثناء ذلك اقوال المفسرين والمحدثين واثمة العلم حول الاسراء بالجسد والروح وحلول الرؤية والدنو الوارد في الآية الكريمة .

واكد للسائل ان الدنو الوارد في الآية الكريمة مؤول بدنو الرضا والقبول ، ورفع الدرجة والمقام المحمود واشراق انوار المعرفة والاجتهاد والاصطفاء كما تؤول آيات الصفات واحاديثها التي لا بد فيها من

التأويل أو من التعويض بعد صرفها عن الظاهر
المستحيل .

وختم جوابه بما ختم به القاضي عياض فصول
الإبراء من كتاب الشفا ، فقال - القصري - قال
القاضي عياض رحمه الله :

(أعلم أن ما وقع من إضافة أدنو وأقرب هـ
من الله وإلى الله ، فليس يدنو مكان ولا قرب مدى ،
بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس يدنو
حدا وإنما ذو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه ،
وقربه منه إبانة عظيم منزلة وتشريف رتبته وأشرف
أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ، ومن
الله تعالى له مهرة وتاييس وبسط وإكرام ، ويتناول
فيه ما يتناول في قوله : (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا
على أحد الوجوه نزول أفضال وأجمال وقبول
وأحسان ، قال الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا
ثم جعل مسافة بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى
بعدا ، يعني عن درك حقيقته ، إذ لا دنو للحق ولا
بعد ، وقوله قاب قوسين أو أدنى ، فمن جعل
انضمير عائداً إلى الله تعالى لا إلى جبريل على هذا ،
كان عبارة عن نهاية القرب ، ولطف المحل ، وإيضاح
المعرفة ، والإشراف على الحقيقة من محمد (ص) ،
وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء المطالب وإظهار
التحفي وإانافة المنزلة والمرتبة من الله له ، ويتناول
فيه ما يتناول في قوله :

من تقرب مني شبرا تفريت منه ذراعاً ، ومن
أتاني يمشي أتته هرولة ، قرب بالإجابة والقبول
وإتيان بالأحسان ، وتعجيل المأمول .)

وهكذا وجد القصري في كلام القاضي عياض ما
يدعم جوابه ، وما يرضي ميله في التأويل الذي هو
أحد مذاهب الأشاعرة فيما لا بد من صرفه عن
ظاهره .

وخير من يعتد بنقله ورأيه في ذلك القاضي
عياض رحمه الله .

ويرد عليه سؤال آخر حول المحفظة الخاصة
بالمصحف والمعروفة في الصحراء بالجفيرة ، هل
لها حرمة المصحف أم لا ؟ .

فيجيب بضرورة تعظيمها وإضفاء حالة الاحترام
عليها قياساً على وجوب تعظيم أكنة النبي صلى الله
عليه وسلم ، ومشاهده ويقول : قال القاضي عياض
رحمه الله : (ومن أعظمه وإكباره أمثال جميع
أسبابه وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة
ومعاهده وما لمسه صلى الله عليه وسلم أو عرف به .

ويلخص في هذا الموضوع ما نقله القاضي
عياض عن الشفا من قصة أبي محذورة التي طاشت
طولا زائداً فقيل له ألا تحلقها ؟ فقال لم أكن يظنني
يحلقها وقد مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده ، وما روى من مبالغة خالد بن الوليد رضي الله
عنه في الحفاظ على شعره صلى الله عليه وسلم ،
وما نقل عن الإمام مالك عن استحبابه أن يطأ تربته
العدينة المنورة بحافر ذابة ، إلى غير ذلك مما
اشتمل عليه هذا الفصل من كتاب الشفا .

ويلحق - القصري - على ذلك قائلا أي إذا علمتم
هذا اتضح لكم من باب الاحروسة وجوب تعظيم
جفيرة المصحف ، لأن آية من كتاب الله تعالى أفضل
من محمد صلى الله عليه وسلم .

ومنهم العلامة زين بن محمد (7) بن أحمد
الشمسوي البغدادي الذي ألف كتاباً يدافع فيه عن
الطريقة التيجانية ويرد على خصومها ومنتقديها .
ويذكر فضائل أهلها وذوياً ويستشهد لذلك بتلقي
أجلاء العلماء لها ، ورضاهم بحال أهلها .

وقد اعتمد في هذا التأليف الهام على الكتاب
والسنة ، وكتب أئمة الملة من محدثين ومفسرين
ورجال فقه وتصوف ، فكان من بين الكتب التي رجع
إليها أكثر من مرة كتاب الشفا .

وأذكر من ذلك على سبيل المثال الفقرة التي
يشير فيها إلى أن الحال والماضي والمستقبل حالات

(7) هو زين بن محمد ابن أحمد البغدادي المتوفى سنة 1358 هـ ، بلغت تأليفه المائة ، أشهرها نظمه
في تفسير الفراءان وشرحه لمختصر خليل ونظمه لشمائل الترمذي ، وكتابه المسمى المواهب
الربانية في اعتقاد أحسن المذاهب بالتيجانية ، وقد أشار في هذا الكتاب إلى أنه ليس تيجانيا ولم
يأخذ أي ورد من أورادها ولكنه ألف في الدفاع منها انتصاراً للحق .

الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسبه من نسبه ،
 قد علمه أصحابي هؤلاء وأنه ليكون منه الشيء ،
 فأمره فذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا
 غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ، ثم قال حذيفة ما أدري
 أنسى أصحابي أم تناسوه ، والله ما ترك رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تقضي
 الدنيا ، يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا ، إلا سماء لنا
 باسمه أو اسم أبيه وقبيلته .

ويذكر بعد هذا قول أبي ذر :

« لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه
 علما » .

وينتهي الكلام في هذا الموضوع قائلا : إلى آخر
 ما نقله القاضي عياض في كتاب الشفا .

ومنهم شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم نياس (8)
 الذي حمل مشعل الدعوة المحمدية في غرب أفريقيا
 منذ حوالي منتصف القرن المنصرم إلى السنوات
 الأخيرة منه ، وكان داعية عظيما يعتمد فيما يعتمد
 من أساليب الدعوة أحياء الدراسات الحديثية ،
 وتدریس السيرة النبوية وأقوالها ونشرها من خلال
 مؤلفاته ومحاضراته ودواوينه الشعرية التي تلقها
 ملايين المسلمين بقبول منقطع النظر .

وكان تأثره بكتاب الشفا واضحا في كثير من
 هذه الدواوين والقصائد ، التي تعتبر كل واحدة منها
 درسا قيما من دروس سيرة النبي صلى الله عليه
 وسلم ، ودلائل نبوته ومعجزاته ، ولولا ضيق المقام ،
 لأوردت نصوصها رائعة من هذه القصائد .

وقد عرفت أفريقيا وتمد منتصف القرن
 الهجري الماضي مختلف التيارات الفكرية ونشت
 فيها النحل المستوردة ، وبدأ دعاة البدع والأهواء
 ومروجو الشبه يشبهون مقالاتهم وينشون ضلالتهم

عارضة للزمان بالقياس إلى ما يختص بالجزء منه ،
 إذ الحال معناه زمان حكمي هذا ، والماضي زمان هو
 قبل حكمي هذا ، والمستقبل هو زمان بعد زمان
 حكمي هذا ، فمن كان حكمه أزليا محيطا بالزمان ،
 وغير محتاج في وجوده إليه ، وغير مختص بجزء من
 أجزاءه لا يتصور في حقه حال ولا ماض ولا مستقبل ،
 فالموجودات من الآزل إلى الأبد معلومة له في كل
 وقت .

فقد سبق هذه الفقرة ليعيد إلى الأذهان أن
 تأخر الزمان وبعد الأوان لا يمنع من خصه الله بالمنح
 الربانية أن يصل إلى أفضل مما وصل إليه سابقوه ،
 ومثل لذلك بوجوب النبوة للنبي صلى الله عليه وسلم ،
 وآدم بين الروح والجسد ، وقال : إلى غير ذلك مما
 ذكره القاضي عياض في الشفا .

ومن أمثلة ذلك أيضا افتتاحه الحديث عن علم
 النبي صلى الله عليه وسلم وإطلاعه على الغيب بقول
 عياض في الفصل الذي خصه لذلك :

الاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ،
 ولا ينزف غمره ، وهذه المعجزة من جملة معجزاته
 المعلومة على القطع الراصل إلينا خبرها على التواتر
 لكثرة روايتها ، واتفاق معانيها .

ويورد أثناء حديثه في هذا الصدد كثيرا مما
 أورده القاضي عياض من أخباره صلى الله عليه
 وسلم بالأمور التي ستكون والتي صحت وشوهت ،
 وكانت من دلائل نبوته وصدق رسالته صلى الله عليه
 وسلم .

ويذكر في هذا المجال كذلك الحديث الذي
 أورده القاضي عياض في الشفا بسنده إلى حذيفة بن
 اليمان رضي الله عنه حيث يقول :

« قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مقاما فما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك إلى قيام

(8) الشيخ إبراهيم نياس هو شيخ الإسلام الداعية الكبير الذي بلغ أتباعه في غرب أفريقيا عجمًا
 وعربًا أكثر من ثلاثين مليونًا . وقد لعب دورا عظيما في نشر الإسلام وحارب الوثنية وقضى
 عليها ، وحاربه الكنيسة فهزمها . وقد ترك عدة مؤلفات ودواوين في مختلف العلوم وفي السيرة
 النبوية وأمداح النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أضفته في هذه الدراسة إلى علماء الصحراء مع
 أنه سينفالي لصلته الوثيقة بعلماء شنقبط ولأن له فيها أتباعا كثيرين .

حتى بلغنا الجراحة بأحد المنتهين للعلم وقد فقد رشده وصوابه أن يعرض على افضلية النبي صلى الله عليه وسلم ، ويظعن في خصوصيته على سائر الانبياء الكرام ، غير عابء بمحكم القرآن وصحيح السنة ، واجماع السلف والخلف .

فما كان من شيخ الاسلام الا ان يادر بالرد على هذه المقالة الشنيعة ، وألف فيها كتاب (نجوم الهدى في كون نبينا افضل من دعا الى الله وهدى) .

وهو كتاب قيم يشير في مستهله الى افضليته صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

« الحمد لله الذي فضل بعض النبيين على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، وجعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم افضلهم كمالا وكملة . ومقامه فوق المقامات فهو بالنص والاجماع افضل واكمل المخلوقات ، وسيد ولد آدم ورحمة الخلق حتى ارباب النبوات والرسالات ، وعلى آله وصحبه وامتة خير امة اخرجت للناس بنى المذكر والآيات » .

وبعد هذا الاستهلال ياتي بمقدمة يذكر فيها اسباب تأليف الكتاب يقول :

« اما بعد ، فاني منذ عدة سنوات اسمع مفاا ينسب لبعض اهل الملة الاسلامية ، وجعلته في عداد الجرافات ، وعزمت الا ابل قلبي برد تلك الترهات ، حتى شاع وذاع ، واكثر اهل العصر اميون لا يعلمون الكتاب الا امانتي ، وما زخرف لهم رؤساؤهم من الفبي والضلالات ، والمقال انه ما ثم دليل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبياء رباب الحقائق والمعجزات ، فحققت ان يصغي العوام الجهة الى تلك الخزعبلات ، فعبدت لهم جوابا مختصرا قدوهم اهل العصر ، وما اتصفوا به من قلة المبالاة ، فقلت ان التفاضل بين الانبياء مذكور في التراء العزيز ، ومحمد افضل الانبياء والمرسلين ، وهذا اوضح من النهار ، ولا يحتاج للدلالات .

قال :

تكيف يصح في الاذهان شيسى
حتى احتاج النصار الى دليل

وحيث ان المخاطبة مع غبي من الاغبياء ، تكنب مجارة مع غباوته ، ينصب الدلائل والآيات فنقول :

نص القرءان ان محمدا رحمه للعالمين ، وصح انه الشفيخ فيهم يوم القيامة وسيد ولد آدم ، وآدم بمن دونه بعد لوانه يوم القيامة ، وانه خاتم النبيين وامامهم ودينه افضل الاديان وامتة افضل الامم وكما به افضل كتاب نزل من السماء ، وانه اول من تنشق عنه الارض ، واول من يدخل الجنة ، وله الوسيلة ، وعظمه الله بما لم يعظم به غيره ، ورفع ذكره ورفخ له وغفر له واذهب الرجس عن اهل بيته ، وأسرى به واقسم بحياته وعصره وبلده واعطاه الكونر ، وبقيت آياته مستمرة ونسخ دينه الاديان وبعث الى كافة الخلق .

وبعد هذه المقدمة الموجزة المستفانة من الكتاب والسنة ، والتي تكاد تكون كل كلمة فيها تلخيصا لفصل مستفيض من فصول كتاب الشفا ، يشرع في دحض المقالة الشنيعة ويبدأ في استعراض الادلة النقلية والعقلية ، وبراهاين النبي لا تدفع على افضليته صلى الله عليه وسلم وخصوصيته على سائر الانبياء والرسل عليه وعليهم صلوات الله تعالى وسلامه .

وقد اعتمد فيما اعتمد من كتب الحديث والتفسير وقول الائمة كتاب الشفا .

وهكذا نجد في بداية حديثه عن افضلية النبي صلى الله عليه وسلم واستعراضه الادلة العقلية والنقلية ، يفتح ذلك بالمقارنة التي عقدها القاضي عياض في كتاب الشفا ، والتي تتلخص في ان مقام الخليل هو الطمع لي المعقرة لقوله : « والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين » ، وانصيب مقامه في ذلك « انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر » ، والخليل مقامه المطلب : لقوله : « ولا تخزني يوم يبعثون » ، ومقام الحبس الاعطاء من غير طلب ، « يوم لا يخزي الله النبي » والذين آمنوا معه ، والخليل قال : « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » ، والحبس قبل له : « ورفعنا لك ذكرك » ، والخليل قال : « واجنني وبني ان نعبد الاصنام » ، والحبس قبل له : « انما يريد الله لذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم ويطهرا » ، والخليل قال : « اني ذاهب الى ربي

سيهدين » ، والحبيب قيل فيه : « سبحانه الذي اسرى بعده ليلا » الآية .

وبعد هذه المقارنة التي ذكرها القاضي عياض في كتاب الشفا ، يضيف شيخ الاسلام مقارنة اخرى بين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبين موسى عليه السلام ، مشيرا الى ان مقام موسى عليه السلام المجرى الى الميتات ، ومحمد صلى الله عليه وسلم مقامه الاسراء بجسده وروحه ، ومناجاة الكليم عند الطور ، ومناجاة الحبيب فوق العرش وفوق الفوق ، وكلام الله لموسى كان وحيا منه تعالى اليه ، وكلامه لمحمد صلى الله عليه وسلم كان عيانا ، وجواب موسى في طلب الرؤية (لن تراني) ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال عنه تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى » ، وقال تعالى عن موسى : « وحر موسى صعقا » ، وقال عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : « ما زاغ البصر وما طغى » ، وحكى الكلام الذي كلم به موسى قذل : « وما تلك بيمينك يا موسى » الآية .

وكنم مناجاة الحبيب وابهمها بقوله : « فوحي الى عبده ما اوحى » .

ويابى شيخ الاسلام الا ان يختم هذه المقارنة بالحديث الذي اورده القاضي عياض في هذا الصدد حيث يقول عن ابن عباس ، قال : (جلس ناس من الصحابة يتذكرون فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثهم فقال بعضهم عجيبا ان الله اتخذ ابراهيم خليلا ، وقال آخر ما ذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما ، وقال آخر عيسى كلمه الله وروحه ، وقال آخر آدم اصطفاه الله ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال قد سمعت كلامكم وحجتكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجي الله وهو كذلك ، وعيسى روح الله وهو كذلك ، وادم اصطفاه الله وهو كذلك ، الا وانا حبيب الله ولا فخر ، وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وانا اول شافع وانا اول مشفع ولا فخر ، وانا اول من يحرك حلقة الجنة فيفتح لي فادخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر .

وقد ورد اسم القاضي عياض مرتين في هذا الكتاب ، الاول في شرف نبيه صلى الله عليه وسلم حيث يقول ، قال القاضي عياض رحمه الله تعالى :

(واما شرف نبيه وكرم بلده ومنشئه ، مما لا يحتاج الى اقامة دليل ولا بيان ، مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم وافضل سلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ، ومن اهل مكة اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده) ا هـ .

الثانية في ذكر اخذ الميثاق على الانبياء والرسل ان يؤمنوا به ويتبعوه وقد ذكر فيها انه كثيرا ما ينقل من كتاب الشفا حيث يقول :

(واما ما عهد الله له من قدم نبوته وذكره فقد روى القاضي عياض رحمه الله من ذلك في كتاب الشفا اخبارا كثيرة ، وكثيرا ما أقتل منه) ا هـ .

واشير هنا الى ان صتيه في هذا الكتاب ، ان ينقل بعض ما في فصول كتاب الشفا ، ويتبعه بعدة نقول وبحوث هامة لا تترك مقالا لغائل .

تلك شخصيات علمية ذات نفوذ وحي وشهرة واسعة في الصحراء ، تحملت مسؤولية الدعوة واذات دورا تاريخيا في نشر العلم والمعرفة ومحاربة البدع والاهواء والضلالات معتمدة في ذلك على الكتاب والسنة وتراث السلف وكتب اندوة النبي عنيت باقامة الاثلة والبراهين على صدق الرسالة المحمدية وتبل غايتها ومقاصدها وما خص الله به صاحبها من دلائل النبوة ومجانب المعجزات ، ومما امتاز به صلى الله عليه وسلم من سيرة لم تنوفر لغيره من الانبياء والرسل الكرام عليه وعسى جميعا صلوات الله وسلامه .

وكان لكتاب الشفا في هذه الكتب مكان العداوة فاعتد به علماء الصحراء ، وخاضوا به معركة الجهاد والدعوة ودرسوه وعقدوا له المجالس ورجعوا اليه واستناروا به في منهجية التوجيه والارشاد .

وليس ما اشتمل عليه هذا البحث من اسماء العلماء والتأليف المتأثرة بالشفا الا نماذج وامثلة تعطي للقارئ الكريم لمحة عن الدور الذي لعبه هذا الكتاب في تاريخ الدعوة الاسلامية في الصحراء .

وهو موضوع تستحيل الاطاحة به في مثل هذه الدراسة مقتضية .

القاضي عياض مفسر

للدكتور حسن الوراكلي

وفي العقدين الاخيرين توفر بعض الباحثين في المغرب والمشرق على دراسة آثار القاضي عياض ونشرها ، محققة متونها ، معلقة هوامشها ، وكان من نتيجة ذلك ان اشتملت العناية بعياض وبتراثه بين طلبة الاقسام العليا في جامعاتنا وفي جامعات الشرق والغرب وانصرف غير واحد من هؤلاء الى انجاز دراسات (1) في فكر عياض وادبه ، نحن نجهل حظها من الجودة ، والطرافة ، والاهمية ، ولعلها ، حين تعرف طريقها الى النشر ، ان تحقق لبثت العلمي حول عياض ما يسعى اليه من أهداف .

كما كان من نتيجة نشر بعض آثار عياض ، موثقة ، محققة ، ان نشط غير قليل من الباحثين لاعداد دراسات في اهتمامات عياض وانجازاته المتنوعة في اهم مجالات الثقافة الاسلامية المعروفة على عصره ، غير اننا لم نكد نجد في مجموع ما نشر من هذه الدراسات (2) دراسة تفتح باب البحث في اهتمام عياض بالقراءان الكريم قسي مجالسي الدرس

فلطفت آثار القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحضيبي السبتي (476 هـ - 1083 م / 544 هـ - 1149 م) ، على مدى القرون والاعصار ، باهتمام العلماء ، وعناية المتعلمين ، يروونها أولئك ويقرؤونها في حلقاتهم ، ويكتب هؤلاء على استنساخها ، ويحفظونها في درسها ، ومن ثم كان لتلك الآثار ، على تنوعها ، هذا الذكر الذي لم ينقطع منذ ان أخرجها مؤلفها لطلبة العلم وأعله في النصف الاول من القرن السادس الهجري وأذاعها في تلامذته الذين سعدوا بالخلق حوله في مجلس ادرس والتحصيل ، ثم تولي العلماء ، من بعده ، جيلا بعد جيل ، اذاعتها ، معرضين نبوغ ، ومجتلي عبقرية ، لم يملك معهما الذين دأبوا - جهلا او تجاهلا - على استقصاء الاسهام المغربي في اغناء حياه المسلمين العقلية والفكرية الا ان يدعوا ويقرؤا ، وما أحسب الا ان هذا الذكر سيحصل ما حرصت أمة القراءان الكريم والسنة العطرة على استيعاب تراثها الغني بالقيم السامية ، والمثل العليا ، تتمثله ، وتأخذ منه قبا تنور به واقمها ، وتصوغ في هديه ، مستقبلا .

- (1) منها ما قدم لنيل شهادة الماجستير أو الدكتوراه في آداب برشلونة، وغرناطة، والقاهرة ، والأزهر، ودأر الحديث الحديثة . وقد احلنا عليها جميعها في البيوبليوغرافيا التي اعددناها عن القاضي عياض .
- (2) أنظر مجلة الايمان (عدد خاص عن القاضي عياض) السنة الثامنة . العدد 72 - 73 (صفر وبيع النبوي 1398 / يناير وفبراير 1978) .
وانظر ، المناهل (عدد خاص بالقاضي عياض) العدد 19 - السنة السابعة . صفر 1401 - دجنبر 1980 .

والتفسير ، وهما مجالان ليس يمكن بحال فصلهما عن المجالات العلمية الأخرى التي ندر عياض حياته لها .

ولا شك أن دراسة تستهدف تقديم عياض للناس مفسراً من شأنها أن تملأ فراغاً في الدراسات العياضية ، وهذا أقصى ما تطمح إلى تحقيقه هذه الدراسة .

* * *

نبدأ بطرح هذا السؤال :

هل ألف القاضي عياض في التفسير ؟

الحقيقة أن ما نعرفه لعياض من صفات علمية كانت جميعاً نزعاً لأن ينصب للتأليف في ذلك . فقد استطاع ، وهو في العقد الثالث من عمره ، أن يحصل على المعارف التي كان القدامى يشترطونها فيمن يتصدى لتفسير القرآن من استظهار له ، واتقان لقراءته ، ومعرفة بعلومه ، وعمق في دروس مجاميع الحديث ومسانيده ، وأطلاع واسع على علوم اللغة من نحو ، وصرف ، وأشتقاق ، وعلوم البلاغة من معان ، وبيان ، وبدیع ، وتضلع في الفقه وأصوله ، وعلم للكلام ومذاهبه ، وتمكن من التارسخ والإخبار ، والسير ، هذا إلى ما عرف به من إحساس مرهف ، وذوق رفيع ، وقدرة بالغة في سبر النقص الأدبي واستنباطه .

كما أن ما نعرفه من النشاط الذي تميزت به حركة التأليف في التفسير ، والقراءات ، وعلوم

القرآن في القرب الإسلامي ولا سيما الأندلس على عصر عياض (3) كان من شأنه أن يستحثه ، وهو من نعرف سعة اطلاع في علوم الآلة والرواية ، على التأليف في ذلك .

ومع هذا وذلك فلم يثبت لدينا أن عياض خص التفسير بكتاب ، أو أفرد علماً من علوم القراءات بتصنيف .

والسؤال الثاني الذي نطرحه ، هو :

هل خلق القاضي عياض للتفسير ؟

الحقيقة ، أيضاً ، أن مواهب عياض العلمية ، واشتغاله بالأقراء والتدريس ، مما كان يؤهله قبل غيره من علماء سبته في عصره ، للجلوس لتفسير القرآن ، لكننا لسنا نملك نصاً صريحاً بذلك ، والذين ترجموا له بلوژون جميعهم بالصفت أزاء هذا التساؤل . ويكتفي ولده محمد فيما كتبه من تعريف بسيرة والده ، وهي التي باتت مرجع الذين ترجموا له فيما بعد ، بالإشارة إلى أن والده كان (من حفاظ كتاب الله تعالى ، والقيام عليه ، لا يترك التلاوة له على كل حالة ، مع القراءة الحسنة المستعذبة ، والصوت الجهوري ، والحظ الوافر من تفسيره ، والقيام على معانيه وأعرابه وشواهده وأحكامه وجميع علومه (4) . فإذا أضفنا إلى ذلك أن الرجل كان (محباً في طلبه العلم ، محرضاً لهم على طلبه ، سهلاً لهم الطرائق (5) لم نستبعد جلوسه لتفسير القرآن وتدريس علومه وأحكامه .

(3) إذا كانت الدراسات القرآنية قد بدأت تزدهر في الأندلس منذ فترة مبكرة من حياته العلمية والفكرية فإنها قد بلغت أوجها في القرنين الخامس والسادس . ففي أولهما لم تعد العناية بالتأليف في تفسير القرآن وعلومه مقصورة على شيوخ العلم ، بل شاركهم فيها الرؤساء والولاة من أمثال محمد بن أحمد بن صمادح النجيب (ت 419 هـ - 1028 م) الذي اختصر تفسير الإمام الطبري ، ومجاهد العامري (ت 436 هـ - 1044 م) الذي نقلت بأمارته في دانية سوق القراءة لما كان هو من أئمتها كما يقول ابن خلدون (المقدمة : 365) . أما في القرن السادس فقد عرفت المكتبة القرآنية في الأندلس أسهامات هامة على يد عصري عياض ، وفي مقدمتهم : أبو بكر الطرطوشي (ت 520 هـ - 1126 م) ، وابن عطية المحاربي (ت 542 هـ - 1147 م) ، وابن العربي المعافري (ت 543 هـ - 1148 م) ، وقد استوعبنا صورة للإسهام الأندلسي في التفسير في دراسة مفصلة هي من جملة خطباتنا .

(4) انظر ، التعريف بالقاضي عياض : 4 .

(5) نفسه : 5 .

على أننا لسنا نقطع برأي في تأريخ جلوسه لذلك ، هل كان قبل رحلته العلمية إلى الأندلس سنة سبع وخمسمائة (6) ، أم بعد عودته منها في السنة الموالية (7) .

المعروف أن عياضاً كان ، قبل أن يترك مسقط رأسه ، استكمل ثقافته القرآنية ، والحديثية ، واللغوية ، والفقهية (8) ، وهو أمر تصور معه استواء شخصية عياض العمية ونضجها ، ومن شأن هذا الاستواء والنضج أن يحملا صاحبه على الجلوس للقراء والتعليم . أما بعد عودته من الأندلس فالظن بهذا الجلوس يقوى ويترجح ، وإذا كان أهل بلده قد سارعوا على أن يعودته من الأندلس فأجلوسه للمناظرة عليه في المدينة (9) فأننا لا نستبعد بأية حال أن يكون الرجل اتخذ له منذ ذلك التاريخ مجلساً بجامع سبته لتدريس العلوم والمعارف التي كان تم له إتقانها وضبطها بقاء شيخ العلم بالأندلس ، ويغلب على الظن أن يكون القرآن تفسيراً ، وقراءة ، وأحكاماً ، في مقدمة ما عني عياض بتلقينه للطلبة الذين كانوا يتحلّقون حوله ، ويجلسون للأخذ عنه .

وفي ضوء الإجابة عن السؤالين المتقدمين ، وبعبارة عن الافتراضات والتخمينات ، تلقى أنفسنا بإزاء حقيقتين لا مراء فيهما :

أولاهما أن عياضاً لم يؤلف في التفسير أو في علوم القرآن الأخرى كتاباً بعينه .

وثانيتهما أنه لم يثبت لدينا ، بصفة قطعية ، جلوسه للتفسير ، وتلقين القراءات ، ومعاني القرآن وأحكامه ، في سبته أو في غير سبته ممن المحدث الأندلسية أو المغربية التي قدر له الإقامة بها .

(6) نفسه : 6 .

(7) نفسه : 10 .

(8) انظر ، مقدمة الأستاذ محمد بن تاووت لكتاب ترتيب المدارك ، 1 : و - ز - ح .

(9) انظر ، التعريف بالقاضي عياض : 10 .

(10) انظر ، المصنوع نفسه : 4 .

(11) انظر ، الديباج المذهب : 168 .

(12) انظر ، الداودي ، طبقات المفسرين ، 2 : 18 - 22 .

(13) انظر ، معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى : 28 .

ومع ذلك فإن غير واحد من مترجميه نوه ببراعته في تفسير القرآن ، وأشاد بتمكنه من علومه ، فهذا ولده يذكر ما كان لوالده من التحفظ الوافر من تفسير القرآن (وأقيام على معانيه وأعرابه وشواهده وأحكامه ، وجميع أنواع علومه) (10) ، وهذا أبين فرحون يقول عنه أنه كان (عالماً بالتفسير وجميع علومه) (11) ، بل أننا نجد بعض من صني من المؤلفين والمحدثين بتصنيف المفسرين والتأليف في طبقاتهم يدرج عياضاً ضمنهم ، فهذا الحافظ شمس الدين محمد الداودي يترجم له في كتابه (طبقات المفسرين) ويثني على علمه بالتفسير (12) ، وهذا الأستاذ عبيد العزيز بن عبد الله يترجم به في معجمه الذي جمعه في محدثي المغرب الأقصى ومسريه وقرائه (13) .

ومهما يكن من أمر فأننا مقتنعون بأن تسمية الطبقات ومعاجم الرجال التي ترجمت لعياض لسن تمعدنا بنفع كبير فيما نحاوله من رسم لملامح عياض المفسر ، ونحن مدركون بأنه ليس كنتاج الرجل نفسه مصدر يجمع ما تبشر في صفحاته من ملامح صورة عياض المفسر وأجزائها . ثم نجتهد في تركيبها والتأليف بينها .

ولعل كتابه « الفنية » وهو معرض لمعارف شيوخه ، ومقروءاته ، ومروياته عنهم ، أن يكون في طليعة ما تقيده منه من نتاج عياض في استكشاف الموارد التي استقى منها ثقافته الواسعة في علوم القرآن من تفسير ، وقراءات ، وأسباب نزول ، وناسخ ومنوخ ، وأعراب ، وأحكام ، وغير هذا وذلك من أنواع العلوم القرآنية . ونحن نمثل هذه الموارد في شخصيات شيوخه الذين اشتهروا بحفظهم لتلك العلوم ، وكان لهم ، فيما نقدر ، تأثير ، تختلف نسبتته من شيخ إلى آخر ، في تكوين عياض العلمي في هذا الميدان ، كما نعتلها - أي الموارد - فيما

قراه عليهم من كتب التفسير ، او رواه عنهم من مصنفات في علوم القرآن .

اما شيوخ عياض واساتذته في التفسير وعلوم القرآن من السيبين والطراة على سبته او من الاندلسيين فهم :

1 - محمد بن سليمان النفري (توفي 525 هـ - 1130 م) ، كان من مشاهير مدرسي الادب ، والنحو ، والحديث ، والفري (14) في العقود الاخيرة من القرن الخامس ، والاولى من السادس . قرأ عليه عياض بعض تصنيف احمد بن عمار المهدي في القراءات من مثل (الهداية) ، و (التحصيل) ، و (التفصيل) (15) .

2 - القاضي أبو بكر بن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي (توفي 543 هـ - 1148 م) وهو أحد اعلام الاندلسيين الذين تالقي بأسائهم تاريخ التفسير في الاندلس خلال النصف الاول من القرن السادس الهجري ، وله في المكتبة القرآنية : احكام القرآن ، وفاتون التأويل ، وناسخ القرآن ومنسوخه . ومع ان القاضي عياض لا يذكر فيما ذكر من الكتب التي حدثه بها ابن العربي وقراها عليه سواء في سبته او في اشبيلية وقرطبة مؤلفاته حول القرآن ، الا انه ليس من المستبعد ان يكون عياض انتفع بها ، وافاد منها ، سيما وانه يشهد بما في مؤلفات ابن العربي من ملاحه ، وحسن ، وفائدة ، مما يدل على انه اطلع عليها ، وذلك حين يقول : (وصنف - أي ابن العربي - في غير فن تصنيف مباحة ، كثيرة ، حنة ، مفيدة) (16) .

3 - محمد بن عبد الله الموروري (توفي 500 هـ - 1106 م) ، كان - كما يصفه عياض - قائما بعلم القراءات واختلاف القراء (17) ، وقد امضى عمره يقرء القرآن سبته ، يقول عياض : (قرأت عليه القرآن عدة ختمات) (18) .

4 - محمد بن عقال السرقسطي ، يصفه عياض ب (المقرئ) (19) مما يدل على حدسه للقراءات وبراعته فيها ، ويذكر انه جالسه كثيراً وحديثه بكتاب أبي القيث نصر بن محمد السمرقندي الواسط المفسر ، المسمى بكتاب « تنبيه الغافلين » (20) .

5 - محمد بن احمد الاموي (توفي 512 هـ - 1118 م) . وقد وصفه عياض ب (المقرئ) كذلك مما يدلنا على اشتهاره بالاطلاع الواسع في هذا العلم . وذكر انه اخيره بكتاب احمد بن عمار الهداوي المسمى ب (الهداية) ، وهو في اقراءات السبع (21) .

6 - احمد بن عبد الله بن احمد بن طريف بن سعد (توفي 520 هـ - 1126 م) ، كان من أهل البلاغة ، عارفاً بالادب ، والنحو ، واللغة ، (22) ، لقيه عياض بقرطبة ، وكان مما أخبره به كتاب « المفتاح » في القراءات من تأليف ابن عبد الوهاب (23) .

7 - احمد بن محمد بن غلبون الخولاني المعروف بابن الحصار (508 هـ - 1114 م) ، لقيه باشبيلية ، واجازه جميع رواياته ، وناوله بعضها ، ومنها جميع روايات وتآليف أبي عمرو الداني رأس مدرسة القراء في النصف الاول من القرن الخامس بالاندلس (24) .

- | | |
|------|-----------------------|
| (14) | انظر ، القنية : 127 . |
| (15) | نفسه : 128 . |
| (16) | نفسه : 135 . |
| (17) | نفسه : 159 . |
| (18) | نفسه : 159 . |
| (19) | نفسه : 159 . |
| (20) | نفسه : 159 . |
| (21) | نفسه : 160 . |
| (22) | نفسه : 172 . |
| (23) | نفسه : 172 . |
| (24) | نفسه : 173 . |

8 - أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجي (توفي 511 هـ - 1117 م) ، قال عنه عياض : (أحد شيوخ القراء بجامع قرطبة المتصدرين ، الأعلىء السند) (25) ، ومن شيوخه مكي بن أبي طالب الذي اثنى المكتبة القرائية في الغرب الانبلافي في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة بما ألفه في علم القراءات والتفسير . ولا يحدد عياض مقروءاته على هذا الشيخ أو مروياته عنه ، فهو يكفي بالقول : (لقيته بقرطبة ، وجالسته) (26) ، لكنها ، على أية حال ، لن تكون شيئاً آخر غير ما يتصل بالتفسير ، والقراءات ، وخلافاً للقراء .

9 - أبو علي الصديفي (توفي 514 هـ - 1120 م) . وقد أورد عياض قائمة بموسوعات عليه ، وفيها كتاب « الناسخ والمنسوخ » لمبنة الله بن سلامة البغدادي ، حدثه به عن الشيخ أبي محمد التميمي الحنبلي ، عن مؤلفه (27) ، والغالب على الظن أن يكون عياض انتفع بما كان عند شيخه هذا من مروياته عن أساتذته الذين اشتغلوا بالتفسير والفرا فيه من مثل أبي بكر الطرطوشي (28) .

10 - خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد (توفي 511 هـ - 1117 م) ، كان ، بعبارة عياض ، (زعيم المقرئين بقرطبة) (29) ، (وأليه كانت الرحلة في علم القراءات في وقته) (30) . ويذكر عياض أنه

حدثه بتفسير النقاش المسمى « شفاء الصدور » ، وناوله كتاب « طبقات القراء » لأبي عمرو الدانسي المقرئ (31) .

11 - عبد الله بن إدريس بن سبيل المقرئ (توفي 515 هـ - 1121 م) ، قرا عليه عياض (القراءان برواية نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر بطرفها) (32) .

12 - عبد الرحمن بن محمد بن عتاب (توفي 250 هـ - 1126 م) ، كان (قرا القراءان بالسبع مقارئ على أبي محمد ابن شعيب ، وجوده وأقراه مدة) (33) . وكان عالماً بكثير من التفسير وشربه ومعانيه (34) . وعليه قرا عياض كتاب « الناسخ والمنسوخ » لأبي محمد مكي المقرئ ، حدثه به عنه ، وسمع عليه جزءاً من تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعائي وأجازته ياقته ، وبعد أن ذكر عياض سنده في هذا السماع ، قال : (ولنا فيه - أي تفسير عبد الرزاق - أسانيد أخرى) (35) . وحدثه ، كذلك ، بتواليف ابن أبي زئنين (36) ، ومنها ، على ما هو معروف ، تفسيره ، ومختصره لتفسير ابن سلام (37) .

13 - علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بابن البيدش (توفي 528 هـ - 1133 م) ، (قرا القراءان والنحو على جماعة من أئمة هذا الشأن) (38) ، ومع

(25) نفسه : 184 .

(26) نفسه : 184 .

(27) نفسه : 196 .

(28) نفسه : 193 . هذا ولطرطوشي أثنى في التفسير ، هما : مختصر تفسير الثعالبي ، وكتاب

« المجالي » في التفسير . ونحن بصدد أمداده للنشر بحول الله .

(29) نفسه : 209 .

(30) نفسه : 210 .

(31) نفسه : 210 .

(32) نفسه : 218 .

(33) نفسه : 223 .

(34) أنظر ، الداودي ، طبقات المقرئين ، 1 : 285 ، ترجمة رقم 269 .

(35) الغنيمة : 224 .

(36) نفسه : 224 .

(37) أنظر ، الداودي ، طبقات المقرئين ، 2 : 161 .

(38) الغنيمة : 238 .

تصدره وتقدمه لم (يقطع الطلب والسمع والرحلة ،
سمع معنا على الشيوخ ، وكان يقرأ على المقرئين ما
فاته من روايات) (39) . ومع أن عياض لا يسمي
ضمن مقروءاته على ابن البيهقي شيئا من كتب
القراءات أو لغات القرآن ، إلا أن اشتهار الرجل
بضبط هذا العلم واتقنه حتى رحل إليه الناس في
طلبه (40) ، وعد شيخ المقرئين والرواة في علم
آقرهان ، والقراءات ، واللغات بفروانة (41) ، مما
يقوي ظننا بانتفاع عياض به في هذه العلوم وفادته
منه .

14 - علي بن محمد بن دري الانصاري (توفي
520 هـ - 1126 م) ، كان من المشهور لهم بالتقدم
في القراءات والنحو . اشتغل بتدريس القراءات
والإتلاف فيها حتى انتهت إليه رئاستها بفروانة (42) .
قرأ عليه عياض في سبته القرآن برواية ابن عامر ،
عم عاد لقيه بفروانة وسمع منه بعض كتابه في
مخارج الحروف ، وحدته بجميعه (43) .

15 - عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى
ابن مؤمل الزهري (توفي 530 هـ - 1135 م) ،
لقبه عياض بسبته مرات ، وأخبره بكتاب (الوقف

(39) نفسه : 239 .

(40) نفسه : 239 .

(41) نفسه : 238 .

(42) نفسه : 241 .

(43) نفسه : 241 .

(44) نفسه : 249 - 250 .

(45) نفسه : 254 .

(46) نفسه : 254 .

(47) من هؤلاء :

أ - أبو بكر الطرطوشي (توفي 250 هـ - 1126 م) الذي كتب إليه بجميع رواياته وتأليفه ،
ومنه : مختصره لتفسير ابن سلام ، وتفسيره المسمى (المجالس) ، (الغنية : 288) .

ب - شريح بن محمد الرعيني المقرئ (توفي 539 هـ - 1144 م) ، كتب إليه بإجازة جميع
رواياته ومقروءاته ، ومنها تصانيف أبيه في القرآن ، وقد أثنى عياض عليها . (الغنية : 273) .

ومن هؤلاء :

1 - أبو سعيد حيدر الجبلي (توفي 530 هـ - 1135 م) ، أجازته جميع رواياته ، وفيها تفسير
الثعالبي ، وتفسير الواحدي . (الغنية : 206 - 207) .

ب - علي بن المشرف الإسكندراني (توفي 519 هـ - 1125 م) ، كتب إليه بإجازة جميع رواياته ،
ومن ذلك تفسير عبد الرزاق الصنعائي . (الغنية : 244) .

ج - علي بن أبي القاسم المهدي ، أجازته جميع رواياته ، ومن ذلك في القراءات : الجامع
الكبير ، وكتاب التلخيص لأبي معشر الطبري . (الغنية : 248) .

(والابتداء) لابن النحاس ، وكتابه الآخر المسمى
« معاني القرآن » سمعا منه إلا ما فاته منه (44) .

16 - غالب بن عطية الحاربي (توفي 518 هـ -
1124 م) ، تصدر في غرناطة للتدريس ، والاسماع ،
والتفسير ، وأخذ عنه الناس كثيرا ، وانتفعوا به (45)
وقد لقيه عياض بسبته ، ثم تكرر لقائه به في قرطبة .
يقول عياض : (وفادته كثيرا ، وسمعت من لفظه
فوائد) (46) ، أغلب الظن أنه كان منها ما يتعلق
بالتفسير والقراءات .

والمتمثل في معارف هؤلاء الشيوخ جميعا
يجدها تتمحور بالاساس ، على القرآن ، وتفسيره ،
وقراءته ، وتناسخه ومنسوخه ، وما ينصل بذلك أو
يتفرع منه ، ولا شك أن لقاء عياض لهؤلاء الشيوخ
وجلسه اليهم ، أسهم في تكوين جانب من شخصيته
العلمية ، هو هذا الجانب الذي نحاول تجليته
والكشف عنه في هذه الدراسة .

أما الكتب التي قرأها على هؤلاء الشيوخ أو
حدثوه أو التي أجازها إياها بعض أعلام العلماء
الأندلسيين (47) والمشارقة (48) ممن اشتهر

بالنضج في التفسير والقراءات ، فيمكن تصنيفها
على النحو التالي :

1 - القرآن بمدة قراءات .

ب - كتب أقرأت ، وهي : كتاب « الهداية »
في القراءات السبع من اختصار أحمد بن عمر
المهدي ، وكتاب « التحصيل » و « التفصيل »
للمهدي ، و « المفتاح » لابن عبد الوهاب ،
و « طبقات القراء » لأبي عمرو الداني ، و « مخارج
الحروف » لابن دري الأنصاري ، و « الوقف والابتداء »
لابن النحاس ، و « الجامع الكبير » المشتمل على
الف و خمسمائة رواية لأبي معشر الطبري ،
و « التلخيص » للمؤلف نفسه .

ج - كتب التفسير ، وهي : اختصار تفسير
الثعالبي للطبروسي ، وتفسير القرآن للواحدي ،
وتفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني ، وتفسير
القرآن لعبد الملك الثعالبي ، وتفسير القرآن
المسمي « شفاء الصدور » للنقاش ، و « معاني
القرآن » لأبي جعفر النحاس .

د - كتب النسخ والمتنوع ، وهي : « النسخ
والمسنوخ » لأبي محمد مكي المقرئ ، و « النسخ
والمسنوخ » لهبة الله البغدادي .

ومن المؤكد أنه قد أتبع عياض أن يقرأ في
غير هذه الكتب من مصادر التفسير والقراءات
وعلم أقرآن وبقيدها فيها كتب ألف على نحو ما
سابق ، بل أنا قد نذهب إلى أبعد من ذلك
فتقول بأن شفاء عياض بالقرآن وتفسيره كان بحمله حملا
على استغناء ما كان تعرفه المكتبة القرآنية إلى
عصره من تراث في التفسير على اختلاف نزعة
مؤلفيه ، وتباين اتجاهاتهم ، وذلك ما سنلمح جواب
منه في مواضع أخرى من هذه الدراسة .

على أننا يمكن أن نضيف إلى هذه الكتب ،
التي نص عياض في فهرسه أنه قراها أو رواها من
شيوخه في القرآن وعلمه مقروءاته من صحاح
الحديث ومجاميعه ، من مثل صحيح البخاري ،
وصحيح مسلم . لما أفرد فيها نسخها من أبواب

أدرجوا فيها كثيرا من التفسير المأثور عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم (49) ، بل لأن مجموع محتوياتها
من أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته
إنما هي تبيان لكتاب الله تعالى أو هي - كما يفسر
عنها - تفسير للقرآن بأسنة .

وبوسعنا أن نضيف إلى هذا وذلك من مقروء
عياض في التفسير والقراءات وعلم القرآن الأخرى
ومرويه فيها ، ما استوعبه أرجل من كتب في اللغة ،
والنحو ، والصرف ، والاشتقاق ، والبلاغة ، وهي
- كما نريد من الغنية ومن آثاره الأخرى ك « بفيه
الرائد » - من التنوع ، والتعدد ، والكثرة ، بحيث
يمكن أن نلجأ بها لنشغل جل الاستفسارات الأدبية
والشرقية وأهمها ، إلى عصر عياض ، في ميدان الدرس
اللغوي ، والنحوي ، والبلاغي .

ولعلنا من خلال هذا العرش ، الذي لا نزع له
الاستغناء ، لمعرف شيوخ عياض في التفسير
والقراءات ، ولما استوعبه على أيديهم من الأموات
المؤلفة في هذين العلمين أو فيما له مسيس اتصال
بهما ، نستطيع أن نتصور مبلغ ما كان لأولئك الشيوخ
من أثر بعيد في ثقافة عياض القرآنية ، ليس من قبل
الافتراض في شيء القول بأنه - أي الآخر - كان هو
الذائع عياض على أن يتلوا للقرآن الكريم حفظا غير
يسر عن وقته ، يقرأه ويقرئه ، ويجري قلمه بما فيه
من معان ، وبيان ، وأحكام ، وفي ذلك جميعه بعض
من هذه الملامح التي نريد أن نؤلف بينها في محاولة
لتبين صورة عياض العاشر .

وما سنحاوله من جمع لملامح أخرى في هذه
الصورة إنما سنعتمد فيه ، أيضا ، تراث الرجل
نفسه ، والمعروف أن في هذا التراث كتابا لم يرد بها
عياض حين ألجأ إلى تفسير القرآن ، ولكن موضوعاتها
من جهة ، وهي أما في السيرة ، أو في الحديث ، أو
في الفقه ، وسعة ثقافة مؤلفها القرآنية ، من جهة
ثانية ، جعلها لها حظا من القرآن وتفسيره وعلمه
تفاوت نسبتها فيما بينها ، على أن أحفل كتبه بذلك
وأوفرها حظا هو كتاب (الشفا) ، وهو كتاب - كما
لا نحتاج أن نذكر - هدف به مؤلفه إلى اجتلاء الملامح
العقدية ، والخلقية ، والنفسية ، والاجتماعية

(49) أنظر ، صحيح البخاري ، 5 : 146 وما بعدها ، وأنظر ، صحيح مسلم ، 18 : 152 .

فيها وكتب، حقيق بأن يكون نتاجه من ١٠٠ لشفاه ومعرفة .
ومن يقرأ صفحات التفسير في « الشفا » يلف نفسه
بأزاء مؤلف بقدر ما استوعب وتمثل ما كانت تحويه
المكتبة القرآنية على عصره من كتب في التفسير ،
وتأليف في القراءات ، وتصانيف في علوم القرآن ،
استوعب وتمثل كذلك ما كانت مختلف المكتبات
العلمية تحويه من أمهات الحديث ، وصحاح العربية ،
وأصول الفقه والكلام وغير ذلك .

ولحق في هذه الفقرة أن نكشف عن بعض
المصادر التي أفاد منها عياض في تفسيره ونقل
عنها ، وهي كثيرة ، ومتنوعة ، بعضها في التفسير ،
والقراءات ، وبعضها في الحديث ، وبعضها في علوم
أخرى .

١ - مصادر التفسير :

يمكن أن نميز في هذه المصادر أنواعا ثلاثة :

أولا - مفسرون عرفوا بكتب لهم في التفسير ،
ذكر اسماءهم ، ونسب اليهم بعض منقولته من
الاقوال والآراء ، ولكنه لم يسم كتبهم التي رجع اليها
في ذلك ، وليس من تحليل لهللا في رأينا ، إلا أن
عياضا كان يرى في ذكر اسماء هؤلاء المؤلفين ما يغني
عن ذكر اسماء مؤلفاتهم لشهرتها بين جمهور العلماء
والمعلمين ، وأنصراف الفكر اليها كلما ذكرت اسماء
اصحابها مقرونة بنقول في موضوعات كتبهم ، وعلى
هذا فان عياضا لم يجد أي حرج في ذكر اسماء
العلماء الذين ينقل عنهم وأغفال عناوين كتبهم ، وكذلك
يجده يفعل في مواضع متعددة من كتب له أخرى من
مثل « مشارق الأنوار » و « بقية الرائد » .

هؤلاء المفسرون هم :

1 - البصري ، وهو أبو سعيد الحسن بن أبي
الحسن البصري (توفي 110 هـ - 729 م) ذكر ابن
النديم في ترجمته ان له كتابا في تفسير القراءان ،
قال : رواه عنه جماعة (52) .

لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم . وحقا أن
عياضا توسل في اتجار ذلك بما كان له من معارف
متنوعة في الحديث ، والسيرة ، والمغازي ، والاخبار
والكلام ، والفقه ، ولكن اعتماده بالدرجة الاولى لم
يكن على أي من هذه العلوم ، بل كان على القراءان ،
فمن خلال عشرات ، بل بضع مئات من أي الكتاب
الكريم استطاع عياض أن يستكشف شخصية الرسول
الاعظم في بعدها العقدي والخلقي ، وفي افقهها
النفسية والاجتماعي ، ومن هنا فقد وقع لنا في
(الشفا) شيء غير يسير من التفسير ، لا شك أنه
كان في طليعة مزايا الكتاب وخصائصه العلمية التي
لفتت اليه الأنظار ، ومكنت له في حلقات الدرس ،
والى ذلك يلح الشيخ أبو محمد عبد النور العمراني
في بيت من جملة أبيات يشيد فيها به (الشفا) :

وقدم آيات الكتاب التي بها

سما قدره فوق السماكين والنسرا (50)

وكان السلطان أبو عنان المريني (توفي 759 هـ
1357 م) ممن استرعى انتباههم في شفاء عياض
جانيه التفسيرى فأصدر أمره بإدراجه ضمن كتب
التفسير التي كانت تدرس بجامعة القرويين ، ومنها
تفسير الثعالبي (51) .

ومع اقرارنا بأن وفرة المادة القرآنية
والتفسيرية الماثورة في مختلف فصول « الشفا »
جعلت الكتاب أشبه شيء بتفسير جزئي للقرآن فائنا
ينبغي أن نبادر إلى القول بأن هذه المادة ، على
وقرتها ، ليست تكفي في تبين منهج عياض في التفسير
على نحو مفصل ، مستوفي ، ولكنها ، على أية حال ،
مسحقة في تأليف صورة لعياض المفسر ، مهما
يلاحظ فيها من ثغرات فائنا لا تخلو ، في تقديرنا ،
من فائدة .

مصادر عياض المفسر :

ان مؤلفا مثل عياض في الاطلاع الواسع على
مختلف المعارف والعلوم ، والاحاطة الشاملة بما ألف

(50) انظر ، ازهار الرياض ، 4 : 281 .

(51) انظر ، د. عبد الهادي التازي ، تاريخ جامعة القرويين ، 2 : 372 .

(52) انظر ، الداودي ، طبقات المفسرين ، 1 : 147 . ترجمة رقم 144 . وانظر ، الشفا 2 : 34 .

2 - بكر بن محمد بن العلاء ، كنيته أبو الفضل (توفي 344 هـ - 955 م) ، من كبار فقهاء المالكية بمصر في القرن الرابع . ألف كتاباً جليلاً ، منها : كتاب « احكام القرآن » ، وكتاب « ما في القرآن من دلائل النبوة » (53) .

3 - الثوري ، وهو أبو عبد الله سفيان بن سعيد (توفي 161 هـ - 778 م) ، له كتاب في التفسير روي عنه (54) .

4 - الزجاج ، وهو أبو اسحاق ابراهيم بن الثوري بن سهل (توفي 311 هـ - 923 م) ، أحد مشاهير علماء اللغة والنحو ببغداد . من كتبه : « معاني القرآن » (55) .

5 - زيد بن اسلم ، وهو الإمام أبو عبد الله المغربي (توفي 136 هـ - 755 م) له تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمن (56) .

6 - السلمي ، وهو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين (57) (توفي 412 هـ - 1021 م) له كتاب سماه « حقائق التفسير » ، قيل فيه انه ملاء بتأويلات ومحامل للصوفية ينمو عنها ظاهراً للفظ (58) .

7 - اسمرقندي ، وهو نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم (توفي 375 أو 393 هـ - 985 أو 1002 م) ، من مصنفاته : القرآن العظيم (59) .

8 - الضحاك ، وهو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي ، (توفي بعد المائة من الهجرة) ، له تفسير روي عنه (60) .

9 - الظهري ، وهو أبو جعفر محمد بن جرير (61) (توفي 310 هـ - 922 م) ، له كتاب في التفسير سماه « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » ، صغته تفسير الصحابة والتابعين والسلف الاول ، كما ضمنه آراءه وترجيحاته .

10 - ابن عباس ، وهو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، الصحابي الجليل (62) (توفي 68 هـ - 687 م) ، ومكانته في التفسير لشهر من أن يعرف بها . وينسب اليه كتاب في تفسير القرآن مطبوع باسم « تنوير المقياس من تفسير ابن عباس » .

11 - ابن فورك ، وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصفهاني (63) (توفي 406 هـ - 1015 م) ، ألف كتاباً كثيرة في الحديث والتفسير ، منها : « معاني القرآن » .

12 - فتادة ، وهو أبو الخطاب بن دعامة البصري (64) (توفي 118 هـ - 737 م) ، وصفه ابن حنبل بالعلم في التفسير والفقه . وله تفسير روي عنه .

- (53) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 118 - 120 ، ترجمة رقم 112 . وانظر الشفا 2 : 173 .
(54) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 186 - 190 ، ترجمة رقم 186 . وانظر الشفا 2 : 14 .
(55) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 7 ، ترجمة رقم 10 . وانظر الشفا ، 1 : 25 .
(56) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 176 . ترجمة رقم 175 . وانظر الشفا ، 1 : 20 .
(57) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 137 - 139 . ترجمة رقم 484 . وانظر ، الشفا ، 1 : 14 - 25 .
(58) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 139 .
(59) نفسه ، 2 : 345 . ترجمة رقم 658 . وانظر ، الشفا ، 1 : 14 ، 2 : 126 - 170 - 177 - 194 - 208 .
(60) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 216 ، ترجمة رقم 211 . وانظر ، الشفا ، 2 : 14 .
(61) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 106 - 114 ، ترجمة رقم 468 . وانظر ، الشفا ، 1 : 73 - 146 ، 2 : 58 - 169 - 173 .
(62) انظر ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، 3 : 933 ، ترجمة رقم 1588 .
(63) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 129 ، ترجمة رقم 478 . وانظر ، الشفا ، 1 : 171 ، 2 : 175 .
(64) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 43 ، ترجمة رقم 415 . وانظر ، الشفا ، 1 : 35 .

17 - النقاش ، وهو أبو بكر محمد بن الحسن ابن محمد الموصلي البغدادي (70) (توفي 351 هـ - 962 م) ، معدود في كبار المقرئين والمفسرين ، ومن آثاره في ذلك : « الإشارة في غريب القرآن » و « شفاء الصدور » في تفسير القرآن .

18 - الواسطي ، وهو أبو معاوية هشيم بن بشير (71) (توفي 183 هـ - 800 م) ، ألف في السنن والمغازي ، وله تفسير يرويه عنه أبو هاشم زياد بن أيوب البغدادي .

هؤلاء هم المفسرون الذين نقل عنهم عياض في (تفسيره) دون تسمية مظان منقولة ، وهم جميعهم ، كما رأينا ، ذوو إسهامات معروفة في التفسير أو في علوم القرآن الأخرى ، ونحن لا نستبعد أن يكون عياض أفاد من أصول هذه المظان مباشرة ، فمنها طائفة كان أهل العلم في الغرب الإسلامي يروونها ويتداولونها منذ القرن الثالث ، ومن ذلك التفسير المنسوب للحسن البصري (72) ، والتفسير المنسوب لابن عباس (73) ، وتفسير الطبري (74) . ومنها أيضا تصانيف تأكد لدينا ، فيما سبق أن عياضها

13 - القشيري ، وهو أبو القاسم عبد الكريم ابن هوزان (65) (توفي 465 هـ - 1072 م) . صنف في الحديث ، والتصوف ، والتفسير ، وقيل عن كتابه في التفسير أنه من أجود التفاسير وأوضحها (66) .

14 - الماوردي ، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (67) (توفي 450 هـ - 1058 م) ، عني بالتأليف في التفسير ، وله فيه كتاب ، سماه : « التكملة » .

15 - مجاهد بن جبر (68) (توفي في أول المائة الثانية) ، له تفسير مشهور ، منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية ، وهو من مصادر الطبري الرئيسية .

16 - مكي بن أبي طالب (69) (توفي 407 هـ - 1016 م) ، غلب عليه علم القرآن وصنف فيه كتابا هامة ، منها : « الأجزاء » في أمراء القرآن ، و « اللمع » و « الموجز » ، و « التبصرة » في القراءات ، و « الهداية » في التفسير ، وكتاب المأثور عن مالك في أحكام القرآن ، وتفسيره في عشرة أجزاء .

(65) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 338 - 346 . ترجمة رقم 302 . وانظر ، الشفا ، 1 : 198 ، 2 : 116 - 169 - 170 - 171 .

(66) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 344 .

(67) نفسه ، 1 : 423 - 425 . ترجمة رقم 368 . وانظر ، الشفا ، 1 : 17 - 34 ، 2 : 102 - 107 .

111 - 126 - 170 - 171 - 193 .

(68) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 305 - 308 . ترجمة رقم 617 . وانظر ، الشفا ، 1 : 74 ، 34 : 36 .

(69) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 331 - 332 . ترجمة رقم 643 . وانظر ، الشفا ، 1 : 17 - 36 ، 2 : 102 - 107 - 111 - 126 - 170 - 171 - 193 .

(70) انظر ، السيوطي ، طبقات المفسرين ، 29 . وانظر ، الشفا ، 1 : 116 - 128 .

(71) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 352 - 353 . ترجمة رقم 669 . وانظر ، الشفا ، 1 : 32 - 33 - 45 ، 2 : 177 .

(72) دخل هذا التفسير الاندلس مع مطالع القرن الثالث على يد بعض القرطبيين العائدين من الشرق أمثال أبي بكر يحيى بن يحيى المعروف باسم السمعة (توفي 237 هـ - 851 م) . انظر ، تاريخ علماء الاندلس ، 2 : 188 . ع 1 .

(73) نعرف من روايته في الاندلس أبا زيد عبد الرحمن بن سعيد الجزيري (توفي 265 هـ - 878 م) . انظر ، تاريخ علماء الاندلس ، 1 : 259 . ع 2 .

(74) كان من أوائل روايته في الاندلس أبو أيوب سليمان بن محمد بن سليمان الذي عاد من وطنه التي سمع فيها كتب الطبري سنة 337 هـ . انظر ، تاريخ علماء الاندلس ، 1 : 188 . ع 1 .

دراسها على بعض شيوخه ، ونعني بها تصانيف المقرئ المفسر مكي بن أبي طالب (75) ، وأثار النقاش في التفسير وخاصة كتابه المسمى «شفاء الصدور» (76) ، وفيها كذلك حائفة أخرى لم يذكر عياض أنه درسها على شيوخه أو رواها عنهم ، ولكننا لا نستبعد ذلك لسببين ، أولهما : ما نتصوره من حرص عياض على اقتناء مثل هذه التأليف وشغفه بقراءتها ، وثانيهما : أنها كانت مما يدرس في حلقات التفسير ، والقراءات ، واللغة يومئذ في الأندلس ، ويستجيز طلبية العلم شيوخهم فيها ، وذلك من مثل «معاني القرآن» للزجاج (77) ، و «مشكل القرآن» لابن قتيبة (78) .

وليس من المستبعد ، كذلك ، أن يكون عياض أقاد ، بطريقة غير مباشرة ، من بعض هذه المصادر ، ولا سيما تلك التفسير التي رويت عن بعض أعلام القرن الأول والثاني أمثال : الضحاك ، وقتادة ، ومجاهد ، وزيد بن أسلم ، وانتهت إلينا ، كما انتهت قبلا ، إلى عياض ، مدرجة في تفسير القرون التالية كتفسير ابن جرير الطبري .

ثانيا - مفسرون لم تعرف لهم كتب ، وعرفت لهم أقوال وروايات في التفسير ، ضمت عليها التفسير المتأخرة . ومن أكثر أسماء هؤلاء المفسرين ورودا في نقولات عياض : علي بن أبي طالب (79) ، وكعب الاحبار (80) ، وجعفر بن محمد الصادق (81) ، والسدي (82) ، وابن الكلبي (83) .

ثالثا - مفسرون لم يعين أسماءهم . الفالسي على عياض في (تفسيره) أن يعزو الأقوال والروايات

لأصحابها ، لكننا وجدناه ، في بعض الأحيان ، يستشهد بأقوال ، أو يورد آراء دون أن ينسب على أسماء أصحابها ، بل كان يكتفي بأن يقدم لها بقوله : (قيل) (84) أو أكثر المفسرين على أن ... (85) أو (قال المفسرون) (86) أو (اتفق أهل التفسير - أو - قال أهل التفسير) (87) أو (قال بعض المفسرين) (88) . وليس من الميسر تعيين أسماء هؤلاء المفسرين الذين رجح إليهم عياض ولم يصرح بأسمائهم ، ولكنهم لن يكونوا ، بأية حال ، إلا من هؤلاء الصحابة والتابعين الذين عنوا بتفسير القرآن وأثرت عنهم في ذلك بعض الأقوال والروايات ، أو من مؤلفي التفسير الجامعة التي كانت متداولة في عصر عياض .

وإن ما كانت الحال فإن عياضا أقاد في (تفسيره) من تراث هؤلاء المفسرين . ويمكن تحديد طريقته في هذه الإفادة على النحو التالي :

1 - الاستعانة بقول أو رأي المفسر أو المفسرين في إضاعة جوانب الآية أو الآيات على النحو الذي يسهم في بلورة دلائل النبوة كما كان يؤمن بها عياض بوصفه متفكرا متبنا . وتكتفي من الأمثلة الكثيرة بهذا :

(... ومن هذا قوله تعالى : «الم نشرح لك صدرك» ، إلى آخر السورة . شرح وبع . والمراد بالصدر هنا القلب ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : شرحه بنور الإسلام . وقال سهل : بنور الرسالة .

- (75) أنظر ، ص 6 - 7 - 9 من هذه الدراسة .
 (76) أنظر ، ص 7 - 9 من هذه الدراسة .
 (77) أنظر ، فهرسة ابن عطية ، لوحة 43 و . (بصورة خاصة) .
 (78) نفسه ، لوحة 49 ظ .
 (79) أنظر ، الشفا ، 1 : 11 - 35 .
 (80) نفسه ، 1 : 13 .
 (81) نفسه ، 1 : 15 - 25 - 29 - 41 .
 (82) نفسه ، 1 : 35 ، 2 : 34 .
 (83) نفسه ، 1 : 11 .
 (84) نفسه ، 1 : 14 .
 (85) نفسه ، 1 : 18 - 159 .
 (86) نفسه ، 1 : 35 - 73 - 74 ، 2 : 6 - 127 .
 (87) نفسه ، 1 : 24 - 36 - 44 - 152 .
 (88) نفسه ، 2 : 93 - 125 .

2 - أراد أقوال وآراء المفسر أو المفسرين في الآية أو الآيات ، ثم تعقيبها بالنقد والمناقشة لردّها ودحضها ، وتقديم الرأي الذي يطمئن إليه لما يحققه من تأكيد لحقائق الثبوت ودلائلها مماثلة في شخصية محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، وهو الهدف الرئيس الذي أشف عياض من أجله كتابه .

والأمثلة على ذلك غير قليلة ، نجتزئ منها بهذا المثال من الفصل الذي مقدّمه عياض حول رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه عز وجل ، وفيه ترى كيف يورد عياض ، أولاً ، آراء وأقوال المفسرين في الموضوع انطلاقاً من قوله تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى ، افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى » ، ونقرأ فيما تقرأ :

1 . . . قال أحمد بن حنبل : رآه بقلبه . وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالبصار . وقال سعيد بن جبيرة : لا أقول رآه ولا لم يره . وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحن وأبن مسعود ، فحكى عن ابن عباس وعكرمة : رآه بقلبه ، وعن الحسن وأبو مسعود : رأى جبريل . وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال : رآه ، وعن ابن عطاء في قوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك » . قال : شرح صدره للرؤية ، وشرح صدر موسى للكلام ، وقال أبو الحسن علي بن أسماعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه : أنه رأى الله تعالى ببصره وعسى رأسه . . . (92) .

ثم تراه يتعقب هذه الآراء والأقوال وغيرها مما يجده القارئ في محله من « الشفا » ، ينتقد ، ويناقش ، ويرد ، معتمداً ، في ذلك ، على قدرته العقلية ، وثقافته الثقلية ، وفي هذا التعقيب تقرأ فيما تقرأ :

(قال القاضي أبو الفضل وفقه الله : والحق الذي لا أمراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلاً ، وليس في العقل ما يخيلها ، والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ،

وقال الحسن : ملاء حكماً وعلماً . وقيل : معناه لم يظهر قلبك حتى لا يتبل الوسواس . » ووضعنا عنك وزرك الذي انمض ظهرك » . قيل : ما سلف من ذلك يعني قبل الثبوت . وقيل : أراد ثقل أيام الجاهلية . وقيل : أراد ما أتمل ظهره من الرسالة حتى بلغها . حكاه الماوردي والسلمي . وقيل : عصمتك ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك . حكاه السمرقندي . » ورفعنا لك ذكرك » . قال يحيى بن آدم : بالثبوت . وقيل : إذا ذكرت ذكرك معي في قول لا إله إلا الله محمد رسول الله . وقيل : في الأذان والافتاء (89) .

وفي ضوء هذه الأقوال والآراء ، يصوغ عياض تفسيره للسورة :

(قال الفقيه القاضي أبو الفضل : هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه ، وشريف منزلته عنده ، وكرامته عليه ، بأن شرح قلبه للإيمان والهداية ، ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ، ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه ، وبفضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله ، وحفظ عنه عهدة أعباء الرسالة والثبوت لتبليغه للناس ما نزل إليهم . وتنويهه بعظيم مكانه ، وجلبيل ربه ، ورفعته ذكره ، وقرآنه مع اسمه (90) .

ثم عاد ليضوء جوانب السورة بأقوال المفسرين :

(قال قتادة : رفع الله تعالى ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا مشيد ولا صاحب صلاة إلا يقول : « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » . وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أتاني جبريل عليه السلام ، فقال : أن ربي وربك يقول : تسدي كيف رفعت ذكرك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : إذا ذكرت ذكرت معي » . قال ابن عطاء : جعلت تمام الإيمان بذكرك معي . وقال أيضاً : جعلت ذكراً من ذكرني فمن ذكرك ذكرني . وقال جعفر بن محمد الصادق : لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية . وأشار بعضهم في ذلك إلى مقام الشفاعة (91) .

(89) نفسه ، 1 : 14 .

(90) نفسه ، 1 : 14 - 15 .

(91) نفسه ، 1 : 15 .

(92) نفسه ، 1 : 155 .

ومحال أن يجهل بي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه ، بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ، ولكن وقومه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله ... (93) .

ثم نقرأ :

(وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فروضه جائزة غير مستحيلة ، ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار » لاختلاف التأويلات في الآية ، وإذا ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة ، وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة ... (94) .

ثم ينتهي عياض إلى هذه النتيجة التي يطعن عليها :

(وأما وجوبه ثبينا صلى الله عليه وسلم والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص ، إذ المغول فيه على آيتي النجم (95) ، والتنازع فيهما مأنوس والاحتمال لهما ممكن ، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك) .

وبعد أن يبين ما في الأحاديث المروية في الموضوع والمفسر بعضها للآية من احتمال للتأويل ،

ومن اضطراب في الأسناد والمتن ، ومن أشكال . يقرر في نهاية المناقشة والنقد :

١ ... فإن ورد حديث نص بيمين في الباب اعتقد ووجب المصير إليه ، إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يردده ، والله الموفق للصواب (96) .

ب - مصادر النحو واللغة واقتراءات :

وأفاد عياض في شروحه اللغوية ، وإشارات إلى بعض أوجه الأعراب أو القراءات من أمهات الكتب في هذه العلوم . وهذه أسماء المؤلفين الذين نسب إليهم عياض تلك الشروح والإشارات ، وهو لم يذكر أسماء كتبهم التي نقل منها لأشهرها وذيوها : الأزهرى (97) ، وثعلب (98) ، وسيبويه (99) ، وأنفراء (100) ، والمبرد (101) ، والكماني (102) ، ونفطوية (103) .

ج - مصادر الحديث :

كما رجع عياض في (تفسيره) إلى مجاميع الحديث وصحاحه ، وهي : صحيح البخاري ، (104) وصحيح مسلم ، (105) ومسنند أبي داود ، (106) والنسائي (107) ، والترمذي (108) ، وابن

93 - نفسه ، 1 : 156 .

(94) - نفسه ، 1 : 156 .

(95) يريد قوله تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى » ، انتمارونه على ما يرى » ، النجم 11 - 12 .

(96) أنظر ، الشفا ، 1 : 159 .

(97) - نفسه ، 2 : 223 .

(98) - نفسه ، 1 : 243 .

(99) - نفسه ، 1 : 243 .

(100) - نفسه ، 1 : 76 .

(101) - نفسه ، 1 : 232 .

(102) - نفسه ، 1 : 63 .

(103) - نفسه ، 1 : 204 .

(104) - نفسه ، 1 : 183 .

(105) - نفسه ، 1 : 183 .

(106) - نفسه ، 1 : 177 .

(107) - نفسه ، 1 : 66 .

(108) - نفسه ، 1 : 172 .

وابن فورك (120) ، والاسفرائيلي (121) ،
والجويني (122) .

منهج عياض في التفسير :

ليس من اليسير في شيء استخلاص صورة
جنية لـ (منهج) عياض في التفسير من خلال ما
تناوله في « الشفا » - وهو عمدتنا في هذه
الدراسة - من آيات ، هي وان كانت كثيرة العدد الا
انها ليست تمثل من مجموع آيات المصحف الا ما
يقرب من عشرها (123) فضلا عن انها تكاد تكون
جميعها مقصورة على موضوع واحد من موضوعات
القرآن وهو موضوع النبوة والانبياء وما يتصل به
من المعجزة ، والعصمة ، وما الى ذلك ، ومن هنا فان
ما سنحاول تقديمه في هذه الفقرة هو اشبه
بالخطوط العامة و (التقريبية) منه بالصورة ذات
اللامع البينة والجلية لما دعونا به (منهج) عياض
في التفسير ، لكن تلك الخطوط على (عموميتها)
و (تقريبيتها) ، نظل ، برأينا ، دالة على مجموع ملامح
الصورة وتقاسيمها .

تري ، أي منهج كان عياض يعطى لو أنه كتب
تفسيرا لمجموع النص القرآني ؟ .

حنبل ، (109) ، وموطا مالك ابن انس (110) ، فضلا
عن كتب أخرى في الحديث لمؤلفين مشاركة امثال :
أبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي (111) ، وعبد
الباقي بن قانع البغدادي (112) ، وآخرين اندلسيين
امثال : ابن عبد البر (113) ، وأبي الوليد الباجي (114)
وأفاد كذلك من مروياته عن بعض شيوخه في
الحديث ، وفي مقدمتهم أبو علي السدقي (115) .

د - مصادر السيرة :

ونظرا الى أن الآيات التي عني عياض بتفسيرها
كانت في غالبيتها مما يتصل بسيرة الرسول صلى
الله عليه وسلم وشخصيته ، فان عياضا كان يفيد في
بعض الاحيان من مؤلفي السيرة مثل أبي عبد الله
محمد بن اسحاق بن يسار (116) ، ومحمد بن عمر
الوافدي (117) ، وغيرهما .

هـ - مصادر الكلام :

ولما كان الناظر في الآيات المتعلقة بالقياسات
وبالنبؤات مدعوا الى التزود من علم أصول الدين
فقد وجدنا عياضا يفيد من مؤلفات الاصوليين
والكلاميين امثال الاشعري (118) ، والبقلائي (119) ،

(109) نفسه ، 1 : 172 .

(110) نفسه ، 1 : 154 .

(111) نفسه ، 1 : 224 .

(112) نفسه ، 1 : 183 .

(113) نفسه ، 1 : 154 .

(114) نفسه ، 1 : 163 .

(115) نفسه ، 1 : 73 - 197 .

(116) نفسه ، 1 : 122 .

(117) نفسه ، 1 : 123 .

(118) نفسه ، 1 : 124 .

(119) نفسه ، 1 : 153 .

(120) نفسه ، 1 : 167 .

(121) نفسه ، 1 : 159 .

(122) نفسه ، 1 : 128 .

(123) قال أبو عمرو الداني المقرئ : « أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا
فيما زاد على ذلك ، فمنهم من لم يزد ، ومنهم من قال : ومئتا آية وأربع آيات ، وقيل : وأربع
عشرة ، وقيل : وتسع عشرة وقيل : وخمسة وعشرون ، وقيل : وست وثلاثون ،
أما عدد الآيات في « الشفا » فهي ثلاث وسبعون وخمسمائة .

لقد كان عياض (فقيها ، حافظا لمسائل المختصر والمدونة ، قائما عليها ، حاذقا بخريج الحديث من مفهومها ، عاقدا للشروط ، بصيرا بالفتيا والأحكام والتوازل) (124) ، الأمر الذي أهله لتولي القضاء ، والتصدر للفتيا ، والتأليف في الفقه ، وكان من شأنه ذلك كله أن يحمله على اصطناع منهج الفقهاء في التفسير ، وهو منهج يقوم على استنباط الأحكام من الآيات ، وتقرير الأدلة للفروع الفقهية .

ولكن عياض (من أئمة وقته في الحديث وفننه وغزبه ومشكله ومختلفه) (125) متمكنا من صححه وسقيمه وعله ، وحفظ رجاله ومتونيه ، أسمعه طوللا ، (126) والفت فيه ، ولا شك أن مثل هذه المعرفة الواسعة بالحديث كانت كفيلة بأن تدفع بصاحبها ، حين يجلس للتفسير ، إلى الإفادة من منهج المحدثين في تفسير القرآن ، وهو كما نلمح في نماذج التي وصلتنا معززة لأفراد من جيل الصحابة والتابعين من أمثال ابن عباس ، والحن البصري ، يعتمد القرآن ، بالدوحة الأولى ، في تفسير القرآن ، ثم الحديث ، والسيرة التي يكشف في ضوءها أسباب النزول ، وظروف النسخ .

وكان عياض على اطلاع واسع بالتاريخ ، (عارفا بأخبار الملوك ، وتنقل الدول ، وأيام العرب وسيرها وحروبها ومقاتل فرسانها ، ذاكرا لأخبار الصالحين وسيرهم وأخبار الصوفية ومذاهبهم) (127) ، عني بالتأليف في تاريخ مسقط رأسه ، وفي تاريخ الدولة القائمة على عصره ، وفي تاريخ شيوخه ، وفي تاريخ أعلام مذهبه المالكي ، ومثل هذا الشغف بالتاريخ والتعلق به كان قعيما بأن يوجه صاحبه ، كلما أراد إلى تفسير القرآن ، نحو منهج المؤرخين و (الحكائيين) في التفسير ، وهو منهج يشغل فيه أصحابه بالقصص والحكايات ، والموسم في ذكر أخبار الأمم والأنبياء والرسل ، صحت أم لم تصح .

- (124) انظر ، التعريف بالقاضي عياض : 4 .
 (125) نفسه : 4 .
 (126) نفسه : 12 .
 (127) نفسه : 5 .
 (128) نفسه : 4 .
 (129) نفسه : 5 .

وكان عياض (حافضا للغة والأغربة والشعر والمثل) (128) ، فيما يوجه القراءات ، عارفا بمعانيها ، (نحويا ريانا من الأدب ، شاعرا مجيدا ... من أكتب أهل زمانه) (129) ، ولقد عكس كثير من مؤلفاته ، من مثل « المشارق » و « بغية الرائد » ، جوانب من ثقافته هذه . وكان من شأن هذا النمكن في العلوم اللسانية ، إلى جانب ما كان عليه الرجل من إحساس مرهف ، وما كان يمتلكه من ذوق رفيع ، أن يفري صاحبه حين يفسر القرآن باحتذاء منهج اللغويين ، والنحويين ، والبيانيين في التفسير ، وهو منهج يقوم في جانبه اللغوي على توضيح اللفظ القرآني وتبيين مدلوله ، وفي جانبه النحوي على درس المعنى في التركيبة اللغوية للجملة القرآنية في ضوء الأوجه الاعرابية ، وفي جانبه البياني على استكشاف ما في النص القرآني من روعة في الأداء ، وأحكام في التعبير ، ودقة في التركيب ، مما تشكل منه الصورة البلاغية المعجزة .

وآذن ، فإن هذه المناهج المختلفة في التفسير لم تكن تستعصى على معارف عياض أو تتأبى على مواهبه ، ولكننا مع ذلك نجعل أيا منها كان يؤثر بالاصطناع أو أنه ندب نفسه لأفراد القرآن بتفسير كامل ، ومن يدري ، فلهذه كان الف بيتها ، أو بين جلها ، وجمع ، على نحو ما سنترأى لنا من خطوط (منهجه) العامة ، و (التقريبية) التي سنجتهد في إلمها من صفحات « الشفا » .

1 - عياض مفسرا نقلياً :

لعل أول ما يسترعي النظر في تفسير عياض اعتماده بالدرجة الأولى على النقل أو ما اصطلح على تسميته ب (التفسير المأثور) ، ويتجلى ذلك من خلال عنايته بإضاءة النص القرآني بالإشارة إلى :

1 - أسباب النزول :

الله المعافري ، قال : حدثنا أبو الحسن الصغيري ، قال : حدثنا أبو يعلى اليماني ، حدثنا أبو علي السنجي ، حدثنا أبو العباس المروزي ، حدثنا أبو عيسى الحافظ ، حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث بن عبيد عن سعد الحريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها ، قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية : والله يعصمك من الناس « فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة ، فقال لهم : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل » (134) .

لكنه ، أحيانا ، لا سند الرواية إلى رابو بعينه ، وذلك مثلما رأينا في المثال الأول ، ونرى في المثال التالي حيث يتحدث عن سبب نزول قوله تعالى : « لا تجعلوا أدعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » (135) (قيل : نزلت الآية في وعد بني تميم ، وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فتأذوه : « يا محمد أخرج إلينا » - فذمهم الله تعالى بالجهل بوصفهم بأن أكثرهم لا يفعلون) (136) .

وليس يكتفي عياض في بعض الأحيان بإيراد أسباب نزول هذه الآية أو تلك ، بل نجده إلى جانب ذلك يفضل القول فيما كان لها من أثر ووقع في نفوس الصحابة ، ولتجزيء من ذلك بهذا المثال :

(... وقيل نزلت الآية الأولى (137) في محادثة كانت (138) بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما . وقيل : نزلت في نأب من

يقدم بها ، أحيانا ، للآيات التي يريد تفسيرها كقوله في سبب نزول « والضحي والميل إذا سجي » السورة (اختلف في سبب نزول هذه السورة . فقيل : كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعدو نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام . وقيل : بل تكلم به المنركون عند فترة الوحشي فنزلت السورة) (130) .

والقاضي عياض يستقصي في إيراد أسباب النزول مختلف الروايات والأقوال مثلما رأينا في المثال السابق ، ومثلما نراه يصنع بشيء من التفصيل في الحديث عن أسباب نزول قوله تعالى : « قد تعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فأنهم لا يكذبونك » (131) (قال علي رضي الله عنه : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم : « أنا لا تكذب ولكن تكذب بما جئت به » ، فأنزل الله تعالى : « فأنهم لا يكذبونك » الآية . وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال : ما يحزنك ؟ قال : كذبتني قومي . فقال : أنهم يعلمون أنك صادق . فأنزل الله تعالى الآية) (132) .

والغالب على عياض حرصه على استناد سبب النزول إلى روايته ، ففي سبب نزول قوله تعالى : « والله يعصمك من الناس » (133) يقول :

(أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدقي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبيد

(130) انظر ، الشفا ، 1 : 27 - 28 .

(131) الانعام 33 . وتحتها : « ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

(132) انظر ، الشفا ، 1 : 23 .

(133) المائدة : 67 . ونص الآية : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس أن الله لا يهدي القوم الكافرين » .

(134) انظر ، الشفا ، 1 : 289 - 290 .

(135) النور ، 63 . وتحتها : « قد يعلم الله الذين يسئلون منكم لوإذا فليعلل الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

(136) انظر ، الشفا ، 2 : 35 .

(137) المراد قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون » . الحجرات : 2 .

(138) في النسخة التي اعتمد (وكانت) .

قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، لقد خشيت أن أكون هلك ، نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ جهر الصوت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا ثابت ، أما ترضى أن أعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة . » فمضى يوم اليمامة . وروى أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية ، قال : « يا رسول الله لا أملك بعدها إلا كاخى أسرار » ، وإن عمر كان إذا حدثه كنخى السرا ، ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ، فأنزل الله تعالى فيهم : « أن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » (139) ، وقيل : نزلت « أن الذين ينادونك من وراء الحجرات (140) » ، في غير بني تميم نادوه باسمه . وروى صفوان بن عسال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت له لجوري : أيا محمد ، أيا محمد ، أيا محمد ، فقلت له : أغضض من صوتك فإني قد نهيت عن رفع الصوت » (141) .

2 - تفسير القرآن بالقرآن :

وهذا عنصر رئيس في التفسير النقلي أو التفسير المأثور ، وهو يقوم على قاعدة أن القرآن يفسر بعضه بعضاً كما يقول الزمخشري (142) ، ولما

(139) الحجرات : 3 .

(140) تمة الآية « أكثرهم لا يعقلون » . الحجرات : 4 .

(141) انظر ، الشفا ، 2 : 35 - 36 .

(142) انظر ، الكشف ، 1 : 456 .

(143) تمة الآية « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » التوبة : 128 .

(144) تمة الآية « يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين »

آل عمران : 164 .

(145) تمة الآية « يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي

ضلال مبين » الجمعة : 2 .

(146) تمة الآية : « يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا

تعلمون » البقرة : 151 .

(147) انظر ، الشفا ، 1 : 11 .

(148) الانبياء : 107 .

كانت بنية (الشفا) تركز على مجموعة من الفصول ، يصور المؤلف في كل منها جانباً من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم أو يتناول موضوعاً من موضوعات النبوة والانبياء بصحة عامة فقد أسدى هذا منه - كما استعان بالقرآن - أن يورد في كل فصل الآيات التي تشترك ، من ههنا النحو أو ذاك ، في معالجة موضوعه ، ومن الأمثلة على ذلك ما تقراه في تفسيره لقوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . . » (143) . فبعد أن قرأ الآية قال : ومثله في الآية الأخرى قوله تعالى : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم » (144) الآية . وفي الآية الأخرى : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم » (145) الآية . وقوله تعالى : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم » (146) (147) .

3 - تفسير القرآن بالسنة :

وهذا عنصر بالغ الأهمية في التفسير بالمأثور ، يقوم على استخلاص مفهومات النص القرآني ودلالاته من الحديث النبوي الشريف . وقد أكثر عياض في تفسيره من الاعتماد على الحديث ، وهو أمر يدهي بالنسبة لمفسر اجمع المترجمون به على الإشادة بتمكنه من الحديث وتضلعه في علومه .

وهذه بعض الأمثلة :

في تفسيره لقوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (148) ، كان مما أورده من الحديث

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حياتي خير لكم وموتي خير لكم » ، وقوله : « أذ أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعلته لها فرطاً وسلفاً » ، وأضاف عباس : (وحكي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام : هل أصابك من هذه الرحمة شيء ؟ قال : نعم ، كنت أخشى العاقبة فأمست لثناء الله عز وجل علي بقوله : « ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين » (149) (150) .

وفي تفسير قوله تعالى : « وما كن الله ليعذبهم وانت قبيح وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » (151) أورد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل الله علي أماتين لأمتي : وما كان الله ليعذبهم وأنست فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ، فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار » (152) .

وفي تفسير قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف » (153) الآية ، قال : (روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية سال جبريل عليه السلام عن تأويلها . فقال له : حتى أسأل العالم . ثم ذهب فأتاه فقال : « يا محمد ، إن الله بأسرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ... » (154) .

4 - تفسير القرآن بالمنقول عن الصحابة والتابعين :

هذا عنصر آخر وأخر من التفسير بالعائور : وهو ما نقل عن الصحابة أو روي من التابعين من

أقوال في التفسير وأسباب النزول وما إليهما . وقد استعان عباس كثيراً في تفسيره بهذا العنصر ، فنقل في غير ما موضوع عن ابن عباس ، والسيدة عائشة . وعلي بن أبي طالب ، وجعفر الصادق ، وكعب الأحبار . سيفان الثوري ، والضحاك ، ومجاهد ، وابن الكلبي . وسعيد بن جبير ، والسدي ، وقتادة ، وعطاء بن رباح ، ومالك ابن دينار ، على أن أكثر هذه الأسماء وروداً في تفسير عباس هو اسم ابن عباس (155) رضي الله عنهما .

والأمثلة هي متقولة عن هؤلاء جميعاً مما يطالعنا في مختلف الآي التي تناولها بالتفسير ، نكتفي ببعضها في الاستئناس :

في تفسير قوله تعالى : « وكان تحته كنز لهما » (156) ، نقل قول ابن عباس (لوح من ذهب فيه مكتوب : عجبا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب ، عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك ، عجبا لمن رأى الدنيا وتقبلها بأهلها كيف يطمئن إليها ، أنا الله لا اله إلا أنا محمد عبدي ورسولي) (157) .

وفي تفسير قوله تعالى : « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » قال ، أقروتم وأخذتم على ذلكم أصري قال أقرونا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » (158) نقل قول علي بن أبي طالب (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ

(149) التكوين : 20 - 21 .

(150) انظر ، الشفا ، 1 : 12 - 13 .

(151) الانفسال : 33 .

(152) انظر ، الشفا ، 1 : 38 .

(153) تمة الآية « وأعرض عن الجاهلين » . الأعراف : 199 .

(154) انظر ، الشفا ، 1 : 78 .

(155) انظر ، على سبيل التمثيل ، الشفا ، 1 : 14 - 134 - 148 - 153 - 154 - 155 - 160 -

161 - 181 ، 2 : 108 - 126 - 175 الخ .

(156) نص الآية « وأما الجدار فكان لفلانين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا

فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته من أمري ذلك تأويل ما

لم تستطع عليه صبرا » . الكيف : 82 .

(157) انظر ، الشفا ، 1 : 134 .

(158) آل عمران : 81 .

سبحه سبحانه في جميع صلي الله عليه وسلم من بعد
وهو حي ليؤمنن به ولنصرته وياخذ العهد بذلك على
قومه (159) .

وفي تفسير قوله تعالى : « وعقليت في
الساجدين » (160) أورد قول مجاهد (كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة يرى من
خلفه كما يرى من بين يديه) (161) .

وفي تفسير قوله تعالى : « ولقد اتينا إبراهيم
ورسله من قبل » (162) قال : (أي هديناه صغيراً ،
قاله مجاهد وغيره ، وقال ابن عطاء : اصطفاه قبل
إبداء خلقه) (163) .

وقد تلح شخصية عباس المفسر من خلال
إمتداد صاحبها الرواية المأثورة في التفسير ، قرأنا
كانت أو ستة ، وأقوال صحابة كانت لو آراء تابعين ،
شخصية لا تملك القدرة على تجاوز حدود النقص
والرواية بالاجتهاد في إبداء الرأي والادلاء به ، وهذا
غير صحيح ، فإن عباساً كان يقيد ، حقاً ، من الرواية
المأثورة بما وجد إليها سبيلاً ، ولكنه لم يكن يكتفي بذلك ،
بل كان غير ما مرة يتعقب الأقوال ، ويناقش الآراء ،
ويورد منها ما يرد ، ويقرر ما يقرر ، ولنا تحب أن
نستكثر من الأمثلة ، ولكننا لا نجد مفرأ من تقديم
بعضها :

من ذلك :

(... فإن قلت فما معنى قوله : « فإن كنت

(159) انظر الشفا ، 1 : 135 .

(160) الشعراء : 219 .

(161) انظر ، الشفا ، 1 : 54 .

(162) تمة الآية : « وكنا به عالمين » الأنبياء : 51

(163) انظر ، الشفا ، 1 : 74 .

(164) تمة الآية « لقد جاءكم الحق من ربك » فلا تكونن من المعتزين « يونس : 94 .

(165) تمة الآية « فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الذي يتولاكم وأمرت أن أكون من
المؤمنين » يونس : 104 .

(166) نص الآية « ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من
الخاسرين » الزمر : 65 .

(167) تمة الآية : « ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لعوفوهم نصيبهم غير منقوص »
هود : 109 .

(168) تمة الآية : « فتكون من الخاسرين » يونس : 95 .

(169) نص الآية : « الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش
فأسأل به خبيراً » الفرقان : 59 .

في تمة عما ألزما البيت فأسأل الذين يعرفون الخطاب
من قبلك » (164) الآيتين ، فأحذر - ثبت الله قبلك -
أن يخطر ببالك ما ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس
أو غيره من أنباء شك للنبي صلى الله عليه وسلم
فيما أوحى إليه وأنه من البشر ، فمثل هذا لا يجوز
عليه جملة ، بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير
والحسن . وحكي قتادة أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : ما أشك ولا أسأل ، وعامة المفسرين
على هذا ، واخلفوا في معنى الآية ، فقيل : المراد ،
قل يا محمد للشك : أن كنت في شك - الآية - .
قالوا : وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل ،
قوله : « قل يا أيها الناس أن كنتم في شك من
ديني » (165) الآية ، وقيل : المراد بالخطاب العرب
وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال : لئن
أشركت ليحبطن عملك » (166) الآية . الخطاب له
والمراد غيره ، ومثله « فلا تك في مرية مما يعبد
هؤلاء » (167) ونظيره كثير . قال بكر بن العلاء : ألا
تراه يقول : « ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات
الله » (168) . وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب
فيما يدعى به ، فكيف يكون ممن كذب به ، فهذا كله
يدل على أن المراد بالخطاب غيره . ومثل هذه الآية
قوله : « الرحمن فأسأل به خبيراً » (169) . الأمور
ههنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي

والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسؤول لا
المستخير السائل (170) .

وهو في تعقيباته ومناقضاته ينطلق مما كان
عنده من ثقافة واسعة في الحديث ، والفقه ،
والأصول ، بل أننا نجد يوظف معرفته ، إما كان
مجالها ، في تأكيد دلائل النبوة وترسيخ علاماتها في
النفوس ، فلننظر إليه وهو يتصدى بالرد على منكري
معجزة انشقاق القمر ، لنرى كيف أنه لا يعتمد في
هذا الرد على معرفته بالتفسير فحسب ولكنه ، إلى
جانبيهما ، يستعين بمعرفته في القلق :

(قال الله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق
القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر » (171) . أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ
الماضي وأعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون
وأهل السنة على وقوعه) (172) .

وهو بعد أن يضيء جوانب الآية بالأحاديث التي
تكشف عن ظروف النزول وملاساته ، وتشرح ما
أوجزت الآية ذكره ، يشرع في التعقيب :

(وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة ، والآية
مصرحة ، ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان
هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء قاهر
لجميعهم ، إذ لم يتقل لنا من أهل الأرض أنهم رصوه
تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل إلينا عن لا يجوز
تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة ،
إذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الأرض ، فقد
يطلع على قوم قبل أن يطلع على الآخرين ، وقد يكون من
قوم بضدنا ما هو من مقابلهم من أقطار الأرض ، أو
يحول بين قوم وبينه سحاب أو جبال ، ولهذا نجد
الكسوفات في بعض البلاد دون بعض ، وفي بعضها
جزئية وفي بعضها كلية ، وفي بعضها لا يعرفها إلا

المدعون لعلمها ، ذلك التقدير العزيز العظيم . وآية
القمر كانت لئلا ، والعادة من الناس بالليل الهدوء
والسكون وأيجاف الأبواب وقطع التصرف ، ولا يكاد
يعرف من أمور السماء شيئاً إلا من رصد ذلك
واحتبل به ، ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيراً في
البلاد وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر ، وكثيراً ما يحدث
الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار وتجوم طوالبع
عظام تظهر في الأحيان بالليل في السماء ولا علم عند
أحد منها) (173) .

ولك أن نستشف من اختياراته وترجيحاته
نفسها جانباً من مكنة الرأي والاجتهاد عنده :

(... فإن قلت لما معنى قوله تعالى في قصة
زيد : « وأذ تقول للذي انعم الله عليه وأنعمت عليه
امسك عليك زوجك » (174) الآية ، فأعلم - أكرمك
الله - ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه
وسلم عن هذا الظاهر وأن يأمر زيدا بامساكها وهو
يحب تطبيقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين .
وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن
حسين أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون
من أزواجه ، فلما شكاه إلى زيد قال له : « امسك
عليك زوجك واتق الله » وأخفى منه في نفسه ما
أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبدية ومظهره
بتمام التزويج وطلاق زيد لها . وروى نحوه عمرو بن
قائد عن الزهري ، قال : نزل جبريل على النبي صلى
الله عليه وسلم يعلمه أن الله يزوجه زينب بثبت
جحش ، فذلك الذي أخفى في نفسه ، ويصح هذا
قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا : « وكان
أمر الله مفعولاً » (175) أي لا بد لك أن تزوجه .
ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه
لها ، فدل أنه الذي أخفاه صلى الله عليه وسلم مما
كان أعلمه به تعالى) (176) .

(170) انظر ، الشفا ، 2 : 100 - 101 .

(171) القمر ، 1 : 2 .

(172) انظر ، الشفا ، 1 : 234 .

(173) نفسه ، 1 : 235 - 236 .

(174) تنمة الآية : « واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق من تخشاه

فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا
فقدوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً » الأحزاب : 37 .

(175) الأحزاب : 37 .

(176) انظر ، الشفا ، 2 : 205 - 206 .

ويختتم عياض هذا التعقيب انشأه على اختصار
الرأي السديد وترجيحه :

(وقال أبو الليث السمرقندي : فان قيل : فما
الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد
بأمها ؟ فهو أن الله أعلم نبيه أنها زوجته فنهاه
النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما
الفة وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به ، فلما طلقها زيد
خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله
بزواجها ليباح مثل ذلك لامته ، كما قال تعالى :
« لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج
أطبأهم » (177) وقد كان أمره لزيد بأمها قمعا
للشبهة وردا للنفس عن هوأها ، وهذا إذا جوؤنا عليه
أنه رآها فجأة واستحسنتها ، ومثل هذا لا تكره فيه
لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه الحسن ، ونظرة
الفجأة معفو عنها ، ثم قمع نفسه عنها وأمر زيدا
بأمها ، وإنما تنكر تلك الزيادات التي في القصة .
والتمويل والأولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاية
السمرقندي وهو قول ابن عطاء واستحسنته القاضي
القشيري وعليه قول أبو بكر بن قورق ، وقال أنه
معنى ذلك عند المحققين من أهل التفسير) (178) .

5 - ولا بد ، ونحن بصلد البحث عن ملامح
عياض المفسر النقلي ، أن نحاول التعرف على موقفه
سما روي عن أهل الكتاب من أحاديث وقصص فصل
القول فيها عما سكب عنه القراءان ، وسكت عنه
السنة الصحيحة ، وهو ما يعرف بـ « الاسرائليات » .

ولعل أول ما يتبادر الى الذهن عن موقف عياض ،
وهو من عرفنا علمه الواسع بالحديث متنا ومسندا ،
أن يكون موقفه رفض لهذه الأحاديث والقصص
الاسرائلية التي تحفل بضروب من الطعن في سلوك
الأنبياء والرسل ، وقد أكد هو نفسه بأن (ما ورد من

أخباره - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - وأخبار
سائر الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في
ظاهره اشكال يقتضي أمورا لا تليق بهم بحال وتحتاج
الى تأويل وتزدد احتمال فلا يجب أن يتحدث منها إلا
باصحاح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت) (179) .

وقد طبق عياض هذا الرأي في وقفاته عند
بعض المرويات الاسرائلية ، ينتقدها ، ويبين زيفها ،
ويكشف عن بطلانها ، ومن ذلك ما كتبه حول داود في
قوله تعالى : « وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه
وخر راكعا وأناب » (180) : (وأما قصة داود عليه
السلام فلا يجب أن يلتفت الى ما سطره فيه
الأخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغرروا ونقله
بعض المفسرين (181) ، ولم ينص الله على شيء من
ذلك ، ولا ورد في حديث صحيح) (182) .

ثم مضى يستشهد بأقوال المفسرين والمحدثين
في دحض الشبهات التي روجها أهل الكتاب حول
قصة داود :

(... فمعنى « فتناه » اختبرناه ، و « أناب » ،
قال قتادة : مطيع . وهذا التفسير أولى . قال ابن
عباس وابن مسعود : ما زاد داود على أن قال للرجل
« أنزل لي من أمراتك واكفنيها » فعاتبه الله على
ذلك ونبيه عليه واتكر عليه شغله بالدنيا . وهذا الذي
يتبني أن يعول عليه من أمره . وقيل خطبها على
خطبته . وقيل بل أحب بقلبه أن يستشهد . وحكى
السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله لأحد
الخصمين : لقد ظلمك ، فظلمه بقول خصمه . وقيل :
بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له
من الملك والدنيا ، وإلى نفي ما أضيف في الأخبار
الى داود ذهب أحمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما من
المحققين ، قال الداودي : ليس في قصة داود

(177) الأحزاب : 37 .

(178) انظر ، الشفا ، 2 : 207 - 208 .

(179) نفسه ، 2 : 270 - 271 .

(180) نص الآية : « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبقى بعضهم على
بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر وخر راكعا
وأناب » .

(181) انظر ، القصة في جامع البيان في تفسير القراءان للطبري ، والدور المنشور للسيوطي .

(182) انظر ، الشفا ، 2 : 177 .

وما روي غير يشيت ، ولا يظن بشي محبة قتل مسلم .
وقيل : ان الخصمين الذين اختصما اليه رجلان في
نتاج قُتِم على ظهر الآية (183) .

وهو في دحضه للمفثريات ، التي يتضمنها
القصص الاسرائيلي الذي حيكت للانتفاص من مكانة
الانبياء ، يعتمد ، بالدرجة الاولى ، الصحيح من
التحديث العروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم . ففي الآية الكريمة « ولقد فتننا سليمان
والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب » (184) . يقول :
« ... وقوله « ولقد فتننا سليمان » فمعناه ابتليناه ،
وابتلاؤه ما حكى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال : « لا طوقن الليلة على مائة امرأة لو تسع
وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله .
فقال له صاحبه : قل ان شاء الله ، فلم يقل ، فلم
تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل . قال
النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده
او قال : « ان شاء الله » لجاهدوا في سبيل الله » .
قال اصحاب المعاني : والشق هو الجبد الذي
القي على كرسيه حين عرض عليه وهسي عقوبته
ومحتته ... » (185) .

وبعد ان اشار الى بعض الاقوال التي رويت في
سببه محنة سليمان ، قال :

(ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان
بهبه وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في
حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد
مصم الانبياء من مثله) (186) .

وكذلك تجده يرد ما تناقله بعض المفسرين من
قصص اسرائيلي اريد به الى الطعن في عصمة الملائكة،
معتمدا في ذلك على عدم ورود اثر صحيح في الموضوع
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال :

(183) نفسه ، 2 : 177 - 178 .

(184) ص : 34 .

(185) انظر ، الشفا ، 2 : 181 .

(186) نفسه ، 2 : 182 ، وانظر القمة في تفسير : 23 : 100 - 102 .

(187) نفسه ، 2 : 191 - 192 .

(188) انظر ، القسرة : 102 .

(189) انظر ، الشفا ، 2 : 192 .

(وما ذكر فيها - اي قصة هاروت وماروت -
اهل الاخبار ونقله المفسرين ، وما روي عن علي وابن
عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم - اكرمك الله -
ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) (187) .

وبعد ان اشار الى اختلاف المفسرين حول ما
ورد من ذلك في العروان الكريم (188) . وانكار السلف
لما قال بعضهم فيه ، حدد مصدر هذا الافتراء ، فقال :

(وهذه الاخبار من كتب اليهود واقترائهم كما
نصه الله او الايات من افترائهم بذلك على سليمان
وتكفيرهم اياه) (189) .

ثم توجه الى (ما كشف غطاء هذه الاشكالات)
على حد تعبيره ، في حديث واف وشاف ، هو من
عيون كتابات عياض في (الشفا) .

هذا موقف عياض الصارم والمتشدد من
الاخبار والروايات الاسرائيلية ، وهو موقف لم تكن
نتوقع سواء من رجل كان من اعلم الناس بالحديث ،
واحفظهم له ، وابصرهم بعلمه ورجاله ، ومن مؤلف
كان هدفه الرئيس من تأليف كتابه ، وتريد به
« الشفا » ، اثبات دلائل النبوة ، وترسخ حقائقها
- كما اسلفنا الاشارة - من خلال نصوص القرآن
والسنة .

غير انه ينبغي الاشارة هنا الى ان تشدد عياض
في نقد تلك الاسرائيليات والكشف عن تهاونها لم
يحل دون تورب شيء منها الى كتابه ، لعله ، فيما
نحسب ، من اثر قراءته في روايات السدي والضحاك
واضرابهما من المفسرين الذين عرفوا بنزوعهم الى
الخيال والقول (بغير رواية على غير اساس) في

عبارة الجاحظ (190) . قال عياض حول ابتلاء يعقوب بابنه يوسف :

2 - عياض مفسرا لغويا :

ان المادة القوية التي نفع عليها في التفسير المدرج في « الشفا » ليست من الوفرة بالدرجة التي تتيح لنا ان نتبين بوضوح وجلاء ملامح عياض مفسرا لغويا ، ولكننا مهما يكن من أمر ، سنجتهد في الكشف عن بعض هذه الملامح التي لا نشك في انها مستهيم في تأليف هذه الصلوة العامة لعياض المفسر .

ويمكننا ان نرصد الملامح اللغوية في تفسير عياض من خلال التفاته الى :

1 - الشرح اللغوي :

يهتم عياض ، شأنه في ذلك شأن غيره من المفسرين على اختلاف نزعاتهم ، بمعالجة اللفظ القرآني لغويا ، أي شرحه واستخلاص معانيه من موقعه في السياق . فلننظر اليه كيف يتناول لفظة الوحي منتبعا دلالاتها المختلفة في مختلف الآي :

أ) واما الوحي فاصفه الاسراع ، فما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا ، وسميت انواع الانعامات وحيا شبيها بالوحي إلى النبي ، وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ، ووحي الحاجب والخط لسرعة اشارتهما ، ومنه قوله تعالى : « فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » (193) أي اوما ورمز ، وقيل : كتب ، ومنه قوله : الوحا أي السرعة . وقيل : اصل الوحي السر والاختفاء ، ومنه سمي الانعام وحيا ، ومنه قوله تعالى : « وان الشياطين ليوحون إلى اوليائهم » (194) ، أي يوسوسون في صدورهم ، ومنه قوله : « وأوحينا إلى أم موسى » (195) (أ) ألقى في قلبها ، وقد قيل

أ) وقد حكى أن ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه الندم في صلاته اليه ويوسف تألم محبة له . وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل لحم مشوي وهما يضحكان ، وكان لهما جار يتيم فشم رحيبه واستهوا ، وبكى وبكت له جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه ، فعوقب يعقوب بالكاء أسفا على يوسف إلى أن سالت حدقتاه وأبضت عيناه من الحزن ، فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا يتادي على سطحه : « ألا من كان مفظرا فليتخذ عند آل يعقوب » . وعوقب يوسف بالهجنة التي قص الله عليها (191) .

وقد كانت رواية هذه القصة من طرف عياض في « الشفا » مثار دهشة بعض العلماء ، ومنهم البصري (توفي 808 هـ - 1405 م) الذي قال : (وقد عجبت من القاضي عياض كيف ذكرها - أي حكاية ابتلاء يعقوب بيوسف - في كتابه . والذي يجب تنزيهه عن هذه الرذيلة . وان كان الطبراني قد روى في معجمه الاوسط والصفير عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل شبيها من ذلك ، وان يعقوب كان بعد اذا اراد الغداء أمر مناديا يتادي : ألا من اراد الغداء فليتخذ مع يعقوب . واذا كان صائما تادي متاد : ألا من كان صائما فليطمر مع يعقوب ، فانما رواه الطبراني عن شيخه محمد بن أحمد الباهلي البصري وهو ضعيف جلدأ) (192) .

(190) أنظر ، الحيوان ، 1 : 343 .

(191) أنظر ، الشفا ، 2 : 224 - 225 .

(192) ورد هذا النص في مقال الشيخ الرحالي الفاروقي عن (شخصية القاضي عياض ومكانته العلمية والاجتماعية) . أنظر ، مجلة الايمان ، العدد : 72 - 73 ، ص 16 - 17 (صفر وربيع النبوي 1398 - يناير وفبراير 1978) .

(193) نص الآية : « فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » مريم : 11 .

(194) نص الآية : « ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ومنه لمق وان الشياطين ليوحون إلى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لشركون » الانعام : 121 .

(195) تتمة الآية : « ان ارضيه فاذا خفت عليه فآلقه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا زادوه اليك وجعلوه من المرسلين » القصص : 7 .

عادوا جميعا ولم يكتفوا قبل كذلك . ومثله قول الشاعر :

تلك المكارم لا تعيان من لــــين
شيئا بعاء فعادا بعد أوالا (202)

وبالجملة فإن مياضا يبدو في معالجه للفظ القرآن بالشرح صاحب اطلاع واسع على المعجم العربي ، وخبرة جيدة بمعاني الالفاظ ودلالاتها التي تكتسبها من سياق الجملة في النص القرآني .

2 - النحو والاعراب :

من أجل تجللة المعنى وتوضيحه تلفت عياض ، في مواضع معدودة ، الى بعض التعليقات النحوية وأوجه الأعراب ، يشير إليها أشدرة ، يستدل بها على صحة المدلول الذي استقر عنده للآية . ومن ذلك إشارته الى أن ضمير (ظنوا) في قوله تعالى : « إذا استبأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا » (203) (عائد على الاتباع والامم لا على الأنبياء والرسل ، وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء ...) (204) ، وإشارته ، وهو يصدد نقى كون إبليس من الملائكة ، وهو ما يدل عليه ظاهر الآية « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم إلا إبليس أبى واستكبر وكسان من الكافرين » (205) ، الى أن (الاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب

ذلك في قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا » (196) أي ما يلقيه في قلبه دون واسطة) .

وهو في شروحه اللغوية يستقي من مصادر يسمي أصحابها ويعزو اليهم ما ينقل عنهم . فحول مادة (نصح) الواردة في قوله تعالى : « ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم » (197) يكتب :

(قال الامام أبو حاتم) (198) السبشي : النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له ، وليس يمكن أن يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ، ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم : نصحت العسل إذا خلصته من شحمه . وقال أبو بكر بن أبي اسحاق الخفاف : النصح فعل الشيء به الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح وهو الخط الذي يخالط به الثوب ، وقال أبو اسحاق الزجاج نحوه (199) .

وحول مادة (عود) في قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لرسلم لخخرجتكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا » (200) ، وقوله : « قد أفرقتنا على الله كذبا أن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها » (201) قال :

(فلا تشكل عليك لفظة العود وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم ، فقد أتت هذه اللفظة في كلام العرب لقبر ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهتيين

(196) تنمة الآية : « أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء أنه عليم حكيم » انشوري : 51

(197) أول الآية : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ... » التوبة : 91 .

(198) في المطبوع أبو البختي والصحيح ما أثبتناه .

(199) انظر ، الشفا ، 2 : 30 - 31 .

(200) تنمة الآية : « فأوحى إليهم ربيهم لنهلكن الظالمين » إبراهيم : 13 .

(201) تنمة الآية : « وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا أفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » الاعراف : 89 .

(202) انظر ، الشفا ، 2 : 116 .

(203) تنمة الآية « جاءهم نصرنا فننجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » يوسف : 110 .

(204) انظر ، الشفا ، 2 : 103 .

(205) البقرة : 34 .

سائق ، وقد قال الله تعالى : « ما لهم به من علم الا اتباع الظن » (206) . (207) .

3 - القراءات :

كان عياض ، كما اشرنا من قبل ، متمكنا من علم القراء فيما فسر من آي الالهاما . ويعمل صديقنا كان من المتوقع ان يفيد كثيرا من هذا التمكن فيما يعرض له بالتفسير من الآي التي تعددت القراءة فيها ، ولكنه ، على عكس ذلك لم يلتفت الى الاختلاف بين القراء فيما فسر من آي الالهاما . ويعمل صديقنا الدكتور الراجي التهامي الهاشمي ذلك بقوله : (اما لماذا لم يظهر اثر القراءات بشكل واضح في فصول « الشفا » فمرد يرجع ، فيما اعتقد ، الى ان ابا الفضل لا يوجه كتابه الى الخصائص الذين لا تشعيرهم الا البراهين المستمدة من علم راسخ في العمق والا الحجج المعززة بمقدمات ونتائج تحير اولي الالباب وانما يوجهه الى العموم الذين يكفيهم لاقناعهم البرهان البسيط والحجة المعتمدة على عاطفة وشعور ديني ، لذا ابتعد ما أمكنه الجهد عن القراءات) (208) .

وأما ما كانت الحال فان لنا في الوقفات القليلة التي اوقفها عياض عند القراءات القرآنية في تفسيره ما يكفيها للدلالة على هذا الملمح من ملامحه كمفسر لغوي .

وقد بدا لنا من خلال تتبعنا لهذه الوقفات ان عياضا كان يقفها ، غالبا ، من أجل :

1 - استجلاء وجهين في تفسير الآية . ومن هذا القبيل ما كتبه في تفسير قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » (209) . ابتداء بالاشارة الى اختلاف القراءة في (انفسكم) ، ونقل عن السمرقندي قوله : (وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفاء . وقراءة الجمهور باضم) (210) . وفي ضوء قراءة الضم جعل عياض يستجلي الوجه الاول في تفسير الآية ، قال :

(اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطب انه بعث قبهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويحققون مكاته ، ويعلمون صدقه وامانته ، فلا يهتمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم ، وأنه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة ، وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى : « الا المودة في القربى ») (211) (212) .

وفي ضوء قراءة الفتح يستجلي عياض ، ولكن في ايجاز بالغ ، الوجه الثاني في تفسير الآية :

(وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح ، هذه نهاية المدح) (213) .

ومن هذا القبيل ايضا استجلاؤه وجهين في تفسير قوله تعالى : « فانهم لا يكذبونك » (214) على

(206) نص الآية : « وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا » النساء : 157 .

(207) انظر ، الشفا ، 2 : 194 .
(208) انظر ، د. الراجي التهامي الهاشمي ، التعريف بكتاب الشفا للقاضي عياض - مجلة الايمان ، العدد : 72 - 73 . ص 102 (صفر وربيع الثبوي 1398 - يناير وفبراير 1978) .

(209) التوبه : 128 .
(210) انظر ، الشفا ، 1 : 10 .

(211) نص الآية : « فذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترب حبة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور » الشورى : 23 .

(212) انظر ، الشفا ، 1 : 10 - 11 .
(213) نفسه ، 1 : 11 .

(214) نص الآية : « قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » الانعام : 33 .

ضوء اختلاف قراءة « يكذبونك » ما بين التخفيف والتشديد :

1 - (فمن قرأ « لا يكذبونك » بالتخفيف فمعناه : لا يكذبونك كاذبا . وقال الفراء والكسائي : لا يقولون أنك كاذب . وقيل : لا يحتجون على كذبك ولا يشبوه) (215) .

2 - (ومن قرأ بالتشديد فمعناه : لا ينسبونك إلى الكذب . وقيل : لا يعتقدون كذبك) (216) .

ب - التنبيه إلى مخالفة القراءة لمصحف ، ومثال ذلك :

1 - قال في قوله تعالى : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم » (217) : (وقد قرئ « هو أب لهم » ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف) (218) .

2 - قال في قوله تعالى : « أن تعذبهم فأنهم عبادك وإن تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم » (219) : (وهذه قراءة الجمهور . وقد قرأ جماعة « فأنك أنت الغفور الرحيم » وليست من المصحف) (220) .

ج - التنبيه إلى شذوذ القراءة ، ففي قوله تعالى : « وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » (221) ، ذكر أن الحسن وعبد الرحمن بن أبزي قرأ « الملكين » بالكسر ، وقال : (والقراءة بالكسر اللام شاذة) (222) ، وفي رأي عياض أن (القراءة الشاذة غاية أسرها أن تعلم ولا تجوز بها

التلاوة ولا الصلاة ولا الحجّة) (223) وللملك رايناه بوجه تفسيره في ضوء قراءة (الملكين) بالفتح .

4 - البلاغة :

أبان عياض في بعض ما كتب عن علمه بأسرار البلاغة ، وبصره بمصطلحها ، كما أبان عن ذائقته الأدبية الرقيقة ، وقدرته البالغة على الفهم ، وكل أولئك ، فضلا عما كان له من شغافية في الاحساس ، ورقة في الشعور ، كانت ، برأينا ، مفاتيح في يد عياض يستطيع بها ، لو شاء ، أن يفتح في التفسير البياني للقرءان الكريم أبوابا ، يدخلها ، ومن معه من القراء ، إلى عوالم تمور بروعة الفن وجلاله .

وفي تفسيره المدرج في « الشفا » تطالعنا بعض لفتاته إلى ما ضمت عليه هذه الآية أو تلك من أساليب بلاغية ، يضع يده عليها ، ويسمّيها ، ويشرح أثرها في المعنى . ولنتنظر إليه من خلال هذه الأمثلة :

1 - في إشارته إلى قصة الأسراء ، وانتهاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سدة المنتهى ، وتصديق يره فيما رأى ، قال : (ولما كان ما كاشفه صلى الله عليه وسلم من ذلك الجيروت ، وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ، ولا تستقل بحمل سماع أدناه العقول ، رمز عنه تعالى بالأيماء والكناية الدالة على التعظيم ، فقال تعالى : « فأوحى إلى عبده ما أوحى » (224) ، وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحي والإشارة ، وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز . وقال : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » (225) أنحسرت الأفهام عن

(215) انظر ، الشفا ، 1 : 24 .

(216) نفسه ، 1 : 24 .

(217) تنمّة الآية : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا » الأحزاب : 6

(218) انظر ، الشفا ، 1 : 44 .

(219) المائدة : 118 .

(220) انظر ، الشفا ، 2 : 142 .

(221) البقرة : 102 .

(222) انظر ، الشفا ، 2 : 194 .

(223) انظر ، متارق الانوار ، 2 : 329 .

(224) النجم : 10 .

(225) النجم : 18 .

تفصيل ما أوحى ، وتاهت الاحلام في تمييز تلك الآيات الكبرى (226) .

ب - وفي قوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » (227) قال : (يريد عند البيعة - قيل : قوة الله ، وقيل : ثوابه ، وقيل : منته ، وقيل : مقده ، وهذه استعارات وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم آياه وعظم شأن الميابع صلى الله عليه وسلم) (228) .

ج - وفي قوله تعالى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » (229) ، قال : (وقد قيل في هذه الآية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسيته ، أي ما قتلتموهم وما رميتهم إذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع ، أي منفعة الرمي كانت من فعل الله ، فهو القاتل والرامي بالنعنى وانست بالاسم) (230) .

وتسوق ، الى هذه الامثلة ، مثالا آخر ، مستقره ، هذه المرة ، في غير « الشفا » ، يكشف لنا عن اثر ما كان للرجل من ادراك عقلي ، ويقظة وجدانية ، وشوق رقيق في فهمه لبيان القراءن وبلاغته ، ففسى حديثه عن الاراداف والتبليغ ، وهو - بعبارة - (من اجى وجوه البلاغة ، ووفق انقاس البديع) (231) يقول :

(ومنه قوله تعالى : « مدهامتان » (232) فانه غير بهذه اللفظة الواحدة الوجيزة ، والكلمة المفردة البليغة ، عن نعمة هذه الجنة ، ونضارة ثمارها ،

وكثرة ريبها ، وجمال منظرها ، وتعام حسن اشجارها ، ورونق نباتها ، يتابع من ثوابها ، وهي دهمة خضرتها ، التي لا تكون الا مع تناهي الري ، وشباب الشبابت ، وعدم الآفات . وكذلك قوله تعالى في ذكر المسيح وامه كانا ياكلان الطعام » (233) ، فعبّر عن حدودهما وايمان عن حلول العوارض البشرية بهما ، بحاجتهما الى اكل الطعام ، وكنى بذلك وأشار الى أن من ياكل الطعام يكون منه الحدث ، وكل هذا مناف لصفات الجلال والالهية ، فتضمنت الآية الاراداف والتبليغ والكتابة والوحى والاشارة ، فان تحت قوله : « ياكلان الطعام » معاني عظيمة ، ولصولا كنبرة) (234) .

ومثل هذا التناول لأي القراءن ، ان دل ، من نحو ، على بصر صاحبه بالمصطلح البلاغي ، فانه ، من نحو آخر ، يدل ، بوضوح ، على وفرة حظه ، من انتقاد القريحة ، ويقظة الوجدان ، وهو ما كان يجعله (دراكاً للمحة وان لطف شأنها ، متنبها على الرمزة وان خفي مكانها) (235) على حد تعبير الزمخشري فيما اشترطه في مفر القراءن .

ولعله مما يتصل بهذه الفقرة ، وينور بعض الخلفيات في صورة عياض المفسر أن نعرف رايه في اعجاز القراءن - وباعتباره أن هذا الموضوع يمثل جانباً بالغ الخطر والشأن من جوانب الموضوع الرئيسي الذي يتمحور حوله « الشفا » ، وهو آيات دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وآياتها ، نقد خصه عياض بفصل من كتابه ضمنه رايه حول وجوه

- (226) انظر ، الشفا ، 1 : 30 .
(227) نص الآية : « ان الذين يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن تكث فانما يكتك ملي نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجراً عظيماً » الفتح : 10 .
(228) انظر ، الشفا ، 1 : 41 .
(229) تمة الآية : « وليبلي المومنين منه بلاء حسناً ان الله سميع عليم » الانفال : 17 .
(230) انظر ، الشفا ، 1 : 42 .
(231) انظر ، بقية الرائد : 206 .
(232) الرحمن : 64 .
(233) نص الآية : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يوتكون » المائدة : 75 .
(234) انظر ، بقية الرائد : 206 - 207 .
(235) انظر ، الزمخشري ، الكشف ، 1 : 17 .

الاعجاز القرآني وأنواعه في شيء غير قليل من الأسباب والافاضة .

وفي رأي عياض أن القرآن وإن كان ينطوي على وجوه من الاعجاز كثيرة إلا أنه يمكن تحصيلها من جهة أنواعها في أربعة وجوه :

أولها يتمثل في (حسن تأليفه ، والتتام كلمه وفصاحته ، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب) (236) . وفي هذا الوجه يصف عياض مجز العرب ، وهم الذين كان (الكلام طوع مرادهم ، والبلاغة ملك قنادهم ، قد حورا فتوتها ، واستنيطوا هيوتها) (237) . عن معارضة القرآن ومماثلته ، وهو يصف في هذا الوجه أيضا مظاهر الجمال والاحكام في الصياغة القرآنية :

(أحكمت آياته ، وفصلت كلماته ، وبهرت بلاغته المقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتظانر إيجازه وأعجازه ، وتظاهرت حقيقته ومجازته ، وتبارت في الحسن نظامه ومقاطعه ، وحوت كل البيان جوامعه وبدائمه ، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه ، وأطبق على كثرة فوائده مختار لفظه ... ثم هو ، في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالمف أني يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان ، آية لمثاله من ربط الكلام بعضه ببعض ، والتتام سرده ، وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ، ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة تردها حتى تكاد كل واحدة تنسى في البيان صاحبها ، وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ، ولا نفور للنفس من ترديدها ، ولا معاداة لمعادها) (238) .

وثاني وجوه الاعجاز القرآني في رأي عياض يتمثل في (صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ، ووقف مقاطع آيه ، وانتهت قواصل

كلماته اليه ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه ، بل حارت فيه عقولهم ، وتدللت دونه أحلامهم ، ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر) (239) .

والوجه الثالث للاعجاز القرآني عند عياض هو (ما انطوى عليه من الاخبار بالمفصيات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخير) (240) .

أما الوجه الرابع والأخير فهو (ما أنبا به من أخبار القرون السالفة ، والامم البائدة ، والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الغد من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ، فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ، ويأتي به على نصح ، فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه ، وأن مثله لم ينله بتعليم ، وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمداولة ولا مشافهة ولم ينب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم ...) (241) .

والملاحظ أن الوجهين الأولين من هذه الوجوه الأربعة للاعجاز القرآني في نظر عياض يمكن ردهما الى وجه واحد هو الوجه البيدي في أعجاز الصورة البيانية للقرآن أو ما اصطلح على تسميته بـ (نظم القرآن) . وقد كان هذا الوجه مدار أبحاث الدارسين للاعجاز القرآني من كتابات الجاحظ (توفي 235 هـ) الى كتابات معاصري عياض من مثل الزمخشري (توفي 538 هـ) في المشاركة ، وابن عطية (توفي 541 هـ) في الاندلسيين . والحقيقة أن عياض لم يصف جديدا الى البحث في هذا الوجه من الاعجاز يمكن أن يتميز به دون غيره من الدارسين له ويفرد ، لكننا لا نشك في أنه كان بوسع ، وهو العتق في علوم البلاغة ، والتمرس بالاساليب العربية ، فضلا عما وهب من استرسال في

(236) انظر ، الشفا ، 1 : 212 .

(237) نفسه ، 1 : 213 .

(238) نفسه ، 1 : 213 - 414 ، 217 .

(239) نفسه ، 1 : 218 .

(240) نفسه ، 1 : 221 .

(241) نفسه ، 1 : 223 .

الطبيعة ، ويقتل في الوجدان ، أن يجري قلمسه في
أبحاث تطبيقية حول النظم القرآني ، ما كن ليقتصر
فيها بحان عن شأو المبرزين فيها وخاصة عسويه
الخطشيوي .

وفضلا عن هذه الوجوه الأربعة للعجائز القرآني
التي وصفتها عياض يـ (أنها بيئة لا نزاع فيها ولا
مربة) (242) ، أورد وجوها أخرى وصفها ، أيضا ،
بأنها بيئة (243) . وقد لاحظنا أن بعضها مما أدرجه
غيب عياض من الدارسين في الأعجاز بالعسدي في
الأخبار عن الغيب من مثل قوله تعالى : « قل أن كانت
لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس
فتمنوا الموت أن كنتم صادقين » ولن يتموه أبدا
بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » (244) .
وقوله : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله
أن كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت
للكافرين » (245) ، وقد قال عياض نفسه عن هذه
الآية الأخيرة بأنها أدخل في باب الأخبار عن
الغيب (246) . ومن تلك الوجوه ما نمثله عياض في
(الروعة التي تلحق سامعيه - أي القرآن - والهيئة
التي تعزيبهم عند تلاوته لقوة حاله ، وأنافه خطره ،
وهي على المكذبين به أعظم ، حتى كانوا يستثقلون
سماعه » ويزيدهم نفورا » كما قال تعالى : ويبدون
انقطاعه لكرامتهم له) (247) .

وعلى الاستاذ عبد الكريم الخطيب على رأي
عياض بقوله : (وهذا الوجه هو في رأينا عمدة وجوه

العجائز في القرآن ، أن لم يكن وحده وجه أعجاز
القرآن ، فالروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند
سماعه ، والهيئة التي تعزيبهم عند تلاوته هي مناط
أعجازه ، وهي المعجزة القائمة فيه ابد الدهر ...
وقد رأيت أن القاضي عياض قد جعل هذا الوجه
حاشية في وجوه الأعجاز ، وهو الوجه الذي من
حقه - في رأينا - أن يكون وجه الأعجاز
وحده) (248) .

وختم عياض الفصل الذي عقده في أعجاز
القرآن بطائفة من وجوه أخرى للأعجاز ، قال بأن
جماعة من الأئمة ومقلدي الأئمة عدوها فيه (249) ، في
حين أن بعضها معدود ، باعترافه هو ، في فضائله
- أي القرآن - وخواصه (250) .

* * *

وبعد :

فان تركيب صورة ما من اجزاء لها مبعثرة هنا
وهناك ليس بالامر البين ، العيسور .. ومع ذلك فان
لنا أن نتساءل في ختام هذا العرض :

هل في هذه (الملامح) التي اجتهدنا في جمعها
والتأليف بينها ما يسعف في استجلاء (جوانب) من
صورة عياض المفسر ؟ .

ذلك هو الرجاء ..

ومن الله نستلهم الهداية والتوفيق .

(242) نفسه ، 1 : 225 .

(243) نفسه ، 1 : 225 .

(244) البقرة : 94 - 95 .

(245) البقرة : 23 - 24 .

(246) الشفا ، 1 : 226 .

(247) نفسه ، 1 : 227 .

(248) انظر ، عبد الكريم الخطيب ، الأعجاز في دراسات السابقين : 318 .

(249) انظر ، الشفا ، 1 : 229 .

(250) نفسه ، 1 : 223 .

الملاحق (١)

الملحمة ١

سورة (والصبحي) *

(بسم الله الرحمن الرحيم ، والصبحي ، والليلة إذا سجد)
 ما ودعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من الأولى ، وسوف
 يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضلالا
 فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى ، أما اليتم فلا تغهر ، وأما السائل فلا
 تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث ، * اختلف في سبب نزول هذه
 السورة ، فقيل : كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل
 فعلى نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام ، وقيل : بل تكلم به
 المشركون عند فترة الوحي فتركت السورة ، قال الفقيه الغاضي
 ولفقه الله تعالى : تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له
 وتوبيخه به وتعليمه آياه سنة وجوه ، الأول : انفس له عصا
 أخبره به من حاله بقوله تعالى (والصبحي والليلة إذا سجد) أي :
 يوجب الصبحي ، وهذا من أعظم درجات العبادة ، الثاني : بيان
 مكانته عنده وحظونه لديه بقوله تعالى : (ما ودعك ربك وما قلى)
 أي : ما تركك وما ابتغى ، وقيل : ما أعطاك بعد أن اصطفاك ،
 الثالث : قوله تعالى : (وللآخرة خير لك من الأولى) ، قال ابن
 اسحاق : أي مالت في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة
 الدنيا ، وقال سئل : أي ما ادخر لك من الشفاعة والمقام
 المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا ، الرابع : قوله تعالى :
 (وسوف يعطيك ربك فترضى) وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة
 وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة ، قال ابن
 اسحاق : يرصيه بالفتح في الدنيا والثواب في الآخرة ، وقيل :
 الجحوض والشفاعة ، وروى عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم
 وسلم أنه قال : ليس آية في القرآن أرجى منها ولا يرصى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار ، الخامس :
 ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من الآله فله في بقية السورة
 من هدايته إلى ما هداه له أو هداية الناس به على اختلاف
 التفسير ولا مال له فأنشأ بها آياه ، أو بما جعله في قلبه من
 القناعة والفنى ، ويتبعا فغضب عليه عمه وآواه إليه ، وقيل :
 آواه إلى الله ، وقيل : يتبعا لا مال لك فأورك الله ، وقيل : المتى
 ألم يجدك فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ، ذكره
 بهذا المتن ، وأنه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حاش
 صفه وعياله وبنه وقيل معرفته به ، ولا دونه ولا فلاح ، فكيف
 بعد اختصاصه واصطفاه ، السادس : أمره بالظاهر نعمته عليه ،
 وشكر ما شرفه به بنشره ، وأشادة ذكره ، بقوله تعالى : « وأما
 بنعمة ربك فحدث » ، فإن من شكر النعمة التحدث بها ، وهذا
 خاص له ، عام لامتته .

الملحمة 2

قصة هاروت وماروت *

قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقله
 المفسرين ، وما روى عن علي وابن عباس في خبرهما وأينلاهما ،
 فأعلم أنكم الله أن هذه الأخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا
 صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس هو شيئا
 يؤخذ بقباس ، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في

معناه ، واتكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سندكره .
 وهذه الأخبار من كتب اليهود والنصارى كما نصه الله أول الآيات
 من افتراءهم بذلك على سليمان وتكفيرهم آياه وقد انطوت القصة
 على شنع عظيمة ، وما نحن بخير في ذلك عما يكشفه غطاء هذه
 الاستكالات أن شاء الله . فاختلف أولا في هاروت وماروت ، هل
 هما ملكان أو أنسيان ؟ وهل هما المراد بالملكين أم لا ؟ وهل
 الفراءة ملكين أو ملكين ؟ وهل ما في قوله (وما أنزل) ، (وما
 يعلمان من أحد) نافية أو موجبة ؟ فكثر المفسرين أن الله تعالى
 امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر ونبيه ، وإن عمله كفر فمن
 تعلمه كفر ومن تركه آمن ، قال الله تعالى : « إنما نحن فتنه فلا
 تكفر » ، وتعليمهما الناس له تعليم الذنار ، أي يتولان لمن جاءه
 يطلب تعليمه لا تفعلوا كذا ، فإنه يفرق بين السحر وشره ولا
 تتعلموا بكذا فإنه سحر فلا تكفر ، فعلى هذا فعل الملكين طاعة
 وتصرفهما فيما أمرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنه ، وروى
 ابن وهب عن خالد بن أبي عمران أنه ذكر عنده هاروت وماروت
 وأنها يطمان السحر فقال : نحن نترجمها عن هذا ، فقرأ بعضهم :
 (وما أنزل على الملكين) ، فقال خالد : لم ينزل عليهما ، فهذا
 خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر
 غيره أنهما مأذون لهما في تعليمه ، بشرط أن يبين أنه كفر وأنه
 امتحان من الله وأينلاء ، فكيف لا يترجمها عن كيان المعاصي
 والتكفر المذكورة في تلك الأخبار . وقول خالد (لم ينزل) : يرد
 أن ما نافية وهو قول ابن عباس ، قال مكي : وتعدير الكلام (وما
 كفر سليمان) يريد بالسحر الذي افعله عليه الشياطين وأتبعهم
 في ذلك اليهود (وما أنزل على الملكين) ، قال مكي : هما جبريل
 وميكائيل أنشأ اليهود عليهما السحر به كما أنشأ على سليمان
 فأكد بهم الله في ذلك « ولكن الشياطين كفروا يملكون الناس
 السحر ببابل هاروت وماروت » ، قيل : هما وجلان تعليمه .
 قال الحسن : هاروت وماروت طعان من أهل بابل ، وفرا : (وما
 أنزل على الملكين) يكسر اللام وتكون ما أيجابا على هذا ، وكذلك
 قراءة عبد الرحمن بن أبيز بكسر اللام وتكونه قال : الملكان هنا
 داود وسليمان وتكون ما نيا على ما تقدم ، وقيل : كانا ملكين
 من بني إسرائيل مسحهما الله ، حكاه السمرقندي ، والفرادة
 بكسر اللام شاذة ، فمحتمل الآية على تقدير أبي محمد مكي حسن
 ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويظهرهم تطهيرا ، وقد وصعهم
 الله بأنهم مطهرون ، وكرام برة ، ولا يعضون الله ما أمرهم .

الملحمة 3

في أعجاز القرآن *

الوجه الثاني من أعجازه صورة نظم المعجب والأسلوب
 القريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها التي
 جاء عليه ، ووقفت مقاطع آيه ، وانتهت فواصل كلماته إليه ولم
 يوجد فيه ولا بعده نظير له ، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه ،
 بل حارت فيه عقولهم وتدلعت دونه أحلامهم ، ولم يهتدوا إلى
 مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو دجز أو شعر .
 والأخبار في هذا صحيحة كثيرة ، والأعجاز بكل واحد من
 النوعين الإيجاز والبلاغة بقائها والأسلوب القريب بذاته ، كسل
 واحد منها نوع أعجاز على التحقيق لم نقدر العرب على الإتيان
 بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها عباين لفصاحتها وكلامها ،
 وإلى هذا ذهب شر واحد من أئمة المحققين وذهب بعض المتقدمين
 بهم إلى أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب يأتي على ذلك
 بقول نمجه الاسماع ونظر منه النلوب ، والصحيح ما قدمناه
 والعلم بهذا كله ضرورة ولفظا ، ومن يقن في علوم البلاغة وأهله

(*) نتخبنا من (الشفا) نماذج من كتابات فياض المفسر ، ندرج بعضها في هذه الملاحق تكميلا للقائمة .

(*) انظر ، الشفا ، 1 : 27 - 29 .

(*) انظر ، الشفا ، 2 : 191 - 194 .

(*) انظر ، الشفا ، 1 : 218 - 219 - 221 .

خاطرهم ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخلد عليه ما قلناه . وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه ، فأكثروا يقولون أنه مما جمع في قوة جزائنه ونصاعة ألفاظه وحسن نظمته وإيجازه ويديع قائلته وأسلوبه ، لا يصح أن يكون في مقدور البشر ، وأنه من باب الخوارق الممنوعة عن أقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب المعصى وتسييح النحسا ، وقعب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدروهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون ، فمنهم الله هذا وعجزهم عنه ، وقال به جماعة من أصحابه ، وعلى الطريقتين فمنجز العرب عنه ، فإيت واقامة التحية عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وعجزهم بأن يأنوا بمثله فاطع وهو ابلغ في التمجيز ، وأخبري بالتفريق والأحجاج بمجيبه بشر مثلهم بشيء ليس من قدره للبشر لازم ، وهو أبهر أية وأفعج دلالة ، وعلى كل حال فما أنوا في ذلك يفتار بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كأسات الصغار والدلل ، وكانوا من شموخ الإنك وأبابة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا ، والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والنقل بها أهون عليهم ، وأسرع بالنجح وفتح المعبر والنجاة انفعهم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقوة في البرقة به لجميع الأنام ، وما منهم الا من جهد جهده واستنفذ ما عنده في إختفاء ظهوره وإطعام نوره ، فما خلوا في ذلك خبيثة من إلتفات شفاهم ولا أنوا بنظرة من معين حياتهم مع طول الأمد ، وكثرة العدد ، وتظاهر الولد وما ولد ، بل ابلسوا لما نيسوا ، ومنعوا فانكسروا .

المصادر والمراجع

- 1 - القرآن الكريم .
- 2 - أزهار الرياض في أخبار عياض .
شهاب الدين بن محمد المقرئ النيسابوري . ج 1 . تحقيق : سعيد احمد أعراب ومحمد بن تايوبه . ط 1 . فصالة (المجمدة) - المغرب (بدون تاريخ) .
- 3 - الاستيعاب في معرفة الأصحاب :
أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر . تحقيق : محمد علي البجاوي ، مكتبة نهضة مصر القاهرة (بدون تاريخ) .
- 4 - الأعجميات في دوايات الأبيقيين :
عبد الكريم الخطيب . ط 1 . دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت) .
- 5 - بقية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد :
القاضي عياض بن موسى اليحصبي النيسابوري . تحقيق : صلاح الدين بن أحمد الأدلبي ومحمد الحسن أجانيف ، ومحمد عبد السلام الشرقاوي . ط 1 . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (مديرية الشؤون الإسلامية) المملكة المغربية . 1393 هـ - 1975 م .
- 6 - تاريخ شيخ جامعة القرويين :
د. عبد الهادي التازي . ط 1 . دار الكتاب اللبناني - بيروت (بدون تاريخ) .
- 7 - تاريخ شيخ علمسباء الاندلس :
عبد الله بن محمد ابن الغرضي . ط 1 . الدار المصرية للتراث والترجمة (1966) .
- 8 - تريب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك :
القاضي عياض بن موسى . ج 1 . ط 1 . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب (بدون تاريخ) .

- 9 - التعريف بالقاضي عياض :
لولده أبي عبد الله محمد . تقديم وتحقيق : د. محمد بن شريفة . منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة (بدون تاريخ) .
 - 10 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن :
محمد بن جرير الطبري . ط 1 . الحلبي (1954) .
 - 11 - الحيسوان :
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق : عبد السلام هارون . ط 1 . الحلبي .
 - 12 - البدر المنثور في التفسير بالمأثور :
عبد الرحمن السيوطي . ط 1 . طهران (1377 هـ) .
 - 13 - الدباج المذهب في معرفة أعيان المذاهب :
الطبعة الأولى (1329 هـ) .
 - 14 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى . جزآن :
القاضي عياض . ط 1 . مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني . القاهرة .
 - 15 - صحيح البخاري :
أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . المطبعة العثمانية - مصر 1932 م .
 - 16 - صحيح مسلم :
أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم النشيري . مطبعة السعادة - مصر - 1928 م .
 - 17 - طبقات المقرئين :
عبد الرحمن السيوطي . طعة خيران (1960 م) .
 - 18 - طبقات المقرئين :
شمس الدين محمد بن علي الداودي . تحقيق : علي محمد شمس . الناشر : مكتبة وهبة - القاهرة (1972 م) .
 - 19 - الفتيحة (فهرسة شيوخ عياض) :
القاضي عياض . تحقيق : د. محمد بن عبد الكريم . ط 1 . الدار العربية للكتاب (ليبيا - تونس) .
 - 20 - فهرسة ابن عطيمة :
عبد الحق بن عطية المحاذري (صورة خاصة) .
 - 21 - التكملة :
محمد بن عمر الرمخري . الطبعة الثانية - المكتبة التجارية - القاهرة (1953 م) .
 - 22 - مشارق الأنوار على صحاح الأنسار :
القاضي عياض . ط 1 . المكتبة الفتية - دار التراث .
 - 23 - المعجم المفهرس لألفاظ السوان الكريم :
محمد فؤاد عبد آفاني . دار ومطابع الشعب (بدون تاريخ) .
 - 24 - معجم المحدثين والبطريرك والفراء بالمغرب الأقصى :
عبد العزيز بن عبد الله (1392 هـ - 1972 م) .
 - 25 - المقدمة :
عبد الرحمن بن خلدون . ط 1 . بيروت (بدون تاريخ) .
 - 26 - مجلة الأيمان (عدد خاص بالقاضي عياض) :
العدد 72 - 73 . صفر وربيع النوي 1398 هـ - يناير وفبراير 1978 م .
- تطوان - د. حسن الوراكلي

قرأت العدد الماضي



بمقامه

الأستاذ أحمد نسويك

وضعني الاخ الاستاذ عبد القادر الادريسي
رئيس تحرير هذه المجلة في موقف حرج حقا ، اذ
طلب الي ان اقدم للقراء قراءتي للعدد الماضي من
مجلة « دعوة الحق » . ولم املك القدرة على رفض
هذا الطلب ، وفي نفس الوقت ترددت كثيرا في
الاقدام على تجربة كهذه تتطلب من الشجاعة والجرأة
قدرا ربما كنت آخر من يملكه . ولم استطع ان اخلف
الوعد الذي قدمته لرئيس التحرير ، ولم اجد حجة
اتعلل بها للخروج من هذا المأزق ، وبقي لي ان
التمس من القراء ان تعفوني من ذلك الوعد ،
ووددت من صميم قلبي لو ان رئيس التحرير يغفرتني
يوما بان احد اصحاب الاعلام الذين يقرأون ويكتبون
لهذه المجلة قد قبل ان يتحمل عوضا عني مشاق هذه
المهمة ، فيكون قد اراحني ، وراح ، واسترحته .

واخيرا ، سلمت امري لله واقتضيت هذه الفقرة
التي كان العقاد رحمه الله يتهيبها ويخشاهما أشد
الهيبة والخشبة ، وذلك لانه كان ولا يزال يبدل دائما
ان النقد والناقد والمنقود مصيرهم الى جهنم ، فماذا
يريد هذا القلم المتطفل ان يقول عن عمل فكري ممتلئ
 بالحياة والقوة والاستقامة قد هيا له صاحبه أسبابه
وعناصره ومقدماته ونتائجه ؟ وماذا يريد هذا القلم
الفضولي ان يقوله حيال عمل فكري مكمل الجوانب ،
مدقق في ملامحه ، معمق في زواياه القريبة والبعيدة ؟
الا ، ان النقد او المراجعة او التقديم لاشبه ما تكون
بذلك الفصن الثائك الملتوي الذي ينسج بين
غصون الشجرة الطيبة الوارفة الظلال . او ذلك
الثبت الذي يسمونه العليق ، يحاول دائما ان يتسلل
الى شجيرات الباسمين والريحان ، ويود لو يستطيع
ان يماثل نفسه بها ، وان يمنح منها رحيق العطر
ورضائب الطيب الامصيل النابت من جذور الارض
والنسراب !

وحتى اوهم نفسي انني لن اصيب على احد
تهمة من التهم او شبهة من الشبهات - التي يطاردها
النقد والنقاد في الاعمال المنقودة - وحتى اخيل
لنفسي انني برىء مما اقول وانني قد عصمت نفسي
مما يعلق بها من زيف او ضلال ، فقد قرأت المبدد
الماضي واعدت قراءته ، واستعدت بالله الرحيم من
نزمات النقد الرحيم ، وحمدته حمدا كثيرا وتوكلت
عليه وبدأت اكتب .

وطائفي افتتاحية العدد ، وهذه مناسبة اود فيها أن أرجي إلى رئيس التحرير تهنئي الخالصة العبادقة على الافتتاحيات القيمة التي دأب على كتابتها في هذه المجلة منذ تولى رئاسة تحريرها ، فهي الافتتاحيات تضع القارئ دائما في قلب مشكلة من مشكلات حياتنا ، أو صميم قضية من القضايا التي نعيشها ، سواء كانت فكرية أو اسلامية أو حضارية أو اخلاقية . واستطيع ان اجزم بأن افتتاحية العدد هي وحدها طبق شهي من الفكر الاصيل الملتزم الذي يعرض لموقف معين ، ويحلله ويقدم له أسبابه ويرتب له نتائج في تسلسل منطقي محكم بعيد عن الجدالة والتشديق ومحاصرة ذهن القارئ بشتى التحليلات والتعليقات الفارقة الجوفاء التي تعودناها من بعض المجلات الوطنية والعربية التي يدعي أنها تحفل لواء الفكر وتدافع عنه .

وافتحية العدد الماضي ، تعرض لقضية من أخطر القضايا التي جابهت وتجاهه الامة الاسلامية ، والتي لم تستحوذ بعد على اهتمام المفكرين - مع أنهم هم المعنيون بها - ، وهي قضية علاقة بين الفكر واصحابه وبين الصحوة الاسلامية التي يعيشها العالم الاسلامي ، ورغم المجال الضيق الذي عالجت فيها الافتتاحية هذا الموضوع الحيوي الدقيق - فقد استطاع رئيس التحرير ان يحجمها ويرصد فيها خمسة عناصر وآها ضرورية وذات أولوية لا بد للمفكر المسلم ان يسترشد بها ويستوحىها في عمله وفكره ، وهي :

- 1 - الرجوع إلى اصول الدين حينما نريد استنباط الحلول للمشكلات الحضارية القائمة .
- 2 - تطوير اساليب التفكير والتحليل والخروج بها من دائرة رد الفعل إلى دائرة الفعل نفسه .
- 3 - الدفاع عن كرامة العقل الاسلامي .
- 4 - قيادة الرأي العام .
- 5 - اشاعة التفاؤل في النفوس وجعلها تطلعن وتعمل على الحياة .

وبالطبع ، فإن السطور القليلة المعدودة التي افردها الاستاذ عبد القادر الادريسي في افتتاحية

العدد لمعالجة - أو للتبني - إلى قضية علاقة الفكر بالصحوة الاسلامية ، ليست كافية للاحاطة بجوانب وابعاد هذه القضية التي كانت ولا تزال الشغل الشاغل للمفكر الاسلامي الحق الذي يفكر لامته ولعميدته ولخيرها وصالحها حاضرا ومستقبلا . وكنت اود من رئيس التحرير لو يخص لكل عنصر من العناصر المذكورة افتتاحية خاصة تعالجه وتحله للقارئ حتى تتضح له ملامح الصورة أو القضية كاملة . وقد يقال أن الافتتاحية موجهة إلى المفكر الاسلامي نفسه ، أي إلى خاصة الخاصة وليس إلى عامة العامة ، فلأمر اذن لا يقتضي التطويل والاطناب بضر ما هو في حاجة إلى تركيز وتكثيف يقدمان القضية إلى صاحبها دون الدخول معه في تفاصيل جزئيات قد تخلف لقضية تويلات يصعب معها اسالك رأس الخيط ، ولكن الامر في حقيقته يهم المفكر وبهم القارئ معا ، لأن المسألة في جوهرها هي علاقة الفكر بالصحوة العامة ، أي علاقة الخاص بالعام ، وهذا الفكر يتحمل صاحبه مسؤولياته بنفس القدر الذي يتحمل مسؤولياته متلقي ذلك الفكر ، أي مستهلكه . ثم أن الصحوة ليست وفعا على فئة معينة ، ولم تعدها طبقة خاصة دون سائر الطبقات الاخرى ، بل انها صحوة اسلامية مترامية الاطراف ، مترامية الاكتاف ، لان جلورها وعروقتها وماء الحياة والاستمرار والبقاء فيها ، ينبع من حياة الامة وواقعها ومطالبها وآمالها . وهذا لا ينبغي أن للصحوة روادها الذين بشروا بها وقادوها وحملوها مشعلها ، غير أن هؤلاء الرواد هم - بصفة أساسية - الانباء البيرة لامتهم الاسلامية . ومن هنا قلت انني اطلب من رئيس التحرير ان يفرّد لكل عنصر من العناصر التي رصدها في الافتتاحية ، كلمة خاصة يقدم فيها مؤيدا من التحليل الذي يسلط الضوء على الموضوع من جميع جوانبه .

وتواجهنا - بعد الافتتاحية - مقالة العلامة الاستاذ الجليل عبد الله كنون ، تطرق فيها إلى موضوع فكري وحضاري خطير ، لا يزال يجرد ذبوله في حياتنا العامة والخاصة ، وفي حياتنا العقلية وحياتنا الاخلاقية ، وهو موضوع التبعية التي طالب سيادته بأن تستقط من حياتنا . وقد ميد الاستاذ الجليل لهذه الدعوة باستعراض موجز لمجمل الاحداث التي دهشت العالم الاسلامي خلال القرون

الهجري الذي ودعناه ، ثم استخلص به بايجار ايضا - مجموعة من الظواهر السلبية التي لحقت المجتمعات الاسلامية ، هذه الظواهر التي اخدها واقبسها المجتمع الاسلامي من المجتمع الغربي وجعلها فوائين وقواعد لا تسير حياة المسلمين بها كما تصوروا ذلك ، ولا يستقيم لهم معاش بدون بحكيمها والرجوع اليها كما توهموا . ثم نيه سيادته بالقول بن المسلمين يستقبلون القرن الهجري الجديد ورحمهم لا تزال على ما كانت عليه بل واسوا ، فالعرب المسيحي - كما يقول الكاتب - يحكم في معاصرنا والشرق الشيوعي يقطع لواصرنا حتى لا تقوم لنا قائمة ، والعالم الاسلامي - رغم دواميل الوحده والتكاتف والتضامن التي يتوفر عليها - مشيت سمرق ، فهو دول وامصار ، وكيانات واقطار ، والقوى والقدرات والطاقت المبعدة ، ماديا وبشريا ومعنوية التي يخر بها ، بدل ان توجه الى محاربة المبدو الدخيل وتقليم اظافره وقطع دابرده ، تسخر لمحاربة الاشقاء والجيران والاسدقاء والخلان ، وبعض الحكام في العالم الاسلامي يفرضون على شعوبهم ايدبواوجباتهم ومذاهب وعقائد دخيلة تناقض الاسلام من اساسه ، وكل ذلك يضعف القوة الاسلامية ويوهن عراها ويجعل جهودها مبعثرة شتية لا تؤثر ولا تستطيع ان تؤثر في مواجهة المخاطر التي يديرها الاعداء والمنرصون .

ويصل فضيلة الاستاذ عبد الله كسرون الى المحور الذي تدور عليه فكرة المقالة ، وهو ضرورة رفض الشبهة بجميع اشكالها وصنوفها وضروبها ، ويدعو سيادته الى العمل على اعادة الخلافة الاسلامية التي كان القاؤها بداية انهيار وانحطاط والخلال القوة الاسلامية وتضعف مركزها ونقلها ، كما يبالغ بانشاء الولايات المتحدة الاسلامية ، وبهذا يمكن المسلمون من أداء رسالتهم وانهاد البشرية مما تتخبط فيه من ظلم وظلام ، ونعود الحضارة الشرقية الاسلامية سيرتها الاولى من المزوجة بين السروح والمادة والدين والعلم والدنيا والاخرة ، ويؤمن بفرح المؤمنون بنصر الله ، ويؤمن بعلو الحق ويزهق الباطل ، ويؤمن بحل السلام في الارض وتعم السعادة الناس .

والذي لا مرية فيه ان خلاص المسلمين مما ه فيه من شتات وتمزق ومعاناة شديدة ، ومعا هم فيه من ضياع وخبرة واصطدام لا يكمن الا في العودة الى

خلافة اسلامية حقة موحده ، تتولى شؤونهم وتوصيهم وترعى امورهم ومصالحهم وقضاياهم طبقا للشريعة ، وعلى رأسها كتاب الله وسنة رسوله الاكرم . وستظل الامة الاسلامية تتخبط في مشاكلها وتتردى في حياتها ، ما لم تتدارك هذه الحالة المزرية التي نعيشها . وهذا التناقض العميق الذي تعاني منه في شؤونها الاجتماعية والفكرية والنفسية . واعتقد ان هذا الهدف البعيد لا يمكن ان تصل اليه بالدعوة فقط بل لا بد وان تنهض له جهود المفكرين وادوانهم ووسائلهم في الانتاع . وهنا نذكر بموضوع الافتتاحية الذي خصه رئيس التحرير للحديث عن الفكر والصحوة . ولقد تبين أن الساسة ورجال الاقتصاد والعمال والاعمال ورجال العرب لا يملكون القدرة - اولا - ينطبعون استعمال هذه القدرة - لاحداث التغيير الشامل او حتى التغيير التدريجي نحو ذلك الهدف الكبير ، وهو توحيد الامة الاسلامية ، وبعي الامل معقودا على المفكرين المسلمين ، فهم الذين سينقلون استهم من هذا الطور المختلف الذي تضرب فيه اني طور نسوده القيم والمثل والضوابط التي جاء بها الاسلام . فما احوج الامة الاسلامية اذن في هذا الوقت بالذات الى قيادة فكرية اسلامية تعيد الطريق ، وتبهر السبيل ، وتضيء المعالم ، وتهدد للاجيال القادمة ان تتقبل فكرة الوحدة الاسلامية فتعمل لها ، قيادة فكرية في مستوى جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومحمد اقبال وغيرهم من المصلحين الرواد الذين غيروا مسيرة التاريخ في العصر الحديث ، وحدثوا ثورة فكرية اسلامية عميقة ، هذه الثورة التي نجني ثمارها ونطلق اكلمها . فالافكار التي دعا اليها ونادى بها هؤلاء الرواد قد تحفقت اليوم ووجدت الارض والعقول والاذهان والنفوس اكي تعمل على كشف المخيو وأبراز الضوء واظهار الحق . وسوف تظل كل الاماني التي تخالجننا والمطامح التي تراودنا وتلح علينا مجرد احلام ينقصها نبض الحياة ووهج الواقع حتى يخرج لنا من صلب الامة الاسلامية رجل قيادي في الفكر والعمل والممارسة الاسلامية ، هذا الرجل الذي سحول التاريخ ويغير مجراه ويطرح أمام الشعب الاسلامي تصورات اسلامية مستنيرة نقية ظاهرة . والتاريخ الاسلامي يعلمنا في كل عصوره وحقبه ومراحلده ان التحديات التي نعرضها على الاسلام القوي المعادية له ، تخرج منها دائما صعوة من الرجال الاصلاء الذين يخدمون

جديدة لآمتهم في سبيل استمروا عزة الاسلام
ومنتعته وقوته ومجده التاريخي وتالفه الاخلاقي
واشباعه الحضاري . وهذه هي عبقريّة الاسلام التي
لا ينضب لها معين في كل زمان ومكان وفي كل
ظرف واوان .

ونصحب الدكتور محمد عزيز الحبابي في رحله
ممتازة خلال احدى وعشرين صفحة . صحبة فكرية
لا يملها القارئ بل ويود لو سارت به اشواط اخرى
ابعد وابعد . فمقالة الحبابي المعنونة بـ « محمد
صلى الله عليه وسلم ملتزما » تطرح تساؤلات في
الشكل والمضمون . فالسؤال الحواري وما يتضمنه
من سؤال وجواب استخدمه الكاتب للوصول الى
فكرة معينة والى تشبيها في ذهن القارئ ، وهذا
الاسلوب يذكرنا بمحاولة افلاطون الا انه اقل منه
عمقا وجاذبية ونصاعة ، والجديد الذي جاء به الحبابي
هو انه جعل المحاور نصح الراي محمد صلى الله
عليه وسلم . وهي فكرة - مع طرافتها وجديتها - لا
تخلو من مزالق ومن عثرات . ويمكن ان نعتبر المقال
عماده جديدة في كتابة السيرة النبوية لا تعتمد على
السرور او الحكاية كما جرت العادة . وهو لون أدبي
جديد في معالجة وتناول سيرة الرسول عليه الصلاة
والسلام ، واذ لم تكن الاقلام التي تمارسه وأمينة
ومبصرة ومثقة ومسؤولة ، فقد يتعرض هذا
الاسلوب الى مخاطر قد تسيء الى الشخصية التي
يخاطب بها الحوار ، وهكذا قد تتحول الفكرة الى
نقل لا يستطيع ان يؤديه الا القلم المتمرس بالكتابة ،
الواعي بالموضوع ، المستوعب للفكرة ، المحيط
بالاعداد والخلفيات .

تطرق الدكتور الحبابي في حوار له اذن شدة
تقنيا أساسية في الاسلام ، وعرض موقفه منها
بإختصار شديد يستند الى القرآن واحاديث الرسول
ومن تلك القضايا ما يتصل بالحياة الشخصية
للرسول الاعظم ، ومنها ما يتصل بموضوعات اخرى
لها علاقة حميمة بالعصر الذي نعيش فيه ، مثل
قضايا المساواة ، والحرية ، والامانة ، والعقلانية ،
وسلوك المسلم في السلم والحرب ، وموقف الاسلام
والرسول من هذه القضايا . ولئن كانت الايات
القرآنية والاحاديث النبوية ومواقف السيرة هي

رأى مقسرة لجوانب من الاسلام وشارحة لها ، كما
لم يفته ايضا ان يقدم ، لا اقول شرحا جديدا لها .
بل رؤية جديدة لها تستقيم مع الرؤية الانسانية
الحداث والمعاصرة .

ويبدو لي ان الدكتور الحبابي - بسبب تحمسه
الروحي وعاطفته الدينية ، كانت الاجوبة هي التي
تبحث عن اسئلتها الملانة وليس العكس كما كان
ينبغي . ولا أستطيع ان اطالب الدكتور الحبابي بأكثر
مما صنته ، فطريقة الحوار والسؤال والجواب لا
تذهب بعيدا في التفسير والتأويل والتقويم ، الا انني
كنت اود من الدكتور ان يشرح بتوسع أكثر الافكار
التي خرج منها الرجل الانجليزي بعد ما غادر مجلس
الرسول ، فلا يكفي الحكم بقول هذا الرجل « لقد
ظفرت اليوم بأعظم اكتشاف في حياتي ، ان رسالة
هذا الرجل القديس يقصد الرسول صلى الله عليه
وسلم ، رسالة متناضلة ، وغنية بالعطاءات ، وصالحة
لان ثلهمنا وترشدنا في هذا العصر ، كما فعلت في
العصور السابقة » .

فهنأ ، كنت احب من الدكتور الحبابي ان يعقد
على لسان الرجل الانجليزي مقارئة بين رسالة
الاسلام في هذا العصر وفي العصور اسبقة ، وبين
الادوار التي قامت وتقوم بها اليهودية (مناهضة
الرسالة المحمدية ، واغتصاب فلسطين ، واحراق
المسجد الأقصى) ، والمسيحية (الحروب الطليبية ،
غزو العالم الاسلامي ، والمذاهب والايديولوجيات
الحديثة) محاربة الاسلام في دياره ، التشويش على
الفكر والحضارة الاسلاميين) ، وذلك حتى يتضح
للقارئ الفارق بين المعطيات العتية الحقيقية التي
ينطوي عليها الاسلام والتي يقدمها لحياة البشرية ،
وبين المعطيات المدمرة لتلك المذاهب والايديولوجيات
التي تخرب وجدان الانسان وتحطم انسانته وتعلاد
« بالسام والملل والقلق والضياغ الذي يشرب الى
كل مرافق الحياة المعاصرة » .

وعلى أي حال ، فاننا نعلق أملنا بالوعد الذي
نطعمه الدكتور على نفسه في نهاية الحوار بالعودة الى
الموضوع في مناسبة اخرى .

ونشغل بالقاريء الى موضوع قريب الصلة بالموضوع السابق ، وهو بحث الأستاذ محمد بن البشير عن « مدينة الرسول الفاضلة التي اسست على الحق والتشريع والتكافل » ، فتبين أن الرسول حينما شرع في تأسيس المجتمع الاسلامي الجديد المتكامل بعد الهجرة ، حدد صلوات الله وسلامه عليه أربعة اهداف اساسية قادت الى قيام مدينة الرسول الفاضلة ، وهذه العناصر هي :

ا - ارساء الدين الجديد كمقيدة شاملة .

ب - إبراز التشريع الاسلامي المتكامل وتفصيل اغراضه في العبادات والمعاملات .

ج - الحرص على التطبيق السالح في البيئة الاسلامية الجديدة .

د - تثبيت اخلاق الاسلام لتجعل محل اخلاق المعاملة .

وهذه العناصر الاربعة هي النوع الذي يستوعب فضائل الاسلام ، وهي الاهداف التي أرسى المجتمع الاسلامي الفاضل قواعده ودعائمه بفضلها وتفصيل حكمة الرسول الكريم في تطبيقها وتنفيذها .

ويربط الاساذ ابن البشير بين هذه الاهداف وبين مواقف الرسول الكريم في المجتمع الاسلامي الذي تأسس بعد الهجرة الى المدينة ، ولا يكتفي بإيضاحها وتبينها من خلال حياة الرسول ، بل ويتمقب ذلك الى حياة الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، مستهدا بآيات القرآن وأحاديث الرسول وأقوال عمر .

فالمقالة أدن تقدم التصور الاسلامي للمدينة الفاضلة كما اسسها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي « مدينة » وأجهت في مرحلة البناء ووضع القواعد والاسس الكثير من المشاكل والتعاقب والتحديات التي كانت كفيلة بالقضاء على أي مجتمع بشري آخر ما لم يكن قائما على ثبات المقيدة ورسوخ الايمان وصيانة حقوق الانسان ودعم التكافل والتعاون بين افراد المجتمع . وتظل المقالة بعد هذا وذاك ، صورة تبين بوضوح أن المجتمع الاسلامي في أي زمان ومكان ، خليق بأن يرقى الى ذروة التماسك اذا طيف فيه - تطبيقا صالحا وسليما - التعاليم .

التي جاء بها الاسلام . وتوضح ايضا أن المجتمع الاسلامي اذا تبنى تلك التعاليم في فكرة وسلوكه وممارساته ، لا يمكن أن يتعرض لأي تناقض أو اختلال أو اهتزاز اذا تمسك - تمسكا مرنا خاليا من التعصب والتقليد الفارغ - بالقرآن والسنة .

ولتقتي بدراسة الاديب يوسف الشاروني التي يتناول فيها رواية الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي « الطوفان الازرق » ، ويقارن بينها وبين قصص الخيال العلمي الذي يعتبر فصحا جديدا في أدبنا العربي ، ولم يطرقه حتى الآن الا نفر قليل من كتاب العرب مع شيء غير قليل من الخجل والاستحياء ، وربما يعود ذلك الى ندرة المادة العلمية التي تسعف هؤلاء الكتاب على طريق هذا اللون من القصص ، او الى نفور القاريء العربي الذي حاصره - منه ظهور الرواية العربية - سيل جارف من الروايات التي تعالج المواضيع الاجتماعية وعلاقات الرجال والنساء والاحداث السسية الكبرى .

ولا أريد أن أعقبه على دراسة يوسف الشاروني ، ولكنني أريد أن أنبه الى حقيقة ناصعة عميقة لعسل بعض اذهان الكتاب والنقاد المغاربة لم تشغل اليها ان لم أقل لم تستطع حتى الآن ان تداسسها وتبصل بها ، وهي ان الاساذ أحمد عبد السلام البقالي رائد كبير من رواد ادبنا المغربي الحديث ، شارك فيه بالقصة القصيرة والقصيدة والمقالة والرواية . وحياته الادبية التي بناها منذ أربعين سنة بشكل نموذجي حيا للأصالة والابداع والمثابرة والالتحام بالكلمة الصادقة الفنانة ، وله ما يزيد عن عشرة أعمال أدبية تنوزع بين الشعر والقصة القصيرة والرواية والمقالة والمسرحية ، علاوة على بعض الأعمال الاذاعية ، وكل هذه الأعمال تشهد - فضلا عن خصوصية الموضوع وبراء الفكر - على أصالة الاسلوب ووضوح العبارة وجدة الفكرة وطرافتها ، ورغم ذلك كله ، فإن هذا الاديب الرائد الذي خدم الادب المغربي الحديث ولا يزال بخدمة بدون ضجيج واضواء ، لم يشجع أحمد النقاد المغاربة نفسه عناء قراءته وفيهمه وتقديمه لجمهور القراء ، ولا استطاع أن التمس لاحد من نقادنا العذر في هذا الموقف الذي يتناقض مع الروح الادبية والرؤية النقدية السليمة . واعتقد أن ما يبرر هذا الموقف المرفوض هو ان أحمد عبد السلام البقالي ادب « لا منتمى » ، مخلص للادب وحده ، ولا

بلائس قشرة المجاملة والصداقة الاخوانية الخاصة التي تعشش في حياتنا النقدية التي يبدو أنها لا تنظر الى الامور نظرة يحكمها الادب الحق ويحكمها النقد الخالص .

وأرجو ان تكون هذه الملاحظة العابرة حافزاً للادباء ونقادنا على الاهتمام والالتفات الى هذا الاديب الكبير وإلى أعماله الادبية الرائدة التي اثرت الادب المغربي الحديث وأغنته من كل وجوهه . ولا يزال حقل الاديب احمد عبد السلام البقالي يندر - الموسم بعد الآخر - ضلال شبيهة وقطوف ذاتية ، تنتظر من يمتصها ويتعمقها ويكتب عنها . وهذا هو قلم من الشرق يكتب بروح نقدية مثبغة عن رواية البقالي « الطوفان الأزرق » ويقارنها برواية علمية اخرى كتبها الكاتب المصري نهاد شريف ، هي رواية « سكان العالم الثاني » .

وتظل بعد ذلك خمس مقالات تتناول موضوعاً واحداً ولكن من زوايا مختلفة ، فالاستاذ محمد القاسبي يتحدث عن « فلسفة سياسة الملوك العلويين » ، والاستاذ محمد الخطيب يكتب عن « ذكرى عيد العرش : تأكيد للاتصال والتحديث » ، والاستاذ محمد العربي الزكاري يكتب عن « أمي دنا متعاقبة » ، وملاحظتنا متلاحقة « والدكتور يوسف الكتاني يكتب عن : « الحصن الثاني : رائد البحث الإسلامي » ، والاستاذ احمد يكن يكتب عن : « مآثر جلالة الملك الحسن الثاني في نشر الفكر الإسلامي وأجاء تراثه الخالد » . هي اذن خمسة مواضيع اختار كتبها أن يطفروا جانباً معيناً من جوانب النهضة الفكرية والثقافية والروحية في عهد جلالة الملك الحسن الثاني ، وقد وفي كل كاتب الموضوع حقّه من الدقة والاستيعاب والإحاطة ، وجمع له عناصره الاساسية ، وحلل بايجاز واختصار - لا يخلوان من بسط - تلك الجوانب الفنية التي تعد ملامح دالة على التأثير الحسني الواسع المتألق في حياة ومسيرة المغرب الحديث . وهي مقالات تستعصم على التلخيص لان كل موضوع تترابط فيه اجزائه وعناصره ، وتتكامل فيه مقلّماته ونتائجها .

وفي العدد أيضاً ، ترجمتان ، احداهما لشخصية مناضلة بالسيف ، وهي شخصية المجاهد المغربي المشهور بن ابي عامر ، كتب ترجمتها الدقيقة الوافية

المدعومة بالمراجع والمصادر الاستاذ المحقق والباحث الكبير سعيد اعراب ، والاخرى لشخصية مناضلة بالقلم ، وهي شخصية الاستاذ العلامة الجليل عبد الله كنون ، كتب ترجمتها الاستاذ مصطفى الشليخ . ودين استاذنا عبد الله كنون علينا كبير يكون عبثاً نقيلاً نرجو الظروف ان تساعدنا على ايقائه حتى نرضي الله والضمير . وهذه الترجمة - في حلقها الثالثة - تعكس هذه الرغبة لتحقيق المطلوب . وقد خصصها صاحبها للحديث عن عبد الله كنون شاعراً من خلال ديوانه « لوحات شعرية » ، ودرس من خلال مستويين هما مستوى البنية السطحية ومستوى البنية العميقة كما قال ، والنق انتي لم افهم ما المقصود بالبنية السطحية والبنية العميقة ، ولعله اراد بهما الموضوع والشكل .

وما دمتنا في منطقة الادب ، فلا ننسى دراسة الاستاذ زين العابدين الكتاني من « ادب المغرب الصحراوي » ، وهي بحث جديد في الموضوع . وقبلنا تطرق اليها بتفصيل واحكام من ادبائنا المعاصرين الا قلت ، حتي جاء الاستاذ زين العابدين الكتاني فجمع لموضوعه مادة غزيرة غنية ، قرأها ودرسها وربط بينها وبين الحياة الوطنية والفكرية والسياسية والاجتماعية للشاعر في بيئته الصحراوية . وكتبت مرات لنفس الكاتب سواء في « دعوة الحق » او في غيرها من المجلات - مقالات وابحاثاً مماثلة ، فليست الوقت والجهد يسمحان له بجمع تلك الدراسات بين دفعتي كتاب يرجع اليه القارئ والباحث والمؤرخ والدارس .

ولا احب ان اغادر هذا المجال من القول الذي اتاحه لي مشكوراً رئيس التحرير ، دون ان اكتب عليه عتباً رقيقاً أرجو ان يتقبله صدره الرحب ، وهو أنني قرأت العدد كأنني أرقى جبلاً صعبت مسالكه وتعقدت مسالكه دون ان اصادف بين منجبتته ومنعطفاته ما يريحني من وعاء الصدود والهبوط ، ولا اقصد بذلك أن اساليب الكتاب معقدة متشابكة ، معاذ الله ، فالافلام التي كتبت في موضوعاتها تناولت أفكارها بسهولة وسلاسة وليونة ورقق ، لا ترمي أساليبها الى التعمية أو الغموض ، ولا تنقعز فيها اللغة حتي يختفي القصد وراء سدول سراخبة من الإبهام ، ولكنني اقصد الى أن مادة العدد خالية من شعر - الا قصيدة الاستاذ وجيه فهدى صلاح - استغل به

واحتمى بدفته من حرارة الدرس بما ينطوي عليه من فكر ورأي وموقف يستلزم التأمل والتدبر ، كما تخلو من قصة قصيرة استروح فيها لثائم الانفعال والحس الرقيق والشعور المرهف .

وبعد ، فلعلني أثقلت على القارئ وضيقت عليه من الوقت حتى كاد ييرحني إلى مجال آخر ، ولعلني أيضا سرقت من رئيس التحرير مجالا كان في حاجة إليه يفسحه لمادة أصح وأفضل وأجدي ، ولهذا وذاك ، أقدم المعذرة والنفس العفو .

ردود

✽ توملت (دعوة الحق) برسالة مفتوحة وجهها المشاعر الأستاذ محمد محمد العلي إلى الأستاذ عبد القادر العافية الذي كتب باب (قرأت العدد الماضي) المنشور فيما يتعلق بالرد . نحيي لاندسنا أن ننشر رسالة الأستاذ العلي كما وردت عنيشا :

حجة طيبة ، مع موفور المودة والتقدير والاحترام .

وبعد فقد قرأت في العدد 2 السنة 22 من مجلة « دعوة الحق » الغراء ، الصفحات من 79 إلى 86 ، مقالاً دمجته براعتكم

المقالة « تحت عنوان : (قرأت العدد الماضي) » وقد ذكرتم كل كاتب أو شاعر في ذلك العدد باسمه ، وعنوان مقالتهم أو قصيدته ، مع بعض التحليل ووجهة نظرهم بالمقاسية .

إلا انكم - سامحكم الله - عندما تحدثتم عن قصيدتي التي يحمل عنوان (موعد مع التاريخ) ، لم تكتبوا هذا العنوان ، ولا اسمي ، وإنما تحدثتم عن إنتاج وشخص مبهم ، وقتلتم بالحرف الواحد في الصحيفة 85 من نفس العدد المذكور :

« تم تلقي مع شاعر شهير ، له في ميدان التريخ جولات ، وهو كثير ما ينظم الملاحم الطوال ، بنفس طويل . »

وجاءت ملحمة هذه المرة تحتال بأشراق ديباجتها ، وجمال أسلوبها .. واستوفيت الملحمة ميدان القول في الدكسري ، فكانت بليغة التعبير ، لامة التفسمات » .

هذه شهادة تقدير وامعجاب من قلب كبير نبيل ، ولوق مرهف ، وحساسية عميقة . ولكن كان من الاالي انيات عنوان القصيدة واسم الشاعر الذي جادت بها فريخته من باب احتلاق الحق ، فما دون ذلك اجحاف يتباه المنطق الليم . ولست أدري هل ذلك النسيان كان عن قصد ؟ أو هو مجرد سهو غوي أملت ظروف أنتم أعرف بها من سواكم ؟ المهم بل الأهم هو التشجيع بروح الانصاف والشجاعة الادبية المثالية . فعين الشمس لا تغفل بالفريال ، ولا ينقص من صوتها شيئا ، من يتجاهل اشراقها ولعماتها . فمتى تقبض الاقمار والنجوم أنوارها ؟ على كل حال . وحيد الله العظيم الذي يقول : « فاما الزيد فيذهب جفاء » واما ما ينفع الناس فيهلك في الارض » . فاعطوا ما لله لله ، وما يقصر ليقصر ! ومقاسية عيد العرش المجيد ادعى الى الحق والصدق !

والبقار للاسلاح ولا تؤاخذوني على هذا العتاب ، لان السود يبقى ما نفس العتاب .

((جائزة المغرب)) لسنة 1981

استمتع جائزة المغرب لسنة 1981 في نهاية هذه السنة الحالية .

وبناء على هذا ، فإن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية تنهي الى علم الراغبين في المشاركة ان يوجهوا الكتب التي يودون ترشيحها لهذه المسابقة قبل يوم الخميس 15 أكتوبر 1981 .

وعلى من يريد الاطلاع على الشروط المطلوبة قانونيا ان يعود الى القرار الوزاري الصادر في الجريدة الرسمية عدد : 3230 رقم : 15474 بتاريخ 17 شعبان 1394 هـ الموافق 5 سبتمبر 1974 ، أو ان يتصل بمصلحة المكتبات والنشر والتوزيع التابعة لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية .

عبقرية اليوسي

شعريات دعوة الحق

●● لا يزال الدكتور عباس الجراري يواصل، في ناب وصمود، أتراب المكتبة المغربية على نحو يعز نظيره بين انداده وزملائه في الجامعة . فهو يصدر في السنة الواحدة كتابا أو كتابين ، وينشر باستمرار في المجلات المغربية والشرقية ابحاثا جديدة ويناقش ويشرف على مدار العام على رسائل جامعية تدور حول موضوع تخصصه أو تتصل بالقضايا الفكرية والادبية عموما . وهو في كل هذه النشاطات العلمية والجامعية مثال الاستاذ المخلص لرسائله التعليمية ، وصورة مشرفة للباحث الجاد الذي لا تصرفه مشاغل الحياة عن العلم والأطفال في ميادينه والإنتاج في مجالاته والبروز والتفوق في ساحاته . وهو بهذا الاعتبار نموذج لرجل العلم الذي يخلص للفكر والثقافة إخلاصه لدينه وعقيدته ، ويعطي للجامعة ما هي اهل له من فداية وحرمة وقيمة واعتبار .

بيد أن الجانب الألف للنظر في الحياة العلمية عند الدكتور الجراري ، ليس هذا الاصرار على اثبات الذات بالحق والقياس ، وبالعقل والأنصاف فحسب ، وإنما هو هذا التحول الفكري الذي حدث في خط سير الباحث الشاب دون أن يشير ضجة ، بل من غير أن يلفت النظر ، اللهم إلا عند المتتبعين لدقائق وخفايا الحياة الثقافية في بلادنا .

وإن كتاب (الثقافة في معركة التغيير) الذي أصدره الدكتور عباس الجراري سنة 1972 عن دار النشر المغربية بالدار البيضاء يعطي لنا صورة تختلف تمام الاختلاف عما نعهده اليوم في الكتاب الذي نحن بصده اليوم . ولعل اختياره لمقولة كارل ماركس الشهيرة : (أن الفلاسفة لم يفعلوا شيئا غير وصف العالم وتفسيره من زوايا مختلفة ، والمطلوب هو تغيير العالم) مقدمة وتهييدا واستهلالا لهذا الكتاب تكفي للدلالة على الطابع الفكري الذي كان يحكم الاتجاه الثقافي عند الدكتور عباس الجراري .

ولئن كانت هذه ظاهرة بارزة في حياة كاتبنا ، فإنها لا تقتصر عليه فقط ، وإنما هي تكاد تكون غاسما مشتركا بين فئة غير قليلة من كتاب الضاد ومفكري الاسلام في العصر الحديث ابتداء من الدكتور محمد حسين هيكل صاحب (حياة محمد) ومرورا بالعقاد وطه حسين ، وانتهاء باعلام جيلنا

بقتلهم: عبد القادر الأدرسي

الحاضر من أمثال خالد محمد خالد والدكتور مصطفى محمود ومحمد جلال كشك وفنري قلنجي ورهط كبير من الكتاب والصحافيين والمفكرين الذين بدأوا نشاطهم الفكري معبئين بأفكار مناهضة لقيم هذه الأمة ثم ما لبثوا أن نبذوها ظهريا وعدلوا عنها ورفضوها رفضا ، بعضهم أعلن عنه بشجاعة محدودة بينما آثر البعض الآخر التجاوز عن هذه المرحلة في صمت أو فيما يشبه الصمت .

ولست غافلا عن الفرق الجوهرية بين كاتبنا الدكتور عباس الجراري وبين الفئة الأخرى التي ذكرت أسماء بعضها . ذلك أن عباسا يختلف عن هؤلاء في أمر ذي بال ، وهو أنه لم يجهر بميوله الفكرية الأولى ، اللهم إلا ما كان من اختياره لكلمة ماركس الأنفة الذكر مدخلا لحد كتيبه . ومما سوى ذلك ، فليس هو إلا أجتهدا وتجديدا في أساليب البحث والكتابة وانحيازاً لاتجاه أدبي لا ينكر أحد طغيانه وشيوعه في الساحة الثقافية العربية الإسلامية طوال عقدي الخمسينات والستينات .

وهكذا ، وكما هو متوقع دائما من كتابنا الاصلاح المرتبطين بجذور الفكر الإسلامي بأكثر من صلة عاد الدكتور عباس الجراري إلى التنبيع الثرة لفكر أمته وبرز في هذا الميدان وتالق ، فالف ونشر أبحاثا ودراسات لعل أهمها في تقديري الخاص كتاب (الفكر الإسلامي والاختيار الصعب) الذي يبدو فيه مفكرا إسلاميا قوي الحجة وجهر الصوت ، شجاع الرأي وأسع الاطلاع ، عميق النظر إلى واقع الأمة الإسلامية .

وإذا كان هذا الكتاب - مثل الكتب الجادة التي تصدر في المغرب بين النحس والآخر - لم يخلف الصدى الواسع في الأوساط الثقافية ، فليس مرد ذلك إلى كساد بضاعة مؤلفه أو إلى ضآلة علمه ، حاشا لله ، وإنما السبب في هذا السكوت عن كتاب قيم ونفيس وجريء يعود في المقام الأول إلى ما يطبع حياتنا الثقافية عموما من روح التيمية للعكر الأجنبى والنظر إلى الإنتاج المحلي نظرة ملؤها الحساسيات والخراصات والاحكام المسبقة التي تتجاوز المضمون إلى الشكل والفكر إلى صاحبه . وهذا هو الجانب البائد من مأساة النقد والمتابعة والرصد في صحافتنا الأدبية ومثابرتنا الفكرية على وجه الإطلاق .

وليس يجدي الدخول في شعرجات ومنعطفات ملتوية ليس هذا أوانها ، وإنما الذي يعنيني بالدرجة الأولى صدق الدكتور عباس الجراري مع نفسه أولا ومع جمهوره وطلبته ، وقبل هذا وذاك مع ربه الذي وهبه عقلا نيرا وفهما واسعا وعلميا يزكيه عمله وتقاتيه في كل يوم وليلة .

واني لالتمس هذا الصدق في أوضح صورة في هذا الكتاب القيم النفيس الذي أصدره الدكتور عباس الجراري عن (عبقرية اليوسي) رضي الله عنه .

وهناك قضية أساسية تستوقف النظر بادىء ذي بدء ، وهي أن اختيار (اليوسي) موضعاً للتأمل وموضوعاً للدرس ومادة للكتابة ، يعتبر في حد ذاته نزوعاً نحو الاصاله الفكرية كما لا احتاج أن أقول . ذلك أن اليوسي ، أولا وقبل كل شيء ، رجل مسلم شديد التمسك بأسلامه ، وعالم عامل ، ومجاهد صادق في جهاده بالقلم واللسان وداعية إلى الله بالعلم لا بالخرافة والشعوذة والدروشة والهديان . وهذه صفات تجعل صاحبها في نظر (نقاد الادب والفكر) واساتذة الاجيال في المغرب والوطن العربي والإسلامي - مع الأسف - محط اتهام بالرجعية والتزمت والانهازمية وما إلى هذه النعوت التي نصيح ونسي عليها فيما نقرأ من كتابات هنا وهناك .

الاختيار في حد ذاته ، إذن ، شجاعة وموقف وصمود وإعلان صريح العبارة عن الهوية الفكرية . وإذا أضفنا إلى ذلك كله المنهج العلمي الصارم الذي اعتمده الدكتور الجراري في دراسته المستوعبة لفكر وحياة وآثار اليوسي ، نجد انفسنا امام باحث لا تطفئ عليه عاطفته ، ولا تستولي على فكره مشاعره تجاه الشخص الذي يدرسه ، وإنما هو يسلك مسلك الذي يتقن أساليب البحث العلمي ويجيد استخدامها ولا يقصر أبداً في اللجوء إليها واعتمادها أساساً للمعالجة والتناول .

والدكتور الجراري في (عبقرية اليوسي) إنما هو باحث في (عبقرية المغرب) ، باعتبار أن اليوسي مثال فذ للنبوغ المغربي في مختلف حقول العلم . ولذلك جاءت الدراسة معيرة أصدق تعبير عن الاصاله المغربية المؤمنة بالإسلام ديناً وباللغة العربية لساناً وبحضارة وتراث هذه الأمة نبزاساً .

بل ما أخرى امتنا اليوم الى الاقتباس من حياة اليوسي ، وبالاخص العلماء والدعاة والمفكرون وكل متصدر للحياة الفكرية . فلقد كان الرجل قدوة وسيقى قدوة لكل ذي عقل يعي رسالته ويسدرك مسؤوليته .

وجزى الله الدكتور الجرازي عنا خيرا ، فقد وضعنا في الصورة الحقيقية لرجل كانت اهم صفاته بعد الايمان انه (مغربي) . واكرم بها من صفة يحق لنا اليوم ان نفتخر بها ونفرض عليها بالنواجذ ❸

من مكة المكرمة

❶ ❷ هدية كريمة وافاني بها بريدي من مكة المكرمة اعترت بها وسمعت . وهي من عالم رائد وشيخ جليل وامام من ائمة الصحافة الاسلامية بدون منازع ، الأستاذ الكبير محمد سعيد العامودي . لقد اهداني مشكورا كتابه الجديد (من حديث الكتاب) الذي اصدره (نادي الطائف الادبي) . والكتاب جولة ادبية متممة في بطون نحو ثلاثين كتابا من انفس ما اصدرته المطبعة العربية خلال نصف القرن الماضي في مختلف فروع العلم والادب والشعر والاجتماع والحكم والسياسة والتنمية والاقتصاد . اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر (بطل الابطال) للأستاذ عبد الرحمن فزام رحمه الله ، و (الفاروق القائد) للواء الركن محمود شيت خطاب ، و (الخليفة الزاهد : عمر بن عبد العزيز) للأستاذ عبد العزيز سيد الامل رحمه الله و (رجال من التاريخ) للشيخ علي الطنطاوي و (لا شيوعية ولا استعمار) لعباس محمود العقاد رحمه الله ، و (الاستعمار أحقاد واطع) للشيخ محمد الفزالي ، و (نحن والقرآن) لمحمد عبد الله السمان ، و (وهي المستقبل) لقنبري حافظ طوقان ... الخ .

والكتاب بنفسه الاسلامي واسلوبه السلس المتع وامتداد افق كتابه يقدم لك مكتبة اسلامية عربية زاخرة بالنفائس عامرة بامهات الكتب التي قامت عليها نهضتنا . والمؤلف ياخذك معه في رحلة عقلية لا تزداد في كل شوط فيها الا رغبة واثباتا على القراءة وتطلعا الى الرجوع للاصل لتروي ظمأك من

هذا من حيث النظرة الاجمالية الى كتاب (عبقرية اليوسي) التي تتخطى التفاصيل ومحطات الوقوف الى المجهل والمعنى العام والمضمون الاساسي . اما اذا شئنا التعريف بالكتاب بالمعنى المتداول للتعريف بالكتب ، فلنا ان نقول ان المؤلف قسم عمله هذا الى قسمين اثنين : القسم الاول عن (اليوسي رائد عصره ومجدده) ويشتمل على مقدمة وثلاثة فصول تعقبها خاتمة . والقسم الثاني يتناول (بيوبلوغرافيا اليوسي او سيرته البيوبوغرافية) .

وهكذا يدرس المؤلف شخصية الامام اليوسي كنمط متميز من الثقافة والشخصية ، ويتناوله ايضا من جانب الامتياح من الذات والانصهار في المجتمع ويحدد موافقه الجريئة ويستعرض آراءه الصريحة ، كل ذلك في افاضة وتوسع واحاطة دقيقة بالموضوع مما يعطي للكتاب تلك الصفة العلمية الجامعة التي تكاد نفتقدتها فيما ينشره كتابنا ومؤلفونا من كتب ومؤلفات .

ولعل القسم الثاني اهم بكثير من القسم الاول ، فقد درس فيه المؤلف انتاج اليوسي من كتب وتقايد واشعار ومنظومات ورسائل وفتاوي ، واحصى المصادر التي ترجمت لليوسي بكيفية دقيقة شملت ما نشر في المجلات والصحف وما صدر من كتب في المغرب والمشرق . وهو جهد علمي شاق لا يعرف قيمته الا من يتعاطى هذا الضرب من التخصص .

والخلاصة العامة للكتاب اجملها المؤلف - في براعة ودقة - في كلمة الهداء التي جاء فيها :

- (— الى كل مثقف يعي رسالته .
- (— وإلى كل حاكم يقدر مسؤوليته) .

والحق ان امامنا اليوسي قدوة للمثقفين والحكام سواء بسواء . وهنا يكمن نبوغه .

وما احزانا في هذه الفترة الحرجة من تاريخنا الحديث ان نقف طويلا عند حياة هذا العالم المغربي الذي صدى بالحق وجهر به واثبت للعالم ان المغرب بلد الخير والصلاح ، وان الاسلام في هذه الارض عقيدة ودولة وفتح حياة .

وهو كاتب وشاعر ملك زمام الصناعات ، فله بجانب نثره وكتابه ذات المعاني الفصاح والسحر الطلل شعر يديع رائع لا يجاريه فيه إلا شاعر مطلق ، وقصيدته في (السياسة) مشهورة معروفة تدور على الأسن ويرددها الشادي والميرز والطالع والطليح ، وكانت من محفوظاتها في فترة من الزمان وقصيدته (الزمن والانسان) كانت إحدى القصائد الثلاث التي فُتت في مسابقة أجرتها مجلة الهلال سنة 1933 ، كما له رباعيات مهيأة للنشر ، وكتابه « من حديث الكتب » الذي تقدمه إليك أيها القارئ الفكري كتاب مانع فيه فمين بأن يقرأه الأديب والعالم والمؤرخ ، لأنه كتاب جمع بين دفتيه كل ما يقني هؤلاء من قراءة ما يميلون إليه من الكتب ، ومعرض جامع للاصطلاح والاستعمارة والتأمل والآراء والملاحظات ، كتاب لا يمله النظر ولا تقتحمه العين .

وجودنا العلمي في تونس

❶ ❷ الباحث التونسي الأستاذ مصطفى بوهلال انقطع خلال الفترة الأخيرة لدراسة موضوع من الأهمية بمكان ، وهو التعاون المغربي التونسي في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر . وقد وصلتني منه رسالة في هذا المعنى أشرف فقرة منها تهم الباحثين :

« .. هذا ومدد مدة وانا أتعب في المصادر لاعداد بحث من التعاون المغربي التونسي في الثلث الأخير من القرن 18 ، والثالث الأول من القرن 19 ، في المجال السياسي والعلمي ، وهو يدور حول مراسلات وسفارات من طرف بايات تونس الى سلاطين الدولة العلوية وحول دور هؤلاء (الكتابية) ، وحول تقديم علماء مغاربة استقروا بتونس للتدريس - في هاته الفترة - كالشيخ محمد القاضي (ت 1817) أو علماء تونسيين طلبوا بالقرويين في فاس وأخذوا عن الولي الصالح أحمد النجاني وعن العالم المؤلف النابودي ابن سودة - شارح العاصية - ثم عادوا لتونس لنشر الطريقة النجانية وليث شرح النابودي الذي أصره علماء الزيتونة كتابا مدرسيا مهما يعتمد في المدارس للطلالبت الزيتونيين ... »

تكرم الأحياء

❸ ❹ طرح الأستاذ محمد القاضي في رسالة له الى دعوة الحق (فكرة أوها شخصيا جديرة بالتنفيذ لقيمتها ووجاهتها ، ويتعلق الامر بتكريم الاستساذ العلامة المجتهد الكبير السيد عبد الله كنون باصدار عدد ممتاز من هذه المجلة يكون سجيلا لأعماله ومساهماته في الفكر المغربي الحديث . تقول رسالة الأستاذ القاضي :

المصدر - ولا عجب ، فالمؤلف فحل من فحول العربية في العصر الراهن وأن كان ليس لاسمه رنين الاسماء الزائفة التي تملأ دنيانا اليوم ، وقليل من قراء المغرب من يعرف محمد سعيد العامودي . ويكفي أن يقال في حقه أن من الرواد الأوائل الذين اشتغلوا بالصحافة الإسلامية . فقد قضى ربع قرن رئيسا لتحرير مجلة (الحج) التي أصبحت تحبل اسم (التضامن الإسلامي) وتصدر من مكة المكرمة ، ثم عمل رئيسا لتحرير مجلة (رابطة العالم الإسلامي) ، واشترك مع أبناء جيله في اصدار صحف ومجلات رائعة .

الذكراني زوت الشيخ محمد سعيد العامودي رفقة الزميل محمد الأخضر الرسوني ببيته العامر بمكة المكرمة في موسم حج عام 1398 . ودار الحديث بيننا حول المغرب ودوره في الإشعاع الإسلامي . وقد أبدى الكاتب الكبير إعجابه البالغ بعدد من رجالات المغرب واعلام الفكر والصحافة ، ولم تسعني الدنيا يومها من الفرح والأغتيال ، وأحسست بالزهو من انتمائي الى هذا البلد الذي رغم كيد الكائدين لم يتصر يوما في الدفاع عن الاسلام ونصرة قضائاه .

والشيخ العامودي في كتابه الجديد يحمل قلما مجاهدا ، ويوجه الراي العام الى حقائق هذا الدين وعظمة هذه الأمة من خلال قراءته الطويلة لعهد من الكتب القيمة بأقلام رجال أفذاذ منهم من لقي ربسه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

يقدم الأستاذ علي حسن العبادي رئيس (نادي الطائف الأدبي) الكتاب فيقول :

« الأستاذ الأديب الكبير محمد سعيد العامودي من أبنائنا الرواد وهو من مواليد مكة المكرمة ووالده هو الشيخ عبد الرحمن العامودي من تجارنا المعروفين ، فرضي صحيح النسب ؛ ينتسب الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبيت العامودي في الجزيرة العربية بيت علم وفضل وحسب .. »

والاستاذ العامودي من شاركوا في تكوين نهضة الأدب العمودي ووضعوا أساسه المثلث وثبتوا أركانه ، وعلى يده وبفض من زملائه الرواد قامت نهضة أدبية صادقة مباركة وشع من وطننا مهبط الوحي ومركز النصيحة والبيان والأعراب أدب حي ، أعاد إلينا مجدنا النالك وتلويننا الخالد .

إلى كتاب "دعوة الحق"

تعد مجلة "دعوة الحق"
من الآن لإصدار عدد
ممتاز عن

القدس الشريف

و"دعوة الحق" تهيب بالكتاب
والدارسين إلى المساهمة
في هذا العدد الذي
ننطلق إلى أن يكون سجلاً
حافلاً بمواقف المغرب
من قضية القدس وعرضاً
لمختلف المراحل التاريخية
المتصلة بالديانة المقدسة.

إعثوا بانتاجكم في وقت
قريب

يصدر العدد في شهر غشت بمناسبة
يوم التضامن الأسلامي

"لا يخفى عليكم المكانة المتميزة التي يحلها استادنا الكبير
عبد الله كنون" ، فلهذه عزيز وانتاجه خصيب في حقل الدراسات
الادبية والاسلامية ، حقق دلائل الثراء الفكري المغربي ، وانجز
دراسات تسم بالتجدي والبلغة ما دفعه إلى مصاف اعلام الفكر
العربي المعاصر ، وجعله موضع تقدير رجال الفكر والادب في
الشرق والغرب على السواء . وقد يطول بنا الحديث لو احصينا
ما قام به من مجهود جبار في البناء العلمي والثقافي لبلادنا
وتلالم الاسلامي .

ولهذا افترح عليكم بحكم عظيمكم الصحفي رئيس تحرير مجلة
"دعوة الحق" ان تبثي هذه المجلة اصدار عدد خاص بالاستاذ
العلامة عبد الله كنون يشارك فيه الادباء والكتاب المغاربة (نثرا
وتفعلا) ، ويكون بمثابة هدية يقدمها الادباء المقاربة للاستاذ
الجليل اعترافاً منهم بمكانته ومجهوداته ، لينعم بها وهو ما زال
على قيد الحياة ، كما فعل علامة الدكتور طه حسين في مصر
حيناً قاموا باهداء كتاب شارك في انجازه كثير من الادباء وكان
بمناسبة عيد من اعياد ميلاده على ما اعتقد ، واذا كان عمر الانسان
نغاس بالفعل الذي يقدمه لغيره فان الاستاذ عبد الله كنون قدم
من الاموال الكثير ، انه دين في عنتنا جميعاً نحن طلاب العلم
والمعرفة فارجو ان تحظى هذه الدعوة من طرفكم بنوع من العناية
والتقدير ، وتكون بهذا قد كرمنا عالماً وأديباً من احسن ما
انجبت هذه الارض الطيبة ، نغاس في خدمة وطنه وابنته .

ارجو ان اعرف رأيكم في هذا الموضوع حتى يمكن من انجاز
ما استطيع لاكون من المشاركين في هذا العدد المقترح .

و (دعوة الحق) لا يسمها الا ان تطرح هذا
الاقتراح الوجيه للدرس والتأمل ، آمله ان تتلقى من
البلادة الباحثين والراغبين في المشاركة في هذا
العدد المقترح ما يشكل ملفاً صالحاً للنشر ان شاء
الله .



المغرب :

✳ بعد (لوحات شعرية) لديوان الأول للاستاذ عبد الله كنون صدر مؤخرًا الديوان الثاني للشاعر بعنوان (انقاعات الميعوم) - ويقع في 128 صفحة من النسخ الصغير ويشتمل 41 قصيدة مع لثلاثيا للاطفال ومقدمة وآراء الكتاب والادباء في شعر الاسماء كنون .

والديوان مرجع مهم لطبيعة الاستاذ عبد الله كنون في التزامه الصادق بالقيم والقيمات الأساسية لهذه الامة ووفائه المخلص للتقيد بالامية - وهو على جانب كبير من اللامعة والجرأة والرفعة - هذا الى جانب الثقافية والتعليق في ذات الفكر والتمسود - والبروح الغالبة على لديوان هو الوطنية لمؤلفه والتمسك بالامعاد والدعوة الى التوحيد والوفاء لعلام الامة في الادي والتفكر والثقافة والكناج السياسي .

وعكفا نقرا في انقاعات الميعوم (قصائد ونصائح عن الطهر التربوي) - ورفاء شوقي - ورفاء الاشواق عبد الخالق الطريس - ورفاء الزعيم ملال الماسي - بالاقافة الى تصائد وجدانية شديدة التأثير في نفس القاري - وتاملات في الكون والنفس والحياة .

والاستاذ كنون في ديوانه الثاني شاعر ملتزم بالعمق الحضاري غير المبتذل للانتماء في نور يجمع بين مهارة الصنعة وحلق الفن وجودة الاداء الى روعة المعنى وجمال الصورة وجلال الضمور - وبذلك يكون

شعر كنون من العف الذي انتقدناه كثيرا بحكم طغيان نماذج هابلية من الادب الرخيص الذي لا يست الى التراث الشعري لهذه الامة بأدنى ملة (لهم الا الكفاة بالحروف العربية .

✳ من مطبوعات كلية الادب والعلوم الانسانية بالرباط صدر للاستاذ العلامة الباحث محمد المتولي كتاب جديد بعنوان (وراثت من الحضرة المغربية في عصر بني مرين) ويتضمن الكتاب مجموعة من الابحاث والدراسات المغربية المعينة من شروا في الحلال المغربية مثل : دعوة الحرف (والبحث العلمي) و المادني .

والكتاب رواية حارة وسيرة مدونة التطور الحضارية والفكرية للحياة في عهد الدولة المغربية - نماز هذه الحبيوت بسا عهد في المؤلف من مقدرة على التحليل وتمكن من الصادة موضوع الادي وقوم في افوار التاريخ .

والمؤلف حجة في مثل عدة المصنوعات - وللمؤلف جاء كتابه مستوفيا لشروط الكتابة التاريخية الجادة والهادفة .

✳ احبائه لغرسه : بلعها نهائيا حسب افادات معاصرة : - كتاب جديد وفي احده الدكتور عبد الهادي الناري مدير المعهد الجامعي لبحث العلمي - الكتاب يكشف البشار من حقائق جديدة لم تكن متداولة عن البدايات الاولى لاحتلال المغرب - وقد يدل المؤلف - الذي اعتمد على كتابات اوروبية جديدة - جهدا علميا شاملا من اجل الخروج بهذا

الكتاب الصغير الذي يجري المكتبة المغربية في حانيا التاريخيه

✳ الادب العربي القاصر احمد عبد السلام البقالي صدرت له روايته بعنوان (ما بين يوم ترجين) - وذلك عن منشورات دار ميشال المغربية - الرواية تجيب ببراءة فنية مساعية من هذا السؤال : ماذا يحدث للعمر الصغري حين يتقلع عنه تيار الحب - وقصة اسماء البناء - بطل الرواية تجيب عن ذلك - وتأخذ القارئ داخل القتل المغربي البارد ودهاليز العاطفة البشرية المستعزلة .

والبقالي في روايته العديدة كاتب مبتكر وديواني فنان وممثل احملي لتوافر النفس البشرية - وهو أسلوب امتدات به جميع أعمال الروائي المغربي حيد عبد السلام البقالي .

والأفنت للاشياء في جميع الأعمال الادبية الكائنا سواء منها الشعرية أو الشعرية نحو هذا الصيغ المصنوي والاعصاظ الدياسي ورواء قواعد القصص - وهو ميزة ادبية فلما يتوفر عليها أدباؤنا .

وجعله افول - ان روايه (ما بين يوم ترجين) عن ادبي رفيع المستوى ورفيع الاداء والوسيلة أيضا .

تقع الرواية في 275 صفحة من القطع المتوسط .

✳ آمدو الاستاذ عبد الهادي بومال كتابا جديدا بعنوان : (النظم السياسية العالمية المعاصرة) - وهو يقدم نماذج مختارة من العالم الرأسمالي

والعالم الاشتراكي والباسم اشالت - ويقع الكتاب في نحو 450 صفحة من القطع الكبير - وهو عمل علمي عظيم النفع يجلل القادر باعتباره دراسة تحليلية ناضجة للانظمة السياسية المعاصرة من منظور منفتح ومتطور ورؤية شمولية تم من سعة اطلاع وعصق معرفة وحسن ادراك للثبات والادبولوجيات المعاصرة .

ويضم الكتاب دراسة مفصلة لنظام الحكم في المغرب وتعمل على تفسر السمات التي صدرت في المغرب سنة 1962 وسنة 1970 وسنة 1972 ويستقر الفصل الخاص بالمغرب حوالي خمس نسخة .

✳ الكنية المغربية خاتمة سيرة مدرسيها كتاب حفيد افند والنفس .

✳ الشاعر احمد سباري صدر له ديوان شعري حديث بعنوان (اخر من المشرق) - يلاحظ على الشاعر في ديوانه الجديد استعمال لرموز والامطلاحات الاسلامية وهذا اغناء جديد في الشعر المغربي الحديث - ولعل وراء هذا الإثراء تحولا من دنيا الفيه والضيق في عالم الادبولوجيات الى الانبساط والاصول النابتة لامتنا .

احمد حاوي شاعر ذو صوت قوي - وهو في ديوانه هذا يختلف عنه في دواوينه السابقة .

✳ بواسل الدكتور محمد كمال شابة الزاء العنسية العربية بالجديد البقية عن التراث الاندلسي بعد تحققة ودراسته واخراجها للناس في حلة قشبية وفي قالب يصوع فيه الفكرة دون العاصي

● شهر ياست الفكر والثقافة

يجوزر الأعمال الرئيسية لهذا
المراتب .

وقد أصدر الدكتور
شبابه مؤخر كتاب الإنارة
إلى أدب الوزارة (الوزير
المؤرخ لسان الدين أبي
الخطيب السلمي . ويقع
الكتاب في 150 صفحة من
القطع المتوسط .

والكتاب يعنى وهو من
التراث الإسلامى السياسى
الذى يتكشف لنا عن أصله
الفكر السياسى فى الحضارة
العربية الإسلامية .

● (الأصول : دراسة
إيستولوجية لأصول الفكر
الغوى العربى) . كتاب جديد
صدر من دار الثقافة بإدارة
البصائر لاد ثور العالم العربى
المعاصر لعام حضان . يضم
الكتاب 29 موضوعا ينطق
جوانب النحو وطرائقه
وقواعده ونهجه وراثاته .
هذا إلى جانب فصول من فقه
اللغة والبلاغة . ويقع الكتاب
في 394 صفحة .

● (شمس قد الرصاص)
كتاب قيم من تأليف الدكتور
أبراهيم سوقي إضافة ك صار
من مملكة الأبياء بالرباط .
أما الشمس فهو الشمس
العربى . وأد الرصاص .
هو رصاص العروقة والصلاء
والخوة والصالحين مع القوى
الاستعمارية المضادة سد
المغرب المسلم القوي بوحده
الوطنية ونظامه الراسخ وأمانة
كياه السياسى والفكرى .

المؤلف صادق في آرائه
ونظرائه واجتهاده . وهو لا
يدافع عن المغرب لأنه البلد
الذى يقيم فيه منذ ما يزيد
من عشر سنوات ولكنه يدافع
عن الحق والعمل والتسوية
ويسجل أحداثا ووثائق بأمانة

الأساد لحامى العروبة
المتصفا .

يقع الكتاب في 212
صفحة من الحجم المتوسط .
● صدر من (مكتبة الماركا
بالرباط رواية بعنوان (قاس
وشجرة التفاح) للكاتب محمد
السبي . وقد استوحى المؤرخ
روايته من الانتفاضة الشعبية
التي قام بها سكان قاس سنة
1912 والتي قام الجيش
الاستعماري على إثرها بقمع
عشرات المواطنين .

الرواية أصالة جديدة
للأدب المغربى العصى الذى
يؤرخ لفترة مهمة من تاريخ
الحركة الوطنية .

● (أحمد بناني : فقيه
الأدب والوطنية) . كتاب
يشتمل على الدراسات
والأبحاث والتعليق على
المقاييس بصفة الدكتور
الأربعينية للفقيه . صدر
أجاب عن مطبعة (الرسالة)
بسط .

● من منشورات (الجمعية
المربية لتأليف والترجمة
والنشر) . صدر كتاب يوسف
أفريقيا مؤلفه الحسن بن
محمد الوزان القاسى المعروف
بجنان تونس الإفريقى . وقد
ترجم الجزء الأول من اللغة
الفرنسية الدكتور محمد حجي
معيد كلية الآداب بالرباط
والدكتور محمد الأخضر
الاستاذ في نفس الكلية .
يقع الجزء الأول الذى صدر
مؤخرا عن مطبعة البلاد
بالرباط في 300 صفحة

● ملحة جديدة من كتاب
أ من وراء الحدود أو الحركة
الربطى . صدر سنة 1937
وسنة 1944) لمؤلفه أحمد
أين حاتم الطوى . صدرت
من دار نشر الثقافة

بالقاهرة . ويقع الكتاب في
166 صفحة من القطع الكبير
وكتبت الطبعة الأولى قد
صدرت بمدينة فاس منذ
سنتين معللة وريثة ومليئة
بالأخطاء المطبعية التي أفدت
الكتاب .

شعة القاهرة من (من
وراء الحدود) للاستاذ أحمد
أين حاتم الطوى جديدة
ومعاصرة . والكتاب في الجدة
تاريخ من وطن مكافح لأهم
مرحلة مرت بها الحركة
الوطنية في المغرب .

● أصدر الاستاذ عبد الله
المليدي بطبعة كتابا بعنوان :
(المغرب يذكر بعض مشاهير
أولياء المغرب) . ويقع في
نحو 220 صفحة من القطع
المتوسط . ويلاحظ على
المؤلف إغراقه في ترجمة
نماذج غريبة من الرجال الذين
اشتهروا بالتصوف . هذا إلى
جانبه اعتماد بعض المخرافات
والروايات العامة أساسا في
الترجمة لطائفة من الأولياء
ورجال الدعوة والتصوف .
وما حيدا لو استثنى المؤلف
عن هذا أحسن وأكفى بالله
والمثلول لجه كتابه موضوعيا
ومنهجا من الحقائق .

● أصدر ربي وزيد أدوية
التي تسمى الأدوية الغاية لى
أن تصدر أدوية متباعدة حادة
من مجلة « المناهل » .
شتمل المقبل منها على
دراسات وأبحاث تتجلى من
خلالها معالم الحركة الفكرية
التي ازدهرت بمدينة سبة .
ويبرز في أثنائها الدور الثقافى
الهام الذى اضطلعت به هذه
المدينة المغربية اللبية .

كما ستتم الوزارة في
ضوء الحرف الممثل لقاء
تدارس خلاله نخبة من علماء

المغرب والعشرق وعلماء
الاستشراق موضوع تاريخ
الاندلس بصورة عامة وموضوع
حياة وأثار المؤرخ الإسلامى
المذ الكاتب الماهر والأديب
الكبير أبي مروان ابن حيان
بوجه خاص .

● نظمت كلية الآداب والعلوم
الإنسانية بجامعة محمد
الخاص بالرباط ندوة في
موضوع البحث العلمى
والسينما في أيامه الخاصة
والعامة أيام 7 و 8 و 9 ماي
شارك فيها باحثون من المغرب
ولبنان والأردن ومصر وفرنسا
وألمانيا .

وقد تم خلال الندوة
لقاء خروص بالاشابة إلى
تنظيم موائد مستديرة لفتحها
حتى مجموعات دراسة هي :

- 1 - مجموعة الدراسات
الغوية
- 2 - مجموعة الدراسات
التاريخية
- 3 - مجموعة الدراسات
الاجتماعية
- 4 - بحيرة البيانيات
- 5 - بحيرة اللغة والفكر

● ستمت جمعية الاقتصادى
المغاربة ندوة في موضوع :
« الاقتصاد العربى والمجموعة
الاقتصادية الأوروبية »

رسائل جامعية :

● دافع الاستاذ حسن
الطريق عن الرسالة التى
تقدم بها إلى كلية الآداب
بناس ليل ديبلوم الدراسات
العلمية في موضوع (الشعر
المصرعى في المغرب :
حدوده وأماه) . وثأبت
لجنة المناقشة مركية على
أشهر التالي : الدكتور محمد

شهر يانت - الفكر والثقافة

الثاني رئيساً * والدكتور عباس الجراوي مقررًا * والدكتور حسن المنيمي * والدكتور محمد السريسي عيسى .

* توثقت يداد الحديث الحسنة رسالة ليل الديلم في العلوم الإسلامية المقدمة من السيد محمد يالواني في موضوع : « الاصطاح لما بينهم من الوری في قراءة عالم أم القرى » لابی زيد عبد الرحمن بن القاضي - دراسة وتحقيق - .

وقد توثقت لجنة المناقشة من البادة :
- الدكتور التميمي المرحلي رئيساً ومقررًا ،
- الأستاذ محمد المونسسي نصوصاً ،
الدكتور عمر توري عضواً .

* وتوثقت يداد الحديث الحسنة رسالة ليل الديلم في العلوم الإسلامية مقدمة من السيد عبد السلام المعري في موضوع : « نظرية الاخل بما جرى به العسل في اسفرب في اطار المذهب المالكي » - وقد توثقت لجنة المناقشة من البادة :

- الأستاذ حماد العراقي رئيساً ومقررًا ،
- الدكتور أحمد الخليلي نصوصاً ،
- الدكتور عبد السلام الادفيري عضواً .

* وتوثقت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط * رسالة حضرها السيد ادريس القاتوري رئيس الديلم في الدراسات العليا في اللغة العربية و- يتا في موضوع :

« الاصطلاحات النقدية والبلاغية في كتابه (نقد

الشعر) مقدمة من جعفر تواسة لقوة تاريخه بدينة .

وتوثقت لجنة المناقشة من البادة : الدكتور عباس الجراوي رئيساً ، الدكتور احمد الترابسي مقررًا والدكتور محمد ابكاري نصوصاً .

* توثقت بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالدار البيضاء رسالة ليل ديوم الدراسات العليا في العلوم القانونية تقدم بها السيد محمد اوغريس حول الموضوع الآتي : « النعاه بطروقة اشياية في سوء التفريق المدني المغربي » وقد توثقت لجنة المناقشة من البادة : الدكتور ادريس الملوحي العبدلوي رئيساً ، الدكتور محمد المونسسي والدكتور توري عبد الحليم نصوصاً .

* وتوثقت بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالدار البيضاء رسالة ليل ديوم الدراسات العليا في العلوم القانونية للسيد احمد اجويد حول الموضوع الآتي : « جريمة رشوة الموثق المومسي في التشريع المغربي » - وقد توثقت لجنة المناقشة من البادة : الرئيس : الدكتور احمد الخليلي ، عضو : الدكتور مشيش الملي ، عضو : الدكتور مسطفي لريج .

نونس :

* من مطبوعات الدار العربية للكتاب في تونس هذه المنشورات الجديدة :

« وعضات فكر الشيخ المائل ابن عذوة .

« رحلة انيجانسي » تحقيق العلامة حسن حسني عبد الوهاب .

« مذكرات عن منتخب المغرب العربي في القاهرة » للكاتبة الرشيد ادريس .

مغربي :

* احتفالاً بمطلع القرن الخامس عشر الهجري هذا السورج الاسلامي أحد مجلة الله في اصدار موسومة تزوج لاجل العال الاسلامي كة بعد سنة منذ مشرق الامة الاسلامية في المدينة الى عام سنة 1400 هجرية .

ويتضمن تاريخ كل سنة اعم أحداث العام الاسلامي وتصور النصوص في اجزاء يغطي كل جزء منها قرناً من الزمان .

* اصدار الدكتور حلمي علي مرزوق اسناد اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الاسكندرية كتاب بعنوان « شوقي وفقايا العصر والحضارة » دافع في كتابه عن أمير الشعراء سيد شعما عدد من المنقاد ، وتعرض فيه أيضاً لتحجج شوقي التي أثبت مدى مراوغة بعض المستشرقين العربيين ومغالقتهم للحقائق الخاصة بالادب الاسلامي الحثيف والصحيح الذي اتبع في مشرقه .

ويشتمل الدكتور حلمي مرزوق كتابه يابراز سمة من السمات الانسانية لشعر أحمد شوقي ، وهي حليط الشعر باعتبارها العنصر والحضارية وجعل القارئ لتصوره شعر يتجاوزات العصر وحركة التاريخ مخالفاً بذلك

شأن البحري في القديم رحباً اراييه في الحديث ، ويمضي الدكتور حلمي ليقول : أن شعر شوقي هو فأس في وقائع الحياة والاحياء ، شأنه شأن الفتى في هذا المدة .

ويمضي الدكتور مرزوق ليقول : « أهم الإسلام بأنه دين ميثه وحرب » لا دين مطلق واخترع « وحما ثرية فتت في هذا العصر الحديث على السنة فريس من المستشرقين » ، ومن الملاحظ عما أن الدكتور مرزوق يقول : « فريق المستشرقين » وليس من المستشرقين « لأنه يعرف أن هناك منهم من انصفه الاسلام في هذه القضية وفي غيرها ، وعلى رأسهم كل من توماس ارنولد وأولولد توينبسي » .

* صدور في القاهرة رواية للكاتب « فاروق خورشيد » عنوانها « حفة من رجل » تدور أحداثها في العصر الملوكي بمدينة القاهرة .

* اصدار مجيد طويلاً رواية جديدة بعنوان : « حفاة » (أرواق عاشق) ديوان شعر جديد للشاعر أحمد عبد ارحمن الشرفاوي .

* للادب المصري صبحي الحار كتاب حصل به على جائزة الدولة التشجيعية وعنوانه : « ربيع قرون في اقبود » نشرت مكتبة مديولي تشوه من جديد بمشوان : 40 عاماً في القبود صبحي الحار بسعد الآي لاسداز مجموعة قصصية جديدة ، والجدير بالذكر أن الكاتب مشلول وطريح الفراش منذ 40 سنة .

* المستشرق الاميركي « كارل بينوي » زار مصر

للاهتمام من اعداد كتابه الثاني عن « حقاوة القاهرة في العصور الوسطى المتأخرة » وكان دكارل بيثري قد حصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية في العصور الوسطى.

* (في القصة القصيرة)
تدكتور رشاد رشدي صدوت طبعة جديدة منه ويعتبر هذا الكتاب هو الاول في المكتبة العربية الذي يتناول فن القصة القصيرة .

* (ترجمت بالرواية الاوروبية)
حدث كتابه للنائد الدكتور ممد حامد النماج مدير من المكتبة الثقافية ببيتة الكتاب .

* (ناجي شاعر الحب والجمال)
كتاب جديد لمحمد رشوان يتناول فيه بالدراسة والتحليل حياة ناجي وشعره في ضوء المنهج التقني .
ستصدر المؤلف ايضا القصة الثانية من كتابه « صفحات مبهولة من حياة زكي مبارك » .

* « لا ظلمي الحب »
اول ديوان للشاعر اسماعيل سعد النماج .

* « الشاعر صهر صبري »
صدر له اول ديوان بعنوان :
ملحمة مستحيل .

* (الفلسفة الايرانية الإسلامية)
تأليف المستشرق هنري كوربان ، وهو الجزء الثاني من كتابه الشهير « تاريخ الفلسفة الاسلامية » الذي صدر له ترجمة عربية .

المملكة العربية السعودية

* قروت جامعة الملك عبد العزيز بجدة تقديم الدكتوراه الفخرية لجلالة الملك خالد ابن عبد العزيز .

وقد حدد الدكتور عبد الله نصيف مدير الجامعة الحثيات الاكاديمية التي لترشيح جلالة الملك خالد لئيل درجة الدكتوراه الفخرية في خدمة الاسلام والمسيح .

اولا - بالنسبة للفئة :
المرشح هو صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك لملكة العربية السعودية .
ثانياً - عن حياة المرشح :

- ولد في مدينة الرياض في عام 1331 هـ الموافق 1913م وتلقى من وطاية والده المغفور له جلالة الملك عبد العزيز تعليمه اسلاميا وعلميا على ايدي افضل من رجال التربية والتعليم .

- اشترك في شبابه في الحملات العسكرية التي اذنت فيها بعد الى توحيد ارجاء المملكة وتثبيت اركانها .

- اشترك في عام 1352 في المفاوضات مع امام اليمن ووسع معاودة السلام السعودية - اليمنية ، التي وسعت فيما بعد اقل العلاقات الجوارية بين الشعبين الشقيقين .

- وفي عام 1359 اشترك جلالة مع شقيقه الراحل جلالة الملك فيصل رحمه الله في المؤتمر الخامس بمطرس الذي عقد في امملكة المتحدة .

- حضر جلالاته منامة انشاء منظمة الامم المتحدة عند اثنائها في عام 1384 نالاً لرئيس مجلس الوزراء .

- ونصب جلالاته في عام 1385 ولياً للمهد في المملكة العربية السعودية .

- وبعد وفاة المغفور له جلالة الملك فيصل مستشهدا تولى الملك خالد الملك ابتداء من الثالث عشر من ربيع الاول عام 1395 هـ .

ثالثا - بحمد المجالات التي اسهم بها المرشح في مجالات الخدمة العامة :

جلالة خالد بن عبد العزيز اسبابات عظيمة في مجالات الخدمة العامة نوجز أهمها على سبيل التذكير لا الحصر :

- ساهم جلالاته في بداية حياته العلمية في المشاركة في جهود المختلفة التي ادب الى توطيد كيان المملكة العربية السعودية وتوحيد جرائها ، ولعميم الرخاء والامن والاستقرار بها وتحت راية التوحيد والعدل والحق .

- ساهم في الاجازات الادارية التي تولاهم جلالاته كرئيس لمجلس الوزراء وكولي للمهد وكقائد لسيارة هذه الامة الى ابراق دور المملكة الحالي بكل ما يحمله من نقل وولن على المستوى الدولي والعالمي .

- يتولى جلالاته بعد استشهاده شقيقه جلالة المغفور له جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز حمل راية التناغم الاسلامي والاخوة الإسلامية وبعمل بلا كلل او تعب على نيل العلاقات وتوحيد الكلمة وجمع شمل المسلمين في بلاد الارض طائفة تحت راية التوحيد والاخوة والتآلف والتكافل والمحبة والتفاهم والتي اسفرت عن عقد مؤتمر القمة الثالث وبحوار بيت الله المتسق واعداد بلاع مكة التاريخي .

- تشيد البلاد بتوجيهات قيادة جلالة الملك النهضة المعقمة في مختلف المجالات وفق خطط حكيمه متزنة .
يراعى فيها التفكيد المتحر على القيسم الروحية والاجلالية للمجتمع السعودي .

رابعا - تحديد التصنيف الموضوع المقترح للدرجة :

اصراج تقديم درجة الدكتوراه الفخرية في خدمة الاسلام والسلمين لجلالاته الملك خالد بن عبد العزيز

خامسا - وضع المبررات والاسباب للترشيح :

الغرض من تقديم الدرجات الفخرية لمائدة المجتمعات يحمل في حياته معنى تقديرها وتقريبها عن حسب اعميق الاعتراف والتقدير مسجرات يقوم بها جلالاته الا وهو منكب وقائد مبرر بها .

سادسا :

والجامعة تحتفظ لجلالاته الملك بفضي كبير فقد تولاهم باليانة والصانة

* في مختلف فون الكتابة والاربع والعلم فلتقي مع الشيخ هاشم دقر دار المدي في كتابه « نوابغ الكلم » ومن خلال 54 موضوعها تتجمل الدولة والاكثرون وموضوعات اخرى .

والكتاب الذي يقع في نحو 256 صفحة من القطع المتوسط هو ما كتب عنه او حاور حوله او اذاعه او نشره الشيخ عظام منذ سنوات طويلة مضت . وسنهل المؤلف « نوابغ الكلم » بمقبال عن جامعة الاسم المتحدة وعالم

● شهر يات الفكر والثقافة

الدرء والسياسة العالمية الجديدة ، يعقد المؤلف في هذا المقال مقارنةً طريقه بين اللذة كعنة للإنسانية وكعقمة عليها ، ويتخذ المؤلف ميثاقاً جدياً مع الأمم بوصفه يحلو من السلطة استغليالية التي تكون أحكامها مرمية الجاسب صفوة الألباع .

● شيعت مكة المكرمة مؤخرًا أبا من أبنائها الذين عشتوا ترابها ، ولهبوا بقدميتها ، ونشوا بتجاهدها . وهو الشاعر الجبر السبيح أحمد ابن إبراهيم الغزاوي . أحد وجالات المفكرة العربية السعودية الأولى الذين خدموا في جهات عدة ، بعد أن طال اعتكائه في منزله في السنوات الأخيرة بسبب اعتلال صحته .

● ولد عام 1900 بمكة المكرمة .

● شغل عدة مناصب هامة ، وفي البداية عمل مديراً لمكتب رئيس القضاء ثم سكرتيراً عام مجلس الشورى وعضواً به . وعين بعد ذلك نائب رئيس مجلس الشورى واحتفظ بهذا المنصب حتى وفاته .

● من الأعمال التي تقلدها أيضاً : رئيس اللجنة الصح العليا ، نائباً لرئيس المجلس الملكي بمكة . عضواً في عدة لجان لمجلس الشورى . أحد مؤسسي جمعية الأساقفة بمكة المكرمة .

● منحه الملك عبد العزيز لقب .. (حسان جلالة الملك) وكان يلقبه به منذ عهد الملك عبد العزيز . حيث كان الفقيه بلقي تصالده الشهيرة في المناسبات وأهيباء . مناصبة عبد الأفضى . معقد كان يلقي قصيدته في هذا اليوم أمام الملك وشيوقه من

المسلمين في منى ، وتسمى القصيدة : (الحولية) .

● يحمل وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى . مع له في عهد المنصور له الملك عبدل بن عبد العزيز . وأعيدت إليه أوسمة في بعض زعماء وملوك الدول الإسلامية والعربية .

● اختير ولداً من رواد الأدب السعودي في جوائز الإدياء الأولى الذي يقمته جامعة الملك عبد العزيز بجدة قبل سنوات ، وهو شاعر من شعراء الرعي الأولى .

● يتميز شعره بالجزالة والقوة ولديه مقدرة على تطوير القافية .

● اشتهر بتعليقاته ومفالاته في الصحف السعودية المحلية ، وكان يكتب تحت عنوان : (غسرات وتليقسات) و « غسرات اللدب » .

● لديه مجموعة كبيرة من القصائد الوجدانية التي خدم شعرها .

● صدر في الرياض عن لجنة البحوث والتأليف والترجمة ونشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كتاب قيم عن « المخطوط العربي عند نشأته » إلى آخره . نشر أربع المجلدات في 300 صفحة من القطع الكبير مع عدد من اللطائف الصور ليمس تماذج المخطوطات العربية .

● تقوم الإدارة العامة للأثار والمتاحف بدراسة إنشاء متحف تعليمي يعرض فيه التاريخ الخاص بشقة المعلم بالملكة ، وذلك بهدف إبراز التقدم في وسائل التعليم من البداية إلى الآن ، وكلها إبراز

دور رواد التعليم القدماء والمحدثين في الحركة التعليمية المبارة بخطى سريعة في شتى انماط الحياة مستحسبين في ذلك مختلفه الوسائل السمية والبصرية التوضيحية ● قررت الإمارة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي منع مهمل بدراسات الأسلامية بمكة المكرمة يلتحق به أبناء مختلف الأنظار والصبوب الإسلامية .

● أصدرت كلية الطب والعلوم الطبية التابعة لجامعة الملك فيصل بالمنطقة الشرقية مجلة طبية دورية اختوت على مواد علمية وثقافية وقد اتخذت اسم « الفصل الطبية » .

● حصل الكاتب السعودي فهد العرابي الحارثي على الدكتوراه من جامعة السوربون بمرتبة الشرف الأولى ، وكان موضوع رسالته « العلاقة بين الشعر كشكل ثولي والإسلام كإيديولوجية نظام سياسي واجتماعي » .

● أصدرت إدارة النشر بجامعة الرياض كتاب « فوايد الاعلام في الشريعة الإسلامية وأصمه الملكية العربية السعودية » للدكتور يوسف محمد ناسم .

● انطلقت من اهتمامها بالطفولة أصدرت المخطوط الحوية العربية السعودية سلسلة من الكتب أسماها « في إيجاد مكتبة خاصة للطفل » منها : « وطار الإنسان » « طائرني المفضلة » « الجراء الملونة » « للاذكياء فقط » . وكلها للكاتب يعقوب اسحق .

● أقيم في الرياض المعرض الدولي الرابع للكتاب وذلك تحت إشراف عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض ،

وقد استمر حتى يوم 15 مارس الماضي ، اشترك في المعرض أكثر من 400 ناشر يمثلون مختلف المؤسسات من جميع أنحاء العالم ، وشتم المعرض مطبوعات جديدة عرضت لأول مرة حيث بلغ عدد العناوين المعروضة أكثر من 12 000 عنوان من الكتب المعروضة خصص منها قسم للكتب الأندلسية .

● توي الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (ومقرها الرياض) إصدار سلسلة جديدة بعنوان : « المكتبة السعودية » تناولت الموضوعات الدينية والعلمية والأدبية والفنية ، وقد دعت الكتاب والمثقفين للمشاركة في هذه السلسلة الجديدة وأظهارها إلى حي الوجود ، حددت عدد صفحات كل كتاب بستين صفحة من القطع الصغير .

● « تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين » تأليف الدكتوراة مديحة أحمد درويش ، صدر عن « دار الشرق » للنشر والوزيع بجدة .

● « صلبات وسلوات » ديوان جديد للشاعر عبد الملك عبد الرحيم ، صدر من وكالة سر للدراسة والنشر والاعلام بالرياض .

● « مكبات من المطروبة » مجموعة قصية لقصائد عبد الله السابلي ، صدرت عن دار العلوم بالرياض .

● تبيت مؤسسة الملك فيصل الخيرية برنامجاً لمنهج الدراسية للثغرفيين من أبناء العالم الإسلامي لاتتمثل طلبتهم العالي لمرحلة الماجستير أو

شهر ياست الفكر والثقافة

الترجمة في مجتمعات
الدراسات الإسلامية والعلوم
والفكر والثقافة الاقتصادية على
مدى الزمن .

ويشترط الاستعداد من
هذا البرنامج أن يعود الطالب
لعمل في وطنه أو أحد الأقطار
الإسلامية الأخرى ، وأن يكون
مسلمًا ولا يريد عمله على
الترجمة علمًا وبصيرة منه
الاجتزائية .
تقدم الطلبات على النموذج
الخاصة التي تطلب من
المؤسسة - ص - ب 352 -
الرمضان .

الأردن :

نشرت المنظمة العربية
للعلوم الأدبية التي تتخذ
العاصمة الأردنية مقرًا لها ،
(المجمع العربي للوحدة
للمصطلحات العلامات
الإلكترونية) .

ويشتمل هذا المجمع على
3414 مصطلحًا بالمقامات العربية
والعربية والانكليزية وكانت
الطبعة المذكورة قد أعدت
المجمع بالتعاون مع مكتب
تنسيق الترجمات بالرباط
ومشاركته خبراء من الاقطار
العربية المختلفة . ويستند
هذا المجمع أساسًا على ثلاثة
مراجع صدرت في الرباط
وبنداد والمفكرة هي اصطلاحات
الاعلامية (لكتيب تنسيق
العربية بالرباط و (المصطلحات
الإلكترونية) للجهاز المركزي
للأحصاء بالقاهرة .

اليمن - ش :

نشر مركز الدراسات
والبحوث اليمني في صنعاء
مخطوطة نادرة عن جهود اليمن

كان د. عبد الهادي الهادي
عشر عليها في مكتبة الجيوب
(ليبيا) بعنوان : « انتمى
الطاهرة في اجلاء اليهود
القاهرة » الفها القاسي احمد
ابن أبي الرجاء من علماء القرن
الحادي عشر الهجري .

وقد قام د. الهادي
بتحقيق المخطوطة والتعديل
والترجمة من يدوين العرب
والشرق : « طبع في طبع
سلسلة « الدراسات اليمنية »
التي تصدر من الجمهورية
العربية اليمنية .

السيف :

صدرت في السيف
مجلة عربية بعنوان : (الانكسار
بصورها) الاتحاد الوطني
للكتاب والصحفيين
لبنانيين باللغة العربية .

يضم العدد الأول عددًا
من الموضوعات الإسلامية
الهادية .

اتجلترا :

الرسائل لشخصية
الخاصة تتناول هتواي
نشرت في كتاب جديد بعنوان
« رسائل مختارة » قام
بالإشراف على تنقيح وتحريرها
كارلوس بيكر كفا قامت
بالإشراف على طبعها دار
فرانك .

يقع الكتاب الجديد في
حوالي 900 صفحة ، ووددت
فيه مواضيع عديدة كشفت
النقاب بشكل واضح عن
« شخصية » هتواي الحقيقية
لأنه كان يكتب رسائله هذه
بشكل شخصي ولم يحلم في
يوم من الأيام بنشر هذه
الرسائل على العالم لأنها خاصة

بالأشخاص المرسله اليهم
بالإضافة إلى أن مواضيعها
شخصية وحساسة للغاية .

عبرت رسالة من الرسائل
من رتبة هتواي بأن يذكره
التاريخ على أساس أنه كاتب
فقط ، وجاء في مقطع من هذه
الرسالة ما يلي : « انتمى
برغبة عميقة في أن يحكم على
كفاه ولا أحسن أن يترك الناس
عند ما يحاولون معرفة
شخصيتي على أساس أمريجل
خاض غمار الحروب أو مدلل
أو ميداد أو لامب ماهر في
(سباق الخيل) ، وأنا أحب
أن أكون يكن بساطة كاتبًا وأن
يتم الحكم على هذا الأساس
فقط » .

بولونيا :

عند (اتحاد المترجمين
الوحي) مؤتمره العالمي
الخاص في العاصمة البولندية
في الفترة 8 - 13 من مايو
1981 . وكان مؤسسو
المؤتمر الرئيس رسالة
المترجم اليوم وغداً ،
وتناولوا أشغال المؤتمر
وأبحاثه القضايا التالية :

- 1 - الترجمة الأدبية .
- 2 - الترجمة العلمية والتقنية
- 3 - مكانة المترجم بولونيا
واجتماعيا
- 4 - الترجمة في الاقطار
التي : ترجمة الآداب
العالمية إلى اللغات
الحديثة . وتدريب
المترجم والمترجم
والمصطلحات العلمية
والمترجمين ، والدراسات
وسائل الترجمة
المصطلحات وترجمات
الخرات ، وغيرها .
- 5 - الترجمة من اللغات ذات
الانتشار المحدود والبعاء .

ن - تدريب المترجمين
والمصطلحيين قس
العامات .

7 - نظرية الترجمة
والدراسات الأدبية
المقارنة .

8 - المترجم والادلة أو
الترجمة بمساعدة
الحاسب الإلكتروني .

9 - الترجمة العورية ، وأحرز
الطرق في ترجمة الحوار
بالاسلام .

10 - دور المترجم
المعجمة والتوثيق في
خدمة المترجمين اليوم
وعسدا .

11 - آخر التطورات في وسائل
الاسلام .

12 - تقويم الترجمة ووظائف
مشاركت الحركات
المترجمين .

وقد شارك في أعمال
هذا المؤتمر الاسماء عبد العزيز
بشيد الله مدير مكتب تنسيق
الترجمة بالرباط ، بحيث
سأله ، التعريب والترجمة
في الوطن العربي : أهدافها
ومشاكلها .

ألمانيا الغربية :

التقى في ألمانيا الاتحادية
الألمانيون ووزراء وسعراء
يشكلون أحد عشر بلداً عربياً
لبنادوسوا موضوع إنشاء معهد
الدراسات العربية والإسلامية
في فرانكفورت ، سيكلف هذا
المعهد ميون مارك ألماني ،
دعست منه دولة الكويت
كصاحبة أولى مبلغ ستة
ملايين مارك لتجهيز أحد
المباني وتحويلها إلى مقر
للمعهد المذكور .

الأستاذ عبد الكبير الفاسي في ذمة الله

التحق بالرفيق الأعلى الأستاذ الفقيه السيد عبد الكبير الفاسي ، وقد خلف وراءه رحمه الله أصدادا لا تنقطع من الأسى والأسى والحزن .

وبهذه المناسبة أصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية البلاغ التالي :

« منذ أيام قليلة التحق بالرفيق الأعلى أديب من أديباء المغرب الكبار ومتقن واسع المعرفة ، ومفكر متوقد الذهن ، تأسف البصر ، صاحب الرأي ومنافس تجرع مرارة الاستعمار ، ذلك الأديب المثقف المفكر والكاتب الذي أخلص وأحسن البلاء هو المرحوم عبد الكبير الفاسي الفهري الذي وافاه أجل المحتوم بعد عمر حافل بانفس وأفضل ما تمليه به الأعمار ، فلم يكن الفقيه أديبا عالما ومفكرا فحسب وإنما كان من المثقفين الذين يلتهمون كل قديم وجديد من عصارة القلوب والعقول ويظهرون القراءة بقلم خاضر لا يسأم ولا يتكل ، وتبين لا يستغلق ولا يستبهم ، على ما يلابسهم من احساسات ويتوافر عندهم من آراء .

ولقد انطوى العدد الكثير من الصحف والمجلات ما تناوله الفقيه من شؤون مختلفة وطرفه من أبواب متعددة ، ولا مرأه في أن ما صرف إليه العناية من مواضيع وكذا فيه الذهن من الأفكار ووقف عليه القلم من قضايا ، كل هذا جدير بأن يصان من الضياع ، وبحسبى من التفرق والشتات ويبرز للمثقفين ذخيرة مجموعة بين دفتين خليقة بأن يفيد منها الباحثون والدارسون .

وقد استقر حزم وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية على أن تجمع ما تفرق من هذه الذخيرة وتسلك ما انتشر منها في نظام .

وحرصا من هذه الوزارة على أن يتم عملها هذا بسمة الاحاطة فانها تنيب بجميع الذين واتهم الحظ فتسرت لهم المراجع والمطالان أن يعيثوها فيما عقدته من نية واتجهت اليه من قصد ويدلوها على ما خلف الفقيه رحمه الله من جم الآثار وقيمها » .

رحم الله الأستاذ عبد الكبير الفاسي واسكنه جنته جزاء عما خدم به الاسلام وتفاقت خير الجزاء . وأنا لله وأنا اليه راجعون .

مقالات الأستاذ عبد الكبير الفاسي المنشورة في (دعوة الحق)

الصفحة	السنة	العدد	المقال
13	2	2	1 - لا غنى لنا عن المقدمات
32	2	7	2 - خواطر حول ابن الخطيب السلطاني
21	2	9	3 - مع المرحوم الدكتور منصور فهمي : المدينة الفاضلة
			4 - في ذمة الله والتاريخ : مؤلف الكتاب : (الاعلام)
			بمن حل مراكز وأغصت من الاعلام) : السيد عباس ابن ابراهيم المراكشي
46	2	10	5 - أدب الجبسة
32	3	1	6 - علاقات روميا بالمغرب
22	3	4	7 - الصحراء المغربية الواقعة تحت الاستعمار الإسباني
57	16	10	

فهرس العدد 3 - المنة 22

صفحة	
2 -	الافتاحية : أزمة الاختيار في العالم الاسلامي
4 -	كلمة السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية في افتتاح دورة القاضى عياض
10 -	القاضى عياض
19 -	سيرة في عصر عياض
32 -	عياض في فاس
39 -	عياض بين سبعة رجال
49 -	كتاب الشفا في الصحراء
66 -	عياض مفسرا
97 -	قرات العدد الماضي
104 -	شهريات دعوة الحق
109 -	شهريات الفكر والثقافة

مطبعة فضالة - المحمدية
رقم الايداع القانوني 3 / 1981

أعداد السنة 21 من مجلة "دعوة الحق"



دعوة الحق رأسدة الصحافة الإسلامية في المغرب العربي

